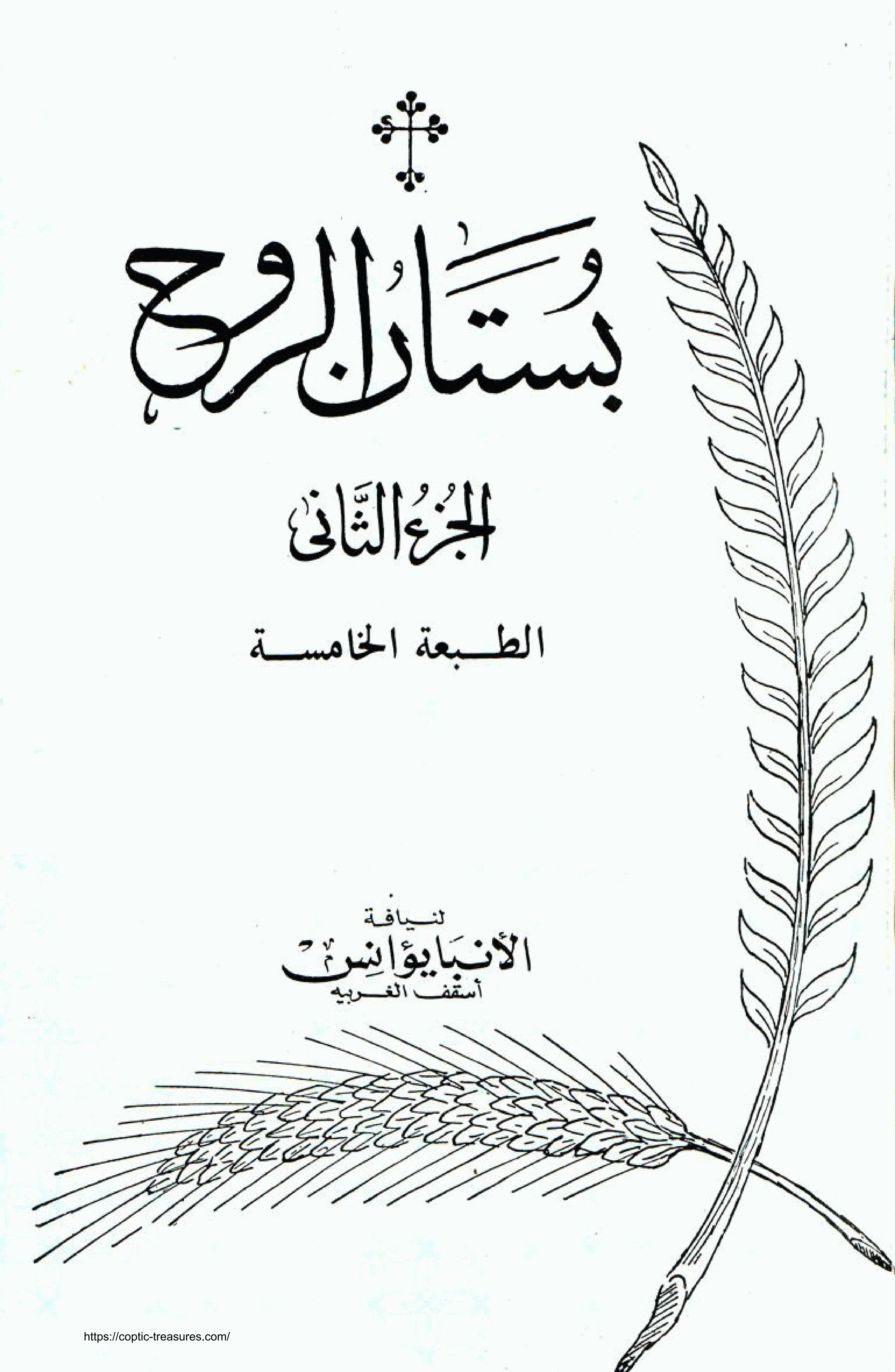
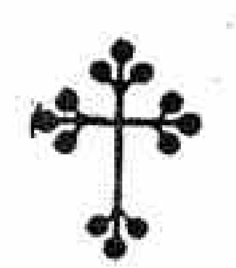


بستان الروح

الجزء الثانى

الطبعة الخامسة

لنيافة
الأنبا يوأنس
أسقف الغربية



بستان الروح

الجزء الثانى

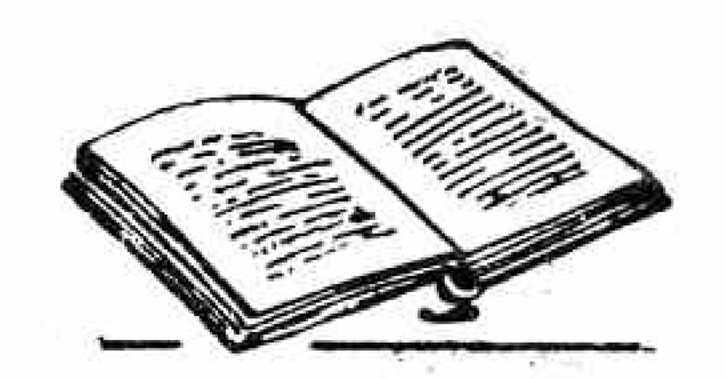
الطبعة الخامسة

لنيافة

الأنبا يوأنس

أسقف الغربية

فهرســـت



مقدمة الطبعة الرابعة

الله الذى أعطى النعمة فى كتابة « بستان الروح » ، هو الذى عمل فيه بقوة ، وصحب كلماته بروحه القدوس ، فظل البستان دائماً ، محتفظاً بنضرته الروحية ... فيه تهدأ الروح وتستريح . وتحت ظلال أشجاره الوارفة تستظل ، وتلتقى بالقديسين والنساك الذين يحفل البستان بأسمائهم وتأملاتهم وكتاباتهم وبسبب هذا التأثير العجيب نفذت الطبعات الثلاثة الأولى للكتاب فى فترات وجيزة تدعو إلى الدهشة ...

وتلبية لاحتياجات أبناء الكنيسة فى كل مكان ، أخرجنا هذه الطبعة الرابعة ، التى نسأل الله أن يجعل الموضوعات التى يعالجها هذا الكتاب ، وكلمات النور التى يحويها سبب بركة وخلاص لكثيرين .

ولإلهنا ـ صاحب البستان الحقيقى ـ كل المجد والبركة إلى الأبد آمين ،

تحريراً فى ٨ من يونية ١٩٨١
أول بؤونة ١٦٩٧

يوم الأثنين من الأسبوع
السابع من الخماسين المقدسة

يوأنس
بنعمة الله أسقف الغربية

«مقدمة الطبعة الثالثة»

بين يديك ايها الآب السماوى نضع هذه الطبعة الثالثة من الجزء الثانى من كتاب بستان الروح. الذى باركته وباركت مادته فصار بحق بستانا للروح ... اللهم امنح عبيدك الذين يقرأونه نعمة العمل بوصاياك ... ولتستخدم كل ما كتب فيه عن الوسائط الروحيه من أجل تأصيل النفوس فى نعمتك. لا تسمح أن تصبح مادة هذا الكتاب زيادة فى المعرفة العقلية بل غذاء حقيقيا للأرواح، ودافعا لحياة الجهاد الروحى تشبها بالقديسين.

روحك القدوس فليرافق القارىء لهذا الكتاب ليصبح بركة لحياته..

لك نسجد أيها الآب القدوس، ولك نشكر من أجل نعمتك التى عملت فى ضعفنا حتى خرجت الطبعة الثالثة لهذا الكتاب...

ولك كل مجد وكرامة الى الآبد آمين.

١٥ من أكتوبر ١٩٧٨.	تذكار شهادة القديس بولس
٥ من بابه ١٦٩٥ ش	بطريرك القسطنطينية

مقدمة الطبعة الثانية

ما كادت تصدر الطبعة الأولى من هذا الكتاب حتى تخاطفه الاكليروس والوعاظ والاكليريكيون وخدام التربية الكنسية والشباب بل وعامة المؤمنين ، وهكذا حقق هذا الجزء الثانى من الكتاب ما حققه جزأه الأول ، وبارك الرب من ثمره الكثير الذى يتزايد كل يوم ..

ومنذ سنوات ليست بقليلة ، بعد نفاذ الطبعة الأولى من الكتاب وأنا أطالب باعادة طبعه . لكن عاقنى عن تحقيق هذه الرغبة الطيبة انشغالى فى كتابة واصدار كتب أخرى ، فضلا عن سنوات الأسقفية التى امتلأت بالأعمال الرعوية الملحة ، التى لا تحتمل التأجيل ، والتى هى جديدة فى كل صباح !!

راجعت الكتاب قبيل تقديمه الى المطبعة لاعادة طبعه بقصد اضافة مادة جديدة الى مادته ، فوقفت فى بعض الأحيان مشدوها ، أشكر الله على عمله معى خلال كتابته الأولى . **اذ لم أستطع أن أضيف اليه شيئا ليظل بصورته التى خرج بها مرجعا اصيلا روحيا أرثوذكسيا فيما عرض له من موضوعات .**

وأود مخلصا فى هذه المناسبة أن أقدم نصيحة لشبابنا المتدين وخدامنا المتحمسين بأن يلتزموا الاتزان فى روحياتهم ، والأرثوذكسية فى منهج عبادتهم وخدمتهم . فالحماس الروحى له جاذبيته التى تشد الانسان فيعمد الى المزيد من العبادة خاصة فى مجال الصلاة والصوم ، الأمر الذى يقودهم فى بعض الأحيان الى الغلو والتطرف . وهنا يكمن الخطر . فاذا لم يتزن الانسان ويخضع لارشاد أبيه الروحى فلابد وأن يشرد ويضل ... **أقول هذا بمناسبة ظاهرة الانفتاح التى نعيشها هذه الأيام ، والتى أحس أنها قادت البعض أيضا الى الانفتاح على بعض الطوائف المسيحية الهرطقية ، فخدعوا ببعض تعاليمها البراقة التى لا اساس لها على مستوى الواقع والحق الانجيلى ، بل هى مجرد ألفاظ رنانة جوفاء تشعل الحماس ولا تحمل معها ثمرا روحيا داخليا حقيقيا .** وهذه ومتى أشعلت حماس انسان فانها تمسك به لتقوده رويدا رويدا ولكن بعيدا بعيدا عن الحق الايمانى الانجيلى الذى عاشته كنيستنا أجيالا طويلة . وليعلم كل ابن للكنيسة القبطية الأرثوذكسية أنها بايمانها وعقائدها وروحانيتها قد ثبتت حتى يومنا هذا ، بعد أن خاضت صراعا طويلا مع غير المسيحيين والهراطقة على اختلاف نزعاتهم على مدى

الأجيال . ولو لم تكن كنيستنا أصيلة فى ايمانها وفكرها وروحياتها لما استطاعت أن تثبت حتى الآن ، رغم ما عانت من ضيق وعنت قل أن واجهته كنيسة مسيحية فى العالم كله .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أزجى الشكر خالصا الى الأبوين المباركين القس صراباموف عزيز والقس ويصا سامى والابن المبارك الأستاذ اشعياء ميخائيل على أتعابهم فى الاشراف على طبع الكتاب الرب يعوضهم أتعابهم .

واذ أضع هذا الكتاب بين يدى الله القدير ، الذى أحبنا وفدانا ، أسأله أن يجعله سبب بركة لكل من يقراه ، ولينفعنا الرب ببركة وسؤالات وشفاعات سحابة الشهود من القديسين الذين سبقونا الى المجد

ولالهنا كل مجد من الآن والى الأبد آمين

يوأنس
بنعمة الله أسقف الغربية

تحريرا فى
١٤ من نوفمبر ١٩٧٦ م | **تذكار تنصيب قداسة**
٥ هاتور ١٦٩٣ ش | **البابا شنودة الثالث**

مقدمة الطبعة الأولى :

هذا الكتاب ...

الجزء الأول من هذا الكتاب رأى النور حوالى منتصف عام ١٩٦٠ ، وأشرنا فيه الى جزئين آخرين مكملين له . ومنذ ذلك الوقت والجميع يتساءلون فى الحاح وشغف عن جزئه الثانى .. وان كنت اشكر الرب كثيرا من أجل النعمة التى أعطيت للكتاب فى عيون كثيرين ، كما واشكر أيضا كل الأحباء الذين أظهروا مشاعرهم الحبية فى تقديرهم للكتاب ، لكنى أود أن أقول لهم . ان اخراج كتاب الى عالم النور ليس بالأمر الهين ..

كان ممكنا أن يلحق هذا الجزء من الكتاب بسابقه بعد فترة وجيزة . لكنه فى تلك الحالة كان سيصدر فى صورة أخرى وبمادة اخرى .. لكننا أبينا الا أن نقدمه للكنيسة فى صورة تكاد تكون كاملة حسب تقديرنا .. لقد استنفد هذا العمل منا جهدا مضنيا وانكبابا متواصلا فى بعض الأحيان . ان الأم تتمخض بوليدها ساعات معدودة ، لكنى ظللت أتمخض بهذا الكتاب قرابة ستة أعوام كاملة ، قرأت خلالها ما استطعت ان أحصل عليه من كتب آباء الكنيسة القديسين ، المخطوط منها والمترجم الى لغات حية ، بالاضافة الى عديد من الكتب الأخرى .. لقد احتوى هذا الجزء من الكتاب على ثمانية موضوعات ، لكن هذه الموضوعات الثمانية هى محصول اطلاع لأكثر من مئتى كتاب ، منها ما لا تستطيع يد القارىء العادى أن تتناوله اما لصعوبة الحصول عليها ، أو حتى لمجرد القراءة فيها .. ذكرت ذلك حتى لا يعد البعض السنتين والنصف التى انقضت على ظهور الجزء الأول من بستان الروح فترة طويلة تستلزم اللوم وتتطلب الاعتذار .. وحتى يحسوا ، كم هى شاقة ومضنية مهمة التأليف والكتابة ، فيقبلوا على القراءة بشغف . عالمين انهم بقراءة كتاب واحد كهذا ، يوفرون على أنفسهم مؤونة البحث والاطلاع فى عشرات الكتب الأخرى ..

واذا كنا قد عرضنا لنواحى الجهد التى تطلبها هذا الجزء من الكتاب ، فلا نذكر ذلك على سبيل الفخر ، لأننا نؤمن أن هذا « البستان الروحى » المتواضع هو من غرس الله ، وهو ثمرة صلوات كثيرة رفعها كثيرون لكى يتحنن الرب ويعطى نعمة .. فليس لنا فضل فى شىء اذن ، فان كنا نتكلم فكأقوال الله ، وان كنا نعمل فمن نعمة يعطيها الله ..

انه لمن دواعى السرور أن يصدر كتاب « بستان الروح » بجزئيه — وهو باكورة انتاجنا — فى عهد قداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس الذى نسأل الله أن يديم سلامته ويحفظ حياته ويثبت كرسيه بالبر والعدل

لخير الكنيسة ، نقدمه اليه لكى يبارك هذا العمل المتواضع ويجعله الرب بصلواته ــ سبب خلاص كثيرين .

وان كان الشكر واجبا لمستحقيه ، أرى لزاما على أن أتقدم بعميــق شكرى الى آباء دير السيدة العذراء (السريان) العامر اللذين آزرونى بصلواتهم ، وفى مقدمتهم وعلى راسهم الحبر الجليل الأنبا ثاوفيلس أسقف الدير وكوكب برية شيهيت المقدسة .. الأسقف المصلح المســتنير الذى لا يألو جهدا فى سبيل خدمة الكنيسة وازدهار الرهبنة وخدمة أولاده الرهبان بروح المحبة والوداعة والتضحية وانكار الذات ، الرب يحفظ حياته ويعوضه اتعابه الكثيرة ، ويكثر اولاده الصالحين بطلبات العذراء والقديسين .

لقد قدمت فى الجزء الأول من الكتاب شكرى لأحد آباء الدير الذى على الرغم من انه أسهم بنصيب كبير فى مادة الكتاب سواء بكتاباته أو بتوجيهاته ونصائحه القيمة ، الا انه أبى ــ فى انكار ذات نسكى ــ أن يذكر اسمه .. وفى هذا الجزءأيضاأعودفأكرر شكرى الى هذا الأب ، لكن بعد أن تم فيه وعد الرب ، وابت الكنيسة أن تترك سراجا منيرا تحت مكيال ، فرفعته ووضعته على المنارة ليضىء لكل من فى البيت .. هكذا انتقل السراج المنير من أعماق البرية الى قلب الاكليريكية ومدارس التربية الكنسية .. نقل السراج رغما عنه من مغارة التوحد الى مغارة التعليم والرعاية .. نعم ، يحلو لى الآن أن أقدم شكرى له بالاسم .. الحبر الجليل الأنبا شنودة ، الرب يحفظ حياته ويكثر الأثمار على يديه .

واقدم الشكر للاخوة القائمين بخدمة التربية الكنسية بالجيزة على جميل معاونتهم فى طبع جزئى الكتاب .

كما أزجى الشكر ايضا لكل الاخوة المحبين الذين عاونوا فى أية صورة من الصور فى اخراج هذا الكتاب . الرب يعوضهم جميعا عن أتعابهم فى أورشليم السمائية .

وانى اذ أضع هذا الكتاب المتواضع بين يدى الرب الذى أحبنا وهدانا ، اسأله أن يجعله بركة لجميع الذين يقرأون فيه كلمات الروح والحياة . واخص منهم الاخوة والأبناء الأعزاء طلبة الكلية الاكليريكية وخدام التربية الكنيسة فى سائر الكرازة المرقسية . وأسأله أن يؤازرنى بنعمته لاخراج الكتاب الثالث من هذا المؤلف ان أحب الرب وعشنا ..

وليتمجد الرب فى ضعفنا ؛ وله كل مجد دائما أبديا آمين ؟

١٩ مارس ١٩٦٣ } تذكار ظهور الصليب
١٠ برمهات ١٦٧٩

الراهب القمص
شنودة السريانى

... فى طريق كنعان

ان كان الجزء الأول من « بستان الروح » قد حدثك عن كيفية الهروب من عبودية فرعون ، فان هذا الجزء يحدثك عن كيفية الوصول الى كنعان. ان كان ذاك قد شرح لك كيف تنهض من جوار أنهار بابل وتترك أرض السبى فان هذا يشرح لك كيف تبنى هيكلا للرب وتسبح فيه تسبحة جديدة.

الحياة الروحية ليست مجرد جهاد سلبى ضد الخطية ، وانما لها عنصر ايجابى وهو النمو فى الروح حتى يصل الانسان الى الملء ، مسكين ذلك المجاهد الذى يقضى حياته فى صراع مع الخطية ، يشتهى ويقاوم شهوته ويقع ويقوم ثم يقع ويقوم .. الى غير استقرار ، دون أن ينظر ويذوق ما أطيب الرب .

الذى لم تدخل محبة الله الى قلبه ولم يلتصق انسانه الداخلى بالرب، لا ينتظر أن يقف على قدميه فى طريق الملكوت ، فهو متعثر أبدا . زرعه الروحى لا يمتص عصارة الحياة الحقيقية فسرعان ما يذبل ويموت .. وبناؤه الروحى على غير أساس لا يحتمل أن يقاوم صدمات الريح وسيول الأمطار .

لذلك كان لا بد لكل أحد أن ينمو فى محبة الله ، وتكون هذه المحبة هى الأساس الذى يرتكز عليه كل عمله الروحى . وكلما تنمو محبة الله فى قلبه تطرد محبة العالم من داخله . فاذا كملت محبته لله كمل جحدانه للعالم وحينئذ يصل الى عبارة معلمنا بولس الرسول الذى قال فيها « صلبت للعالم وصلب العالم لى » (غل ٦ : ٤) .

ولكن الانسان لا يمكنه مطلقا أن يسلك فى طريق الروح بدون معونة من الله ، الذى يحمله فى حنو على جناحى نعمته طوال مدة غربته على الأرض . وبدون النعمة يكون كل عمل الانسان هو اتكال باطل على ذراعه البشرى ، وملعون من يتكل على ذراع بشرى كما يقول الكتاب .

ولما كانت للنعمة وسائط روحية خاصة تعمل بها وعن طريقها تقدم عطاياها لمحبى الله ، لذلك ينبغى لكل سائر فى طريق الله أن يمارس وسائط النعمة هذه وينال بركتها وفاعليتها فى حياته .

فما هى وسائط النعمة هذه ؟

الصـــلاة :

+ أول واسطة من وسائط النعمة هى الصلاة والصلاة لها فروع كثيرة:

منها صلوات الساعات بما فيها من مزامير وقطع وأناجيل وتحاليل ... وليست هذه الصلوات عمل خاص بالرهبان كما يخيل للبعض ، بل هى على الأصح طقس العلمانيين . اما الرهبان فعملهم هو الصلاة الدائمة التى لا تنقطع والتى صلوات الساعات مجرد فرع منها .

وهناك صلوات المناسبات التى تتلوها فى أية مناسبة تخلطها بصلاتك لتأخذ فيها نعمة . فى دخولك وفى خروجك ، قبل الأكل وبعده ، قبل القراءة وأثناءها وبعدها ، قبل البدء بأى عمل أيا كان واثناءه وبعد اكماله ، فى الضيقات والمشاكل ، فى مقابلاتك للناس ونقاشك معهم ، فى مصادمتك للعثرات .. الخ وهكذا تصطحب الله فى كل ما تمتد اليه يدك حتى تنجح فى كل ما تعمله . وهناك الصلواتالقصيرة المتكررة مثل صلاة « يارب يسوع المسيح ارحمنى » أو « اللهم التفت الى معونتى . يارب اسرع واعنى » أو أية صلاة أخرى تترك فى قلبك تأثيرا وتنفعل بها عاطفتك . يضاف الى كل هذا صلواتك الخاصة التى تنسكب فيها نفسك أمام الله . حيث لا تتلو شيئا محفوظا ، وانما تعبر عن مشاعرك فى طلاقة حسبما تعطيك النعمة أن تنطق .

+ والصلوات أيضا على انواع : منها صلوات الطلب وهى أقلها نوعا وان كانت اشهرها . والقديس باسيليوس الكبير يحذر من البدء بها لئلا يظن انه لولا الطلب ما كنت تتحدث الى الله .

ثم صلوات الشكر ، والكنيسة تضعها فى مقدمة صلواتها عموما . وصلوات الانسحاق والندم والاعتراف بالخطايا وتبكيت النفس أمام الله ، وهى صلوات قوية المفعول جدا أمام الله تستطيع — فى ضعف — أن تجاهد مع الله وتغلب . وهناك أيضا صلوات التسبيح والتمجيد ، وهى أسمى أنواع الصلاة جميعا . فيها يتغنى الانسان فى صلاته بصفات الله الجميلة . انها طقس السيرافيم والأربعة والعشرين قسيسا . ومن أمثلتها قطع كثيرة جدا من القداس الغريغورى كصلاة الصلح و« مستحق وعادل » .... والفقرات الأولى من « ارحمنا يا الله ثم ارحمنا » .

وأنت ايها الأخ المحبوب تمسك بالصلاة بقدر ما تستطيع شاعرا انها سلاحك القوى الذى به تحارب وتنتصر وان كان السيد له المجد قد قال « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا » (يو ١٥ : ٥) فاحرص اذن أن تدخل الرب فى كل عمل تعمله. التصق به طول يومك وخذ منه معونة خاصة فى كل ما تقدم عليه من أمور.

قد تحارب بأنه ليس لديك وقت كاف وفى الواقع سامحنى اذا قلت لك اننى لا استطيع أن أوافقك على هذا . أمل الى قلبك لاتفاهم معه . هناك ضروريات لا شك انك مطالب بها . ولكن هل عملك طول يومك هو فى ضروريات فقط . الا توجد كماليات تشغلك ؟ الا توجد خطايا تشغلك ؟ الا تشعر انه لا بد يوجد وقت ضائع تفتقده فى ما لا يفيد . اننى أتوسل اليك من أجل تحويل هذا الوقت الضائع الى عمل روحى على قدر ما تساعدك النعمة فى التنفيذ ..

نقطة أخرى لا شك انك تدركها ، وهى أن عقلك آلة دائبة العمل لا تتوقف لحظة عن التفكير . ان لم تشغله فى الروحيات انشغل ولا شك فى أمور أخرى . فالذى أريده منك هو عملية تحويل لمجرى تفكيرك عندما يكون مشغولا بأمور غير لازمة جوهرية لحياتك . مثال ذلك ، وانت سائر فى الطريق ، وانت فى طرق المواصلات ، وانت فى زحمة الخلطة مع الناس لا شك ان عقلك يعمل . لماذا لا تشغله فى عمل روحى فتستفيد روحيا وتنجو من عثرات وأخطاء كثيرة .. ؟

لقد نجح داود النبى فى أمر الصلاة نجاحا عجيبا . كان ملكا ، وكان قائدا للجيش ، وكان قاضيا للشعب ، وكانت له أسرة كبيرة وزوجات كثيرات .. وعلى الرغم من كل هذا استطاع أن يقول « محبوب هو اسمك يارب فهو طول النهار تلاوتى » وكان يسبح الله « عشية وباكر ووقت الظهر » وعندما يمضى الى النوم يقول « كنت اذكرك على فراشى وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك » وقبل الأسحار كان يصلى « سبقت عيناى وقت السحر لاتلو فى جميع أقوالك » وفى نصف الليل أيضا يقول « فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك » وفى النهار يقول « سبع مرات فى النهار سبحتك » . فمن أين كان الوقت لداود ليثبت فى كل هذا ؟ ان من يكون له القلب يكون له الوقت أيضا . من يشتعل قلبه بمحبة الله ، لا شك انه سيجد وقتا للرب ، سيعرف كيف ينظم أوقاته ، ويلغى ما يمكن الغاؤه ، ويقصر ما يمكن تقصيره ، ويدخر من كل ذلك وقتا من أجل صلته المباشرة بالرب .. وبالاضافة الى هذا يخلط أعماله الأخرى بعنصر الصلاة فتتخللها الصلاة وتعطيها حياة وقوة وروحانية ..

القراءات الروحية :

بالصلاة تتحدث الى الله ، وبقراءة الكتاب المقدس تستمع الى صوت المتحدث اليك . ومن هنا كان الكتاب المقدس واسطة هامة من وسائط النعمة تتلمس بها مشيئة الله وتعرف قصده ، وتحصل على القوة الكامنة فى كلامه « لأن كلمة الرب حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين .. »

(عب ٤ : ١٢) وبها يحيا الانسان فى الرب لأنه يحيا « بكل كلمة تخرج من فم الله » (متى ٤ : ٤) لا يقل أحد « اننى اقرأ ولا انمو فى الروح » . ففى الغالب ان هذا الانسان لم يعرف بعد كيف يقرأ الكتاب ، وكيف ينكشف الروح الذى تحمله الالفاظ فى داخلها . اخشى أن يكون واقفا يتأمل جمال الألفاظ من الخارج ولا علاقة له بالروح الذى فيها . .

اما أنت ايها الأخ المبارك فاقرأ الكتاب بالروح ، اطلب من الله أن يعطيك نعمة لتفهم كلامه المحيى . قل له مع داود « اكشف يارب عن عينى ، فأتأمل عجائب من ناموسك . غريب أنا فى الأرض فلا تخف عنى وصاياك » . وحاول أن تتفهم روح الكلام الذى تقرأه ، وتستخلص المعانى الروحية ، وتتأملها ، وتطبق على نفسك ، وتخرج بنتيجة عملية تنمى صلتك بالله ، وتختم قراءتك بالصلاة طالبا من الرب معونة لتنفيذ وصاياه ومعترفا أمامه بنقائصك وخطاياك التى كشفتها القراءة . . . فى كل مرة تقرأ ، اخلط القراءة بحياتك ، وخذ منها قوة ، واخرج بحل عملى وعزم جديد اعرضه على الله فى صلاة حارة ولتكن روحه معك ان تشاء وأن تسعى . .

وان كانت قراءتك للكتاب لازمة هكذا لنموك ، فكذلك أيضا تغذى روحك بالحب الالهى قراءة الكتب الروحية وسير القديسين . لست أقصد القراءة التى تحشو ذهنك بالمعلومات ، انما التى تملأ قلبك بالحب والنعمة والغيرة . اختر اذن نوع القراءة الروحية النافعة ، واقرأها بطريقة روحية نافعة .

وسائط روحية أخرى :

ان كانت القراءة الروحية واسطة أساسية للنمو فى النعمة ، فينبغى أن نضع الى جوارها **التأمل** . التأمل فى آيات الكتاب المقدس نوع ، وهناك أنواع أخرى تتدرج من التأمل فى الطبيعيات بتكشف الروحيات الموجودة فى المادة أو تناول الماديات بطريقة روحية ، الى تأمل فى موضوعات روحية معينة أو فى فضيلة من الفضائل . أو قد يكون التأمل فى سير القديسين ، أو فى طقس الملائكة الروحانيين ، حتى يصل الانسان الى تأمل فى الثالوث الأقدس ذاته وفى صفات الله الذاتية والنسبية .

من الوسائط الروحية أيضا المطانيات ، وهى ليست مجرد سجود والا كانت مجرد عمل جسدانى . انما المطانيات هى سجدات متوالية مصحوبة بصلوات قصيرة . قد تكون هذه الصلوات صرخات قلب نادم على خطاياه . يعترف أمام الله فى المطانيات بنقائصه وعيوبه ، ويبكت ذاته أمامه . . وقد تكون صلوات أخرى حسب حالة قلبه .

يعوزنا الوقت ان تكلمنا بالتفاصيل عن الوسائط الأخرى واحدة فواحدة. كالصوم ، ومحاسبة النفس ، والتداريب الروحية ، والاعتراف ، والتناول، والمواظبة على حضور الكنيسة فى القداسات والاجتماعات الروحية والخدمة .. الخ ، انما نترك هذا الجزء من بستان الروح يحدثك عنها فى شرح واسهاب .

كل هذه الوسائط لها فائدتها العظمى . ولكنها لا يمكن أن تفيد اذا ما اخذت بطريقة جافة أو حرفية ، أو اذا تحولت الى مجرد عادات أو ممارسات أو فروض . انها تفيد اذا كانت تمارس بطريقة روحية ، واذا كانت النعمة تعمل بها . حينئذ تؤتى ثمرها فى حينه ، وتقدم المرء يوما فيوما الى قلب الله .

ولقد شرح لك هذا الكتاب كثيرا من وسائط النعمة . وعليك أن تمارسها بنفسك وتختبر . وفى كل خطوة تخطوها ارفع قلبك الى الله واطلب منه نعمة تعينك . فليست الواسطة الروحية بذاتها هى التى تقدمك ، وانما نعمة الله التى تعمل فيك بها هى التى تستخدم الواسطة الروحية لخلاصك . لذلك سميت « وسائط النعمة » .

تقدم اذن فى طريق الله ، والرب معك يصنع بك عجائب . ارجو أن يكون هذا الكتاب واسطة من وسائط النعمة بالنسبة اليك ، يستخدمه الله ليثير محبته فى قلبك ، ويجعل هذه المحبة تختلط بكل عمل روحى تعمله ، فترتبط به روحك ، على الدوام ، والى غير انفصال ..

ومن كل قلبى اشكر قداسة الأب العزيز القمص شنودة السريانى على المجهود الكبير الذى بذله فى هذا الكتاب على الرغم من امراضه ومشاغله . الهنا الصالح يكافئه خيرا فى ملكوته .

٢٣ مارس ١٩٦٣
١٤ برمهات ١٦٧٩ } تذكار الأنبا شنودة البهنساوى



اسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية

كيف ؟

« وجلس يسوع تجاه الخزانة ، ونظر كيف يلـقى الجمع نحاسا فى الخزانة . وكان أغنياء كثيرون يلقون كثيرا . فجاءت أرملة فقيرة والقت فلسين قيمتهما ربع . فدعا تلاميذه وقال لهم الحق اقول لكم . ان هذه الارملة قد القت اكثر من جميع الذين القوا فى الخزانة . لأن الجميع من فضلتهم القوا . وأما هذه فمن اعوازها ألقت كل ما عندها ، كل معيشتها ».
(مر ١٢ : ٤١ — ٤٤)

جلس يسوع فى الهيكل تجاه الخزانة التى يقدم الناس فيها عطاياهم وتقدماتهم ، ونظر كيف يلقى الناس تلك العطايا والتقـدمات .. وكانت المفاجأة على عكس ما توقع الجميع .. أرملة لم تلق سوى فلسين واذا بالرب يشهد عنها انها القت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة ..

ونحن نلاحظ فى هذا المقام أن الرب يسوع لم يجلس لينظر كم يلقى الناس ، بل كيف يلقون . ان « كم » هذه يستطيع الناس أن ينظروها ويدركوها ، أما « كيف » فما يستطيع أحد أن يدركها الا الرب وحده ، وما يستطيع أحد أن يقف على حقيقتها سواه . اننا نذكر هذا الأمر بمناسبة ما نحن بصدده من الحديث عن وسائط النعمة التى هى موضوع هذا الكتاب ..

ان الرب يسوع الذى جلس فى الهيكل تجاه الخزانة فى ذلك الزمان **هو بعينه حال فى هيكلك الذى جبلته يداه ، يرصد خزانة قلبك** .. ان « كم » لا تهمه بقدر ما تهمه « كيف » ، وهو مزمع أن يدين الناس فى يوم الدينونة العظيم حسب « كيف » وليس حسب « كم » .. انه **سيسألنى :**

كيف صليت ، وليس كم صلاة صليتها ، وكم مزمورا حفظته ، وكم صلاة استظهرتها . فقد اكون قد صليت طويلا ولكن بدون روح ، **فيعيد** الرب على مسمعى قوله « **الروح هو الذى يحيى ، أما الجسد فلا يفيد شيئا** » (يو ٦ : ٦٣) .

كيف صليت وليس كم ساعة كنت أصليها فى اليوم . ربما وقفت طويلا للصلاة ، لكن عقلى كان يطوف فى العالم أثناء الصلاة ، وكان ينبغى ان « أصلى بالروح واصلى بالذهن ايضا » (١ كو ١٤ : ١٥) .

كيف صمت ، وليس كم يوما ولا حتى كم سنة صمتها ؟ ! هل كنت اصوم عن طعام الجسد فقط ، أم كان صومى عن « كل شر بطهارة وبر » .. هل كنت اصوم صوم الجسد أم صوم الروح . كيف كنت تأكل .. هل بشهوة أم من أجل قيام الطبيعة وقوة الجسد .. ؟ !

كيف كنت أتصدق ، وليس كم من المال قدمت صـــدقة .. هل كنت أتصدق من أجل مجد الناس أم محبة فى الرب وفى عبيده الذين هم أخوتى « ان أعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا » (نش ٨ : ٧) .. لقد تحول فلسا الأرملة فى يد الرب الى قيمة كبيرة ، وذلك من أجل الدافع المقدس الذى حركها الى تقديم « كل ما عندها ، كل معيشتها » ..

ان الله سيسألنى كيف كنت اقرأ الكتاب المقدس وليس كم اصحاحا او سفرا قرأتها .. وهل كنت اشعر بالفعل أن هذه القراءة كانت غذاءا لروحى أم انها مجرد قراءة ؟

والله سيسألك ايضا كيف كان قلبك يلتهب من أجل تقديس اســـمه واتيان ملكوته .. وليس كم من الزمان قضيته فى خدمته ... هل كنت تخدم خدمة العين كمن يرضى الناس ، أم كعبد المسيح عاملا مشيئة الله من القلب ..

كيف ... وكيف ... وكيف ؟ !

ان كيف هذه هى الروح التى تصنع بها الأشياء وتعمل ، وهى المحبة التى بدونها كل أعمالنا باطلة . الله روح والذين يعبدونه يجب أن تكون عبادتهم بالروح .. وهذه الروح هى « كيف » .

ان الأرملة التى مدح السيد الرب عطاءها تفوقت على كل الذين **دفعوا قبلها** ، وسبقت الذين زادوا عنها فى كم العطاء .. وهكذا أولون يكونون آخرين ، وآخرون يكونون اولين .

من يظن ومن يصدق أن هذه الأرملة المسكينة دفعت أكثر من الجميع .. ومن يصدق أن فلسين قيمتهما ربع يصبحان أكثر من الدراهم والدنانير الكثيرة .. من كان يصدق هذا لولا شهادة الرب ذاته الذى يفحص القلوب ويعلم الدوافع والنيات ؟ !

بدون « كيف » يمكن للاغنياء أن يرثوا الملكوت بتقدماتهم واموالهم ، ولكن انى لهم ذلك . ان الرب يسوع جالس تجاه قلبى وينظر كيف أتصدق ، كيف اصلى ، كيف أصوم ، كيف أجاهد ضد الأفكار ، كيف اقهر الشهوات ، وكيف أحيا بالجملة . .

ان « كيف » هذه تدفعنى دائما الى النظر تجاه الله ، لأنه هو الوحيد الذى يعرفها . أما الناس فلماذا أهتم بهم ، ولماذا أحاول الحصول على رضائهم طالما هم يحكمون حسب الظاهر !!

ان الكلام عن « كيف » يقودنا الى الكلام عن خطأ آخر كثيرا ما نقع فيه ، وهذا الخطأ هو « **عبادة الناس** » . ونعنى به أن يهدف الانسان فى كل تصرفاته الى ارضاء الآخرين .

عبادة الناس

ماذا تستهدف من عبادتك وممارساتك التقوية ، هل تستهدف ارضاء الناس أم ارضاء الله ؟ اسمع يا أخى الرد من فم الرسول بولس « **لو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبدا للمسيح** » (غل ١ : ١٠) .. مفروض أن العبادة بجملتها تقدم لله دون سواه ، فان انت استهدفت بعبادتك وبحياتك بجملتها ارضاء الناس ، فهذه عبادة الناس . انت فى هذه الحالة تعبد الناس حتى لو لم تشعر ، أو حتى لو ابيت أن تقر بذلك ..

وها نحن نستعرض أمامك بعض نواحى ممارساتك :

صــلاتك :

ما هو شعورك حينما تقف للصلاة مع آخرين ؟ وماذا تفعل لو طلب اليك أن تصلى فى اجتماع ما ؟ ان البعض حينما يقفون للصلاة مع آخرين ويطلب اليهم ان يصلوا يرتبون صــلاتهم ويزودونها بالآيات والاصــطلاحات المحفوظة .. **انه فى كل لفظ من الفاظ الصلاة يجعل اعتبارا للمصلين معه** . ان هذه الصلاة **مقدمة للناس وليس لله** . **انطلق من عبادة الناس واشعر انك بمفردك أثناء الصلاة حتى لو كنت تصلى مع ربوات من الناس .**

وفى الكنيسة **أيضا حينما تقف للصلاة أشعر انك بمفردك** . لا تسجد لأن الناس يسجدون أو لأن الغالبية العظمى تسجد ، أو لأن بالكنيسة بعض الناس ممن يعرفونك ولديهم فكرة طيبة عن حياتك الروحية فى الكنيسة . كثير من الناس لا يدرون متى يقفون ومتى يجلسون ومتى يسجدون ، انما هم فى الكنيسة مقلدون . ويوجد فريق من هؤلاء المصلين يؤدون مظــاهر العبادة الخارجية من صلاة وسجود لكى يظهروا أمام الناس . ان هؤلاء لهم صورة التقوى . ان هذه ليست عبادة لله ، بل للناس . لا تجلس لأن الناس يجلسون ، ولا تقف لأن الناس يقفون .. اشعر بهيبة المكان وقل مع يعقوب اسرائيل « حقا ان الرب فى هذا المكان وانا لم اعلم . ما ارهب هذا المكان . ما هذا الا بيت الله وهذا باب السماء » (تك ٢٨ : ١٦ ، ١٧) .. **اشعر انك قائم أمام المسيح فلا تهتم بمن عداه . ان المسيح امامك على المذبح .**

صــــدقاتك :

ولماذا تقدم عطاءك للكنيسة أثناء خدمة القداس ؟ أو هل تدفع لأن حامل الطبق يعرفك فتخجل منه ، وهل تدفع قدرا كبيرا من النقود مجاملة له . أم هل تدفع لأن الجالس الى جوارك يعرفك ؟ ان دفعت من أجل هؤلاء سواء لتنال مجدا منهم أو خجلا منهم فهذه عبادة لناس . رتب حيـــاتك بطريقتك الخاصة ولا تخجل من انسان ، ولا تتصرف تصرفا معينا ابتغاء مرضاة انسان كائنا من كان هذا الانسان . هنا الانطلاق من عبادة الناس .

تذكر **الأرملة التى دفعت الفلسين واذكر مديح الرب لصنيعها** لأنه نظر كيف كانت تدفع . تشبه بها وتذكر كلمات الرسول : « كل واحد كما ينوى بقلبه ليس عن حزن أو اضطرار . لأن المعطى المسرور يحبه الله » .

هناك كثيرون ممن يتبرعون للكنائس وليس لهم من هم الا ذكر أسمائهم حتى يمجدهم الناس .. مساكين هؤلاء الناس ، الا فليستمعوا الى قول الرب المخيف « الحق أقول لكم ، انهم قد استوفوا أجرهم » .

خدمتـــك :

حينما تشعر بتعزية فى الخدمة اعط المجد لله. لا تحاول أن تأخذ المجد لنفسك . يحدث أحيانا كثيرة أن الانسان يريد أن يطمئن الى مشاعر الناس من خدمته وماذا يقولون عنها وعنه .. فيسأل بعض المستمعين سؤالا استنكاريا كأن يقول مثلا « لقد كنت متعبا اليوم وشعرت أن كلماتى فى الخدمة فاترة » فيكون جواب هؤلاء الناس فيه مجاملة فيبدأون فى مدحـــه ومدح الخدمة ، حينئذ يقول « أنا ضعيف .. ده عمل ربنا » . والواقع أن هذه الكلمات سببت له رضا .. **انها عبادة الناس ، لا يجب أن نكذب على ذواتنا ونخدعها** .

ومن مظاهر عبادة الناس فى الخدمة :

خادم يعظ فى اجتماع قرويين أو عمال أو مدرسى مدارس الأحد يدرس فى فصل أطفال أو أولاد صغار .. فاذا حدث أن جاءت شخصية لها مكانتها لتستمع الى العظة أو الدرس فان هذا الخادم يبدأ فى الارتفاع بمستوى كلامه متخطيا بذلك مستوى المخدومين غير حاسب لهم حسابا لأنه فى هذه الحالة يريد ارضاء هذا الكبير الذى دخل ليستمع .. أليست هذه لونا من عبادة الناس . وان لم تكن فماذا تكون اذن ؟ !

وهذا شماس يخدم بالكنيسة أثناء القداس سواء داخل الهيكل أو درجه يتعجب بصوته ، ويقـــدم خدمته للنـــاس لكى يعجبوا به

ويمدحوه .. مسكين هذا الانسان الذى يترك المسيح الكائن على المذبح ويترك مرضاته ليرضى الآخرين .. يجب أن تكون مردات الشمامسة فى روحانية وتقوى واتزان .

بركات الانطلاق من عبادة الناس :

* **تخلص زكا من عبادة الناس** . لم يفكر فيما سيقوله الناس عنه حينما يتسلق جميزة محاكيا بذلك الصغار .. لكنها شهوة مقدسة تملكت على قلبه ، فقد « أراد أن يرى يسوع من هو » . من أجل هذا ترك المسيح الجموع المحتشدة على جانبى الطريق ونظر الى ذلك الانسان الذى أحبه وفتح قلبه لاقتباله .. وقال له « اسرع وانزل يا زكا لأنه ينبغى اليوم أن أكون فى بيتك » .. ان كلمة ينبغى معناها انك ألزمتنى يا زكا بتصرفك هذا أن أكون فى بيتك .. وهكذا نال زكا الخلاص هو واهل بيته .

* **والمرأة الزانية** التى انتهزت فرصة وجود الرب فى بيت سمعان الفريسى وجاءت من ورائه باكية حتى غسلت قدميه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها ثم أخذت تقبلهما ودهنتهما بالطيب .. كل الحاضرون فى البيت يتغامزون عليها وعلى الرب نفسه وكانوا يقولون « لو كان هذا نبيا لعلم من هى المرأة التى لمسته وما حالها انها خاطئة » .

هذه المرأة تخلصت من عبادة الناس ولم تبال بهمساتهم وغمزاتهم ولم تؤخر توبتها حتى يخرج يسوع من هذا المنزل الخاص بل نسيت كل هذا .. كان أمامها هدف مقدس هو التوبة والخلاص . من أجل هذا استحقت أن تسمع من الرب حكم براءتها « مغفورة لك خطاياك » .

* **ماذا يهمك من الناس حتى تتعبد لهم وتستعبد ذاتك لهم ..** انطلق منهم واشعر انك أنت أمام الرب دائما . اننا أولاد الله ومنه نطلب الرضا وحسن الجـــزاء .

ماذا ينفعنى لو شهد العالم كله بقداسة سيرتى وتقواى ، هل هـــذا ينفعنى ؟

ليتنى أكون للرب ومعه دائما مرددا الأنشودة الحلوة :

« أنا لحبيبى وحبيبى لى » ..

الصلاة

« اسألوا تعطوا ، اطلبون تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم »
(مت ٧ : ٧)

* الصلاة : سموها واقتدارها .
* حاجتنا الى الصـــلاة .
* شروط الصلا ةالمقبولة .
* سر الصلوات المستجابة .
* من مشجعات الصلاة .
* تاخر استجابة الصلاة .
* كيف نصـــلى ؟
* بعض مشاكل الصـــلاة .
* الصلاة الدائمة .
* الصلاة وفق قانون .

الصلاة سموها واقتدارها

ما هى الصـــلاة ؟

لا تحسب يا أخى هذا السؤال سهلا هينا ، ولا تظن انك تســـتطيع الاجابة عليه فى سهولة ويسر ، وهوذا تلاميذ الرب انفسهم كانت تعوزهم هذه المعرفة ، حتى انهم سألوه يوما قائلين « يارب علمنا أن نصلى » (لو ١١ : ١) . وحتى القديسون أيضا تنوعت اجاباتهم فى تعريف الصلاة. لقد وصـــفها كل قديس وكل رجل صـــلاة وصـــفا خاصا ، ليس كما سمع عنها ، ولا كما قرأ ، ولكن كما اختبرها فى حياته المقدسة مع الهه .. فمن قائل **انها مفتاح السماء ، وشفاء السقماء ، وحفظ الأصحاء ، الى قائل بأنها سلاح بتار ، ومعين جبار ، وشفيع ذو اقتدار ، الى ثالث وصفها بأنها ميناء أمين ، وكنز ثمين ، وعمل الروحانيين ..**

قال القديس يوحنا ذهبى الفم « الصلاة سلاح عظيم ، كنز لا يفرغ ، غنى لا يسقط أبدا ، ميناء هادىء .. هى مصدر وأساس لبركات لا تحصى . هى قوية ، بل أشد من القوة ذاتها .. » .

ويعرف القديس باسيليوس الكبير الصلاة بأنها « التصاق بالله فى جميع لحظات الحياة ومواقفها ، فتصبح الحياة صـــلاة واحدة ، بلا انقطـــاع ولا اضطراب » .

ويعرفها القديس اغسطينوس فيقول : « هى مفتاح السماء ، بقوتها نستطيع كل شىء .. هى حمى نفوسنا ، مصدر لكل الفضائل ، السلم الذى نصعد به الى الله . هى عمل الملائكة . اساس الايمان » .

أما مارى اسحق ، العظيم فى العارفين فيعرفها بحكم اختباراته فيقول « الصلاة هى ذكر الله الدائم فى قلب خائفيه .. هى طيران عقلنا لله .. هى تفرغ الضمير من جميع الأمور الحاضرة ، وقلب قد شخص نظره بالكمال لاشتياق الرجاء المزمع .. الصلاة هى نبضات الارادة الحية بالله ، الميتة عن الحياة اللحمية .. الصلاة الحقيقية والموت عن العالم هما سواء ، وهذا هو جحود الانسان لنفسه اى أن يكون مداوما للصلاة .. **الصلاة هى صراخ العقل الذى يصرخ بدون ارادة من حرقة القلب** » .

الصلاة هى أداة اقتراب الانسان من الله ، فهى جوهر الدين بل قلبه ، فلا دين بغير صلاة . هى أقدم الفرائض عهدا وأوسعها انتشارا . ويعتقد

الكثيرون انها أقدم عهدا من الذبائح ، لأنها أساس الذبائح فى كل الديانات . فمنذ العصور الأولى بدأ الناس « يدعون باسم الرب » . ان الصلاة أمر فطرى غريزى ، وهى من أدق الفعال والحالات النفسية التى يصعب على المرء أن يجيد وصفها .. انها تتحدى كل وصف وكل تعبير ، وهى أعمق من كل لغة ينطق بها البشر .. **الصلاة هى نبضات القلب المستمرة ، كلمات شفاهنا، افكار عقولنا ، أفعال حياتنا .. انها وصول أرواحنا الى مصدر النعمة ، كآنية نقتبل فيها عنصر الحياة والسلام ..**

لسنا مبالغين فيما قلناه عن الصلاة .. يكفى أن الرب يسوع أعطاها كل القوة والاقتدار أن تعمل « كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (مت ٢١ : ٢٢) . من أجل هذا يوجه الرسول بولس أنظار المؤمنين اليها.. الى أهميتها وأولويتها فيقول « **فأطلب أول كل** شىء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس .. **لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله** » (١ تى ٢ : ١ — ٣) .. « **لا تهتموا بشىء بل فى كل شىء بالصلاة والدعاء** مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله » (فى ٤ : ٦) .

سمو الصـــلاة :

رأينا آنفا كيف أن الصلاة « تقتدر كثيرا فى فعلها » . ومن ثم لا نعجب اذا كان **عمل الصلاة سام ومرتفع أكثر من كل عمل آخر .. ولسمو الصلاة وعلوها ، عين الرب الملائكة لتقديمها اليه ..** « وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب ، وأعطى بخورا كثيرا **لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش** . فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله » (رؤ ٨ : ٣ ، ٤) . ان الصـــلاة التى تمارس حسنا ترضى الله كثيرا ، وتبهج الملائكة وكل السمائيين . **وقد عبر يوحنا الرائى** عن ذلك بقوله وهو يتحدث عن الأربعة وعشرين قسيسا « ولهم جامات من ذهب مملوءة بخورا هى صـــلوات القديسين » (رؤ ٥ : ٨) . **ويقول ذهبى الفم** « شبهت الصلاة بالبخور لرائحتها الزكية ، ولأنها تطهر النفس من نتن الخطية .. » . **قال الملاك لطوبيا** « لما كنت تصلى ، **أنا قدمت صلواتك أمام الرب** » (طوبيت ١٢ : ١٢).

قال مار اسحق « لأن المفاوضة الفردية مع الله هى عمـــل الرتب السمائية ، وأظهرت للناس بابن الله الذى نزل الى عالمنا وأرانا عمل غير المنظورين .. لأنه بهذا التدبير عتيد أن يكون جميع البشر فى القيـــامة العامة .. الصلاة هى عمل مرتفع متعال على جميع الفضائل ، وفضيلة أشرف من كل الأعمال .. عمل القديسين بنى النور هو عمل ميخائيـــل وجبرائيل ، ومن مائدة واحدة يقتاتون » . وقال القديس يوحنا ذهبى الفم « حينما تصلى ألا تتحدث مع الله ؟ أى امتياز مثل هذا !! » .

وهاك بعض أقوال الآباء عن سمو الصلاة ..

قال القديس يوحنا ذهبى الفم « تأمل » ، ما أعظم مرتبة السعادة التى ترتقى اليها بالصلاة ، وما أعظم شرف المجد المختص بها . **فانك تخاطب بها العالى ، وتتذاكر مع المسيح** .. بها تلتمس كل ما تشتهيه . انه لا يوجد لسان يمكنه أن يصف مقدار شرف التردد مع الله ومقدار الفائدة المختصة به . لأنه اذا كان الذين يعاشرون فى العالم اهل الحكمة والفطنة يصيرون حكماء وفقهاء بمذاكرتهم . وان كان الانسان يصير فاضلا بمعاشرة الأفاضل، فترى كم من الفوائد تصل الينا نتيجة المواظبة على التردد مع الله !! **قال المرتل : تقدموا اليه واستنيروا) ..**

وقال أيضا « **ليس شيء أقوى من الصلاة . لا شيء يعادلها** .. انسان دخل ليحدث الملك بحديث خاص معه فى حضرة كافة افراد الجيش من ضباط وقواد وذوى الرتب السامية المختلفة ، فالجميع سيرمقونه بنظرة اكبار واجلال ، هكذا الذين يصلون . تصور انسانا يدخل فى شجاعة واقدام ، ويتقدم من حضرة الملائكة والسارافيم والشاروبيم وكل القوات غير المتجسدة ، ويقترب من ملك هذه القوات جميعا ويتحدث معه . أى شرف هذا !! » . **وقال أيضا** « ان الصلاة تشبه عين ماء فى وسط بستان. فكل شيء بدونها يابس غير مثمر . وكل شيء بواسطتها رطب مزهر مبهج. ان الصلاة تحفظ فى حالة النضرة كافة الغروس المقدسة.. أعنى الفضائل».

فاذا كان للصلاة هذا الشرف العظيم والاقتدارات التى لا تحد ، فكم يجب علينا أن نشكر الله على ذلك ! **لو حدد الله مثلا موعدا معينا — كدفعة واحدة فى كل شهر لاجابة طلب كل من يطلب ، أفلا تعتبر هذه نعمة كبرى نشكر الله عليها ؟!** ولو فعل ملك ارضى مع رعيته مثل هذا ، الا يحسب الناس ذلك منة عظيمة ؟ ! فان كان الأمر كذلك ، فكم يجب علينا أن نعتبر النعمة المقدمة لنا من الله — لا مرة واحدة فى الشهر فقط ، بل كل يوم وكل لحظة !! **قال داود النبى « عشية وباكر ووقت الظهر ، كلامى أقوله فيسمع صوتى ويخلص بالسلامة نفسى »** (مز ٥٥ : ١٧ ، ١٨) .

وثمة ميزة أخرى لسمو عمل الصلاة نلمسه مما قاله يوحنا كسيان :
« الصلاة هى دعامة الواجبات الثلاثة التى على الانسان المسيحى الأول صلته بالله . الثانى بنفسه . الثالث بالقريب . فواجبنا نحو الله نقوم به فى الصلاة فندعو باسمه ونظهر حبنا وأمانتنا له وايماننا به ونعترف به كمنبع لكل البركات .. أما واجبنا نحو أنفسنا ، فبالصلاة نفتش ذواتنا ونقيس انسانا الروحى ، ونسعى لنكون أهلا لبنوة الله . وأما نحو القريب، فبأن نسأل ونطلب له كما لأنفسنا » .

حاجتنا الى الصلاة

ما اكثر حاجة الانسان للصلاة من اجل احتياجاته الروحية والجسدية معا.
ان العلاقة بين الصلاة وحياة الروح وثيقة لا تنفصم عراها . ان حياة الروح تتطلب — كأمر حيوى — حياة الصلاة المستمرة . أستطيع أن أكون تحت قيادة الروح بصفة دائمة ، اذا عشت حياة الصلاة المستمرة ..

بدون الصلاة لا تستقيم الحياة الروحية .. فى الصلاة الشفاء من كل زلاتنا ، وهى واسطة أمينة لصيانة ذواتنا فى الفضيلة .. انها كل شىء فى حياة المؤمن الحقيقى لأنها هى الشركة مع خالقه .. اذا كنا أغصانا فى الكرمة الحقيقية ، فلنحرص على وصول العصارة اللازمة لنا من الأصل دائما والا كان مآلنا الجفاف والسقوط ، وهذا ما نحصل عليه بالصلاة « **نعمة الثبات فى الله** » .. **ان الصلاة رباط متين يربطنا بالله ويشدنا بالسماء ويقينا شر السقوط والانحراف .. انها تخلصنا من كل الضوائق والمتاعب . وحتى اذا اعترانا فتور فى الصلاة ، فليس من علاج لهذه الحالة الا الالتجاء الى الصلاة عينها !!** ن الصلاة بالنسبة للحياة الروحية هى كاليد بالنسبة للجسد . فاليد عضو عام للجسد كله ، ومع ذلك فهى آلة خاصة لذاتها ، تخدم ذاتها . فاليد اذا كانت مريضة ، فاليد تداويها ، واذا كانت قذرة فاليد تغسلها ، واذا كانت باردة فاليد تدفئها .. وبالجملة فان اليد تعمل كل شىء ، وهكذا الصلاة .

ما اقوى الشبه بين عملية التنفس فى الانسان ، ولزوم الصلاة له .. فكما أن التنفس هو عملية ضرورية للحياة الجسدية ، كذلك الصلاة لازمة لنمو الحياة الروحية . اذا توقفنا عن التنفس ، فالنتيجة هى الموت الجسدى . واذا توقفنا عن الصلاة فسيلحقنا الموت الروحى .
التنفس هو تمدد وتقلص الرئتين ليدخل الهواء اللازم للحياة الى جسدنا ، والصلاة تجلب لنا محبة الله اللازمة لكياننا الروحى . توجد فوارق — ولا شك — بين التنفس والصلاة . فالتنفس عملية طبيعية آلية لا شعورية ، وبالجهد نستطيع ايقافها حتى لو أردنا . لكن الصلاة — من الناحية الأخرى — تحتاج الى ارادة وجهد . أيسر أن تتنفس من ألا تتنفس ، لكن ايسر الا تصلى من أن تصلى . يجب أن نتعلم كيف نصلى ، درجة درجة ، ونغصب نفسنا الى ذلك ...

وكما ان جناح الطائر يتطلب الطيران ، وزعنفة السمكة تنشد الماء ، كذلك غريزة القلب تتجه الى الله . وحسنا عبر أحد المعاصرين عن ذلك بقوله « **قلبى مفتقر اليك ياربى . قلبى مفتقر اليك ! ما من عنصر فى كيانى يفتقر اليك افتقار قلبى . فكل ما فى باطنى عداه ـــ قد يقنع بهباتك : جوعى** يشبعه القوت اليومى ، وعطشى يرويه الماء الأرضى ، وبردى يطرده نار الموقد . وتعبى تزيله الراحة الخارجية . **ولكن ما من شىء** خارجى يقوى على تطهير قلبى .. ان هذا العالم لم يدخل قلبى فى حسابه . فقد حسب حسابا لعينى وأذنى .. لكنه لم يحسب قط حسابا لقلبى .. » .

ونستطيع أن نلمس حاجتنا الى الصلاة بالنظر الى النقاط الآتية :

١ ـــ لأنها سر النصرة :

لا شك أن الصلاة هى سر النصرة . ليس من يجسر على القول انه فى غير حاجة الى الصلاة . ومن يجسر على هذا القول ، انما يظهر ضمنا انه فى غير حاجة الى الله ذاته والى عونه . **قال القديس يوحنا ذهبى الفم « اذا لاحظت أن انسانا لا يحب الصلاة ، فأعرف فى الحال انه ليس فيه شىء صالح بالمرة . فالذى لا يصلى لله هو ميت وليست فيه حياة » .**

ان ما رسمه الله فى علمه الأزلى ان يمنحه للنفوس ، رسمه أن يمنحه بواسطة الصلاة .. «اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم».. **انها تشبه سلم يعقوب الذى رآه فى رؤياه واصلا من الأرض الى السماء ،** وعليه تصعد الملائكة وتنحدر ، انما ليقدموا طلباتنا الى الله ، ويأتوا من لدنه بالبركات ..

ما أضعف الانسان وما أكثر احتياجاته الروحية والجسدية . وما اكثر أعدائه الروحيين !! انه ازاء كل ذلك يليق به جدا أن يردد على الدوام كلمات يهوشافاط ملك يهوذا حينما اجتمع عليه العمونيون والمؤابيون « يا الهنا أما تقضى عليهم ، لأنه ليس فينا قوة أمام هذا الجمهـــور الكثير الآتى علينا . ونحن لا نعلم ماذا نعمل ، **ولكن نحو أعيننا** » (٢ أى ٢٠ : ١٢) .

لقد كشف لنا الرب يسوع سر النصرة على أعدائنا الروحيين حينما قال « هذا الجنس (الشيطان) لا يمكن أن يخرج بشىء الا بالصلاة والصوم » (مر ٩ : ٢٩) .. لقد خبر الآباء القديسون الصلاة فوجدوها هكذا ، وهذا ما حدا بأحدهم الى القول انه **ليس شىء مرهوب للشيطان مثل أن يرى انسانا يصلى .**

ذكر عن القديس تادرس المصرى انه حال وجوده داخل قلايته بالأسقيط

اتاه شيطان محاولا الدخول فربطه خارج القلاية بصلاته . ووافاه شيطان ثان وحاول دخول القلاية فربطه القديس ايضا خارجها . ثم جاء شيطان **ثالث ، فلما وجد زميليه مربوطين ، قال لهما « ما بالكما واقفين هكذا** خارج القلاية ؟ » فأجاباه « **بداخل القلاية من هو واقف يمنعنا من الدخول »** فغضب هذا الأخير وحاول اقتحام القلاية ، لكن القديس ربطه كذلك بصلاته. فضجت الشياطين من صلوات القديس ، وطلبوا اليه أن يطلق سراحهم ، حينئذ قال لهم « امضوا واخزوا » فمضوا بخزى عظيم .

بعد أن ذكر القديس بولس أنواعا مختلفة من الأسلحة الروحية ، أضاف هذه العبارة الأخيرة « مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح » (اف ٦ : ١٨) . بحيث أن خوذة الخلاص وترس الايمان وسيف الروح الذى هو كلمة الله لا تغنى كلها عن الصلاة .

ما أكثر ما قاله الآباء القديسون فى هذا الصدد . قال القديس أغسطينوس « ليس أحد من المدعوين يقدر أن يفوز بخلاصه بدون معونة الله ، ولا أحد أيضا يستحق هذه المعونة الا بالصلاة » .. **ويقول القديس يوحنا الدرجى صاحب سلم الفضائل** « ان سر دوام النعمة والفضيلة هو فى دوام الصلاة.. **كل من يتوكأ على عكاز الصلاة لا تزل قدماه .. وحتى اذا زلت قدماه فهو لن يقع تماما ، لأن الصلاة سند للسائر فى طريق التقوى** » . وقال أحد الآباء « الصلاة هى وسيلة نمونا الروحى . فكما أنه تعالى رسم أن الجنس البشرى ينمو بواسطة الزيجة ، والأرض تخصب وتثمر بالفلاحة .. هكذا رسم بتدبير عنايته الالهية أن النفوس تنال نعما كثيرة بواسطة الصلاة . ولهذا قال السيد المسيح فى الانجيل المقدس : اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ ، ومن يطلب يجد ، ومن يقرع يفتح له » .

لقد دعاها اغسطينوس ((مفتاح السماء)) . وحقا انها مفتاح عظيم يفتح كل أبواب السماء وجميع خزائن الكنوز السماوية . بالصلاة ينفتح أمامنا باب التوبة ونمنح الغفران . وفى ذلك يقول مار اسحق ((الذى يتهاون بالصلاة، ويظن أن له بابا آخر للتوبة، فهو مخدوع من الشياطين)) .. بالصلاة يسكن خوف الله فى قلبنا ــ ورأس الحكمة مخافة الله ــ وما أصدق ما قاله أحد الآباء « تهتف الصلاة أم الفضائل هلم الى أيها البنون ، اصغوا الى فأعلمكم مخافة الرب » (مز ٣٤ : ١١) .

واخيرا فان الصلاة تنجينا فى يوم الدينونة العظيم . قال الرب يسوع « فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة ، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة ، لأنه كالفخ يأتى على جميع الجالسين على وجه

كل الارض . **اسهروا اذا وتضرعوا** فى كل حين لكى تحسبوا اهلا للنجاة من جميع هذا المزمع ان يكون ، وتقفوا قدام ابن الانسان » (لو ٢١ : ٣٤-٣٦) ..

٢ ـ وسيلة لنيل البركات :

وتاتى فى مقدمة بركات الصلاة عطايا الروح القدس، سواء فى تقديس الأسرار فى الكنيسة او فى حياتنا الخاصة .. قال الرب يسوع : « فان كنتم وأنتم اشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى الآب الذى من السماء **يعطى الروح القدس للذين يسالونه** » (لو ١١ : ١٣) .. ولما صلى الرسل عقب تهديدات رؤساء الكهنة نتيجة شفاء الأعرج « تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه **وامتلأ الجميع من الروح القدس** وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة » (أع ٤ : ٣١) .

والحق أن ثمة علاقة قوية بين الروح القدس والصلاة . فالروح القدس هو « روح الصلاة » .. لقد دعى هكذا فى (زك ١٢ : ١٠) « وافيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم **روح النعمة والتضرعات** فينظرون الى ... » . وفى رسائل القديس بولس أشير اليه مرتين بصدد الصلاة « **أخذتم** روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب» (رو ٨ : ١٥) ، « أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخا يا أبا الآب » (غل ٤ : ٦) . لقد استخدم الرب يسوع نفس الكلمات « يا ابا الآب » فى صلاته الختامية فى جثسيمانى (مر ١٤ : ٣٦) . فى احدى الآيتين السابقتين للقديس بولس نقرأ كلمة « نصرخ » ، والآية الأخرى نقرأ كلمة « صارخا » أى أن الروح القدس نفسه هو الذى يصرخ .. ولا شك أن هذا يوضح مقدار معونة الله للبشر فى الصلاة !!

ولعل الأمر يتضح اكثر اذا تأملنا كلمات بولس الرسول التى أوردها فى رسالته الى اهل رومية « وكذلك الروح أيضا يعين ضعفاتنا . **لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها** . ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هى اهتمامات الروح . لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » (رو ٨ : ٢٦ ، ٢٧) . وواضح من كلام الرسول اننا اذا تركنا لأنفسنا فاننا لا نعرف كيف نصلى ، ولكن روح الله يتدخل ويلتقى معنا فى ضعفنا « ويشفع فينا بأنات لا ينطق بها » ..

ان الصلاة تؤهلنا لبركات روحية كثيرة نلمس بعضها مما قاله مار اسحق السريانى :

* « **وليس فقط تكون الحروب عند المصلى كلا شيء ، بل انه يزدرى ايضا بالجسد الذى هو سبب القتالات** » .

* « **بالصلاة يكمل عمل التوبة** الذى هو ندم النفس والحزن ، وبها أيضا تتحرك النفس الى حركات تفوق سائر الحركات الجسدانية والنفسانية ، تلك التى يسميها الآباء التدبير الروحانى » .

* « من مداومة الصلاة ينمو فى المصلى ويتوفر له الحياء والحشـــمة من الله .. **بل من داوم الشخوص ولقاء الله فى الصلاة ، تخاف الالام من الدنو اليه كيفما اتفق** » .

* « **اذا ما اتحد الهذيذ بالصلاة النقية ، عند ذلك يكمل قول السيد : حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمى هناك اكون فى وسطهم ، ويعنى بالثلاثة النفس والجسد والروح ، او العقل والهذيذ والصلاة الطاهرة** » .

* « **لأن حرارة الصلاة والهذيذ تحرق الآلام والأفكار كمثل النار** » .

* « اعط نفسك لعمل الصلاة ، فتجد الشيء الذى لا تقدر أن تسمعه من احد ، لأن ليست فى أحد كفاية لسماعه » !!

* « لأن الدالة عند الله تعالى انما تتكون من مواصلة مفاوضته ومداومة محادثته فى الصلاة » .

* **ويوضح مار اسحق أن بالصلاة نقتنى النقاوة تلك التى بها نعاين الله ،** فيقول « ليس بالعلم الكثير والكتب المختلفة نقتنى النقاوة أو نجدها ، بل بالاعتناء بالصلاة » .

* **واخيرا يوضح لنا هذا القديس اننا بالصلاة نصل الى الحب الالهى الذى هو اسمى الفضائل والدرجات** « وان كانت درجة الحب الالهى أرفع من الصلاة ، الا انه بدون التضرع والصلاة والدموع المحزونة الدائمة مع السهر والنسك ما يقتنى الحب » .

وهكذا نرى أن الصلاة تؤهلنا لرحمة الله ومعونته ونعمته . قال معلمنا بولس « لنتقدم اذا بثقة الى عرش النعمة **لكى ننال رحمة ونجد نعمة عونا فى حينه** » (عب ٤ : ١٦) . وما أحوج الانسان الى رحمة الرب ونعمته . ان كل كنوز الرحمة والنعمة مدخرة لمن يطلب « **اطلبوا تاخذوا ليكون فرحكم كاملا** » (يو ١٦ : ٢٤) . ولعل هذه الآية الأخيرة توضح لنا أيضا أن **الصلاة هى الطريق الى الفرح الكامل — ليس فقط لأننا ناخذ عن طريقها ما نطلب ، ولكن ما هو اعمق من ذلك واجمل . ان الصلاة تجعل من الله حقيقة ملموسة ، فعندما نطلب من الله شيئا بذاته ويمنحه لنا ، يصبح لنا الله لا مجرد فكرة خيالية ، بل حقيقة حية قوية** ... انه لا يوجد فى السماء وعلى الأرض فرح يعادل فرح الشركة مع الله . فرح الصلاة

هذا هو الفرح الذى تحدث عنه المرتل كبركة « أمامك شبع سرور » (مز ١٦ : ١١) .

ويعوزنا الوقت أن نذكر بالتفصيل جميع البركات التى ننالها بالصلاة .. والحق أن الرب قد عين الصلاة وسيلة بها نفوز بنعمه وبركاته كلها ... ويوضح ذلك يعقوب الرسول ايضاحا كافيا بقوله « **لستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون** » (يع ٤ : ٢) . وهكذا اذا استعرضنا نواحى الضعف فى **حياتنا الروحية ومظاهر الفشل والفتور فى** الخدمة الكنسية عامة ، وحاولنا تفهم أسبابها ، لوجدنا أن الاجابة على كل ذلك **فى** كلمات الرسول السابقة **« لستم تمتلكون لأنكم لا تطلبون »** .

٣ ــ مثال الرب يسوع :

ليس أدل على لزوم الصلاة للانسان وحاجته الماسة اليها من أنها كانت جزءا هاما من حياة السيد المسيح وهو فى الجسد . قال العلامة ترتليانوس « وماذا يمكن ان يكون أكثر من هذا ليشعرنا بأهمية الصلاة ، الرب نفسه صلى !! » . ومع انه لم يكن فى حاجة الى الصلاة لأنه دفع اليه كل سلطان فى السماء وعلى الأرض (مت ٢٨ : ١٨) ، لكنه ترك لنا مثالا لكى نتبع خطواته (١ بط ٢ : ٢١) .

فحين اعتمد « كان يصلى » فانفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس (يو ٣ : ٢١ ، ٢٢) . **وعقب شفاء حماة سمعان من الحمى** ، خرج « فى الصبح باكرا جدا .. الى موضع خلاء **وكان يصلى هناك** » (مر ١ : ٣٥) .. **وقبيل اختيار تلاميذه الاثنى عشر** « خرج الى الجبل ليصلى ، وقضى الليل كله فى الصلاة » (لو ٦ : ١٢) .. **وفى حادث التجلى** « أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد الى جبل ليصلى ، وفيما هو يصلى ، صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضا لامعا .. » (لو ٩ : ٢٨ ، ٢٩) !! ثم تقرأ عن صلاة الرب يسوع الرائعة الواردة فى (يو ١٧) التى صلى فيها عن ذاته وعن تلاميذه ولأجل جميع الذين يؤمنون به بكلامهم .

٤ ــ مثال الرسل أنفسهم :

والرسل ــ تلاميذ الرب ــ قادة الكنيسة الأولى ، جعلوا للصلاة المقام الأول فى حياتهم .. فحين أرادوا أن يختاروا تلميذا عوضا عن يهوذا الخائن صلوا فوقعت القرعة على متياس (أع ١ : ٢٤ ــ ٢٦) . **وبعد حلول الروح عليهم فى يوم الخمسين** يصفهم كاتب سفر الأعمال بأنهم كانوا مواظبين على الصلوات (أع ٢ : ٤٢) .. **وبعد حادث شفاء الأعرج من بطن أمه** ، وتهديد رؤساء الكهنة لهم ، اجتمعوا جميعا « ورفعوا بنفس واحدة صوتا

الى الله .. » .« ولما صلوا تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه . وامتلأ الجميع من الروح القـــدس وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة » (أع ٤ : ٢٤ — ٣٠) . **وعندما كثرت عليهم المسئوليات** وفكروا فى اقامة سبعة شمامسة كانت حجتهم « لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخـــدم موائد فانتخبوا ايها الاخوة سبعة رجال منكم .. فنقيمهم على هذه الحاجة . **وأما نحن فنواظب على الصـــلاة وخدمة الكلمة** » (أع ٦ : ٢—٤) . **وحينما قبض هيرودس على القديس بطرس وألقاه فى السجن وكان مزمعا قتله** ، يقول كاتب سفر الأعمال « كان بطرس محروسا فى السجن . وأما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة الى الله من اجله » (أع ١٢ : ٥).. ولما أنقذ بطرس بواسطة ملاك وقصد بيت مريم أم مرقس ، كان هنـــاك « كثيرون مجتمعين **وهم يصلون** » (أع ١٢ : ١٢) .. **ونستطيع أن نفهم الآن فى ســـهولة ويسر سر قوة الكنيسة الأولى .. السبب انها كانت « كنيسة صلاة » ..**

واذا أخذنا القديس بولس كنموذج للرسل ، فاننا نجد أن رســـائله عامرة بغنى التعبد وعمق السجود والابتهال وفيض الشكر .. **تنم رسائل** هذا الرسول عن غنى حياته الروحية بلغة تعبدية خشوعية ، **تسمو بالنفس** الى محضر الله .. وعن غير قصد رسم بولس فى رسائله صورة لنفسه فى مراحلها المختلفة ، من اجتيازها ظلام الليل الدامس ، الى بلوغها نور **النهار . ومن مبارحتها سجن الخطية الى تمتعها بحرية مجد أولاد الله . وقد عبر عن كل هذا بتنهدات عميقة وتضرعات قوية ، تفيض بها رسائله .**

لقد حلق بولس فى جو الصلاة الاعلى .. **لقد تلقى من الله اعلانا** مباشرا عن ارادته تعالى من جهته (غل ١ : ١٢ ، ٢ ، ٢) **ونال من الله اجابات** عن صلواته « لأنه وقف بى فى هذه الليلة ملاك الاله الذى انا له ، والذى اعبده ، قائلا لا تخف يا بولس . ينبغى لك أن تقف أمام قيصر ، وهو ذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك » (أع ٢٧ : ٢٣ ، ٢٤) .. فلا عجب اذا اردف « لذلك سروا أيها الرجال لأنى أؤمن بالله انه يكون هكذا كما قيل لى » .

ان من يتصفح حياة ذلك الرسول يشعر انه كان فى شركة دائمة مع الرب ، شاعرا بوجوده دوما فى حضرة القدير .. وحين أوصى المؤمنين فى تسالونيكى قائلا « صلوا بلا انقطاع . اشكروا فى كل شىء » (١ تس ٥ : ١٧) ، انما كان يترجم عن حياته هو .. **اننا لا نشك فى أن حياة بولس الروحية تفسرها تلك العبارة الموجزة التى كتبت عنه فى مطلع حياته الجديدة، والتى اعلنت الى حنانيا فى دمشق « هو ذا يصلى »** (أع ٩ : ١١) ..

وحتى فى احلك الأوقات كانبولس يصلى . فحينما كان مسجونا فى فيلبى ومعه سيلا ، وبينما كان ملقى فى السجن الداخلى ، وكانت رجلاه مضبوطتين فى المقطرة .. بينما الجميع نيام ، اذا ببولس فى نصف الليل يصلى ويسبح الله ، حتى أن زلزلة عظيمة حدثت بغتة زعزعت أساسات السجن فانفتحت الأبواب كلها فى الحال وانفكت قيود الجميع (أع ١٦ : ٢٤-٢٦) !!

لقد طلب بولس لأجل نفسه ، وصلى لأجل الآخرين ، وتضرع لأجل الكنائس التى أسسها ، وابتهل لأجل أسباط اسرائيل ، وتوسل لأجل كل العشيرة البشرية ..

وفى امكاننا أن نلمس روح الصلاة الملتهبة التى كانت تعتمل فى نفس ذلك القديس المبشر .. « فان الله الذى أعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعا دائما فى صلواتى ... » (رو ١ : ٩ ، ١٠) « لذلك أنا أيضا اذ قد سمعت بايمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين ، لا ازال شاكرا لأجلكم ذاكرا اياكم فى صلواتى » (أف ١ : ١٥ ، ١٦) .. « من أجل ذلك نحن أيضا منذ يوم سمعنا لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم .. » (كو ١ : ٩) .. « طالبين ليلا ونهارا أوفر طلب أن نرى وجوهكم ونكمل نقائص ايمانكم » (١ تس ٣ : ١٠) .. « انى أشكر الله الذى أعبده من اجدادى بضمير طاهر كما أذكرك بلا انقطاع فى طلباتى ليلا ونهارا » (٢ تى ١ : ٣) .

إقتدار الصلاة

لا جدال فى أن للصلاة قوة . فأكثر الناس روحانية وأرسخهم ايمانا ، والآباء الأولون ، والأنبياء والرسل .. كل هؤلاء وجدوا فى الصلاة قدرة . **ان الاتصال بالله وبالعالم غير المنظور ليس فقط أمرا واقعيا محققا لدى المصلين ، بل هو أيضا مصحوب على الدوام بقوة فعالة يتوشح بها من يصلون « أما منتظرو الرب فيجددون قوة ، يرفعون أجنحة كالنسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون »** (اش ٤٠ : ٣١) .

عندما تتم الدائرة الكهربية بين قطبين مختلفين ، تسرى الكهرباء ، فتنير مصابيح وتدير آلات .. الخ .. وهكذا الانسان حينما يتم اتصاله بالله بالصلاة الحقة ، فانه يستنير وينال قوة جبارة بها يستطيع أن يعمل كل شىء .. الأعمال التى عملها المسيح وأعظم منها (يو ١٤ : ١٢) .

عندما يمسك الانسان بالله فى الصلاة ، يمسك الله بالانسان ..

« غمر ينادى غمرا .. كل تياراتك ولججك طمت على » (مز ٤٢ : ٧) . غمر بؤسنا ينادى غمر مراحم الله .. اننا نستدل على اقتدار الصلاة من طبيعتها ، ومن اختبارنا ، ومن شهادة كلمة الله سواء أكانت مصوغة فى قالب وصية أو وعد أو مثال .

قديما تحدث الرب الى موسى النبى من جهة الفقير قال « يكون اذا صرخ الى انى أسمع . لأنى رؤوف » (خر ٢٢ : ٢٧) .. واعطى سليمان هذا الوعد العظيم بعد ان بنى الهيكل « **قد سمعت صلاتك** واخترت هذا المكان لى بيت ذبيحة .. **اذا تواضع شعبى الذين دعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الرديئة ، فاننى اسمع من السماء** واغفر خطيتهم وابرىء أرضهم . الآن عيناى تكونان مفتوحتين ، **واذناى مصغيتين الى صلاة هذا المكان** » (٢ اى ٧ : ١٢ — ١٥) **وسفر المزامير مشحون** بالمواعيد الالهية التى تؤكد لنا استجابة الصلاة واقتدارها (مز ٩ : ١٢ ، ١٠ : ٧ ، ٣٤ : ١٥ ، ٣٧ : ٤ ، ٥٦ : ٩ ، ، ٦٢:٢—٥، ٦٩ : ٣٣ ، ٨١ : ١ ، ٨٦ : ٥ ، ٩١ : ١٥ ، ١٠٢ : ١٧ ، ١٤٥ : ١٨) .. « التفت الى صلاة المضطر ولم يرذل دعاءهم .. لأنه اشرف من علو قدسه . الرب من السماء الى الأرض نظر ، ليسمع انين الأسير » (مز ١٠٢ : ١٧ — ٢٠) .. **ومن يتصفح كتابات اشعياء وارميا وحزقيال ويوئيل وعاموس وصفنيا وزكريا ، يجدها كلها عامرة بالمواعيد العظمى والثمينة لكل من يصلى .**

أضف الى ذلك أن الباب الذى لم يكن فى العهد القديم مفتوحا الا جزئيا ، أضحى فى العهد الجديد مفتوحا على مصراعيه ، وهو يقدم لنا بسعة التمتع بمواعيد الهنا العظمى التى جعلها فى متناول كل من يصلى : « اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يفتح له » (مت ٧ : ٧ ، ٨) ثم يردف ذلك بتأكيد قاطع فيقول رب المجد « أم أى انسان منكم اذا سأله ابنه يعطيه حجرا ، وان سأله سمكة يعطيه حية . فان كنتم وانتم اشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى ابوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه » (مت ٧ : ٩ — ١١) .. « ان اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل ابى الذى فى السموات» (مت ١٨ : ١٩) .. « كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (مت ٢١ : ٢٢) .. « الحق الحق أقول لكم ان كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم » (يو ١٦ : ٢٣) ..

من أجل ذلك تقدم المؤمنون فى كل زمان بثقة الى عرش النعمة فنالوا رحمة ووجدوا نعمة عونا فى حينه (عب ٤ : ١٦) .. صلوا لأجل انفسهم ولأجل الآخرين ولأجل الكنيسة ، لأنهم عرفوا أن (طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها » (يع ٥ : ١٦) .. وكم من معجزات تمت وما زالت تتم بواسطة الصلاة ، ولنا فى الصلوات المستجابة المدونة فى الكتاب المقدس ادلة اكثر اقناعا من المواعيد التى أوردناها . **فابراهيم ويعقوب وموسى وجدعون وداود** وايليا واليشع وآسا ويهوشافاط وحزقيا واشعياء ومنسى ودانيال وأرميا . كل هؤلاء يشهدون بحياتهم وصلواتهم المستجابة لاقتدار الصلاة .

شروط الصلاة المقبولة

هناك بعض نقاط يجب مراعاتها فى المصلى والصلاة حتى تكون مقبولة :

١ ـ من قلب طاهر :

القلب الطاهر هو هيكل لله ومسكن الثالوث . .وحيث الله فهناك كل ما يحتاجه المؤمن . **هناك معوقات للصلاة ، الأمر الذى أشار اليه القديس بطرس بقوله « لكى لا تعاق صلواتكم »** (١ بط ٣ : ٧) . **ولعل اهم ما يعوق الصلوات هو الشهوات الكامنة فى القلب .. قال القديس نيلس السينائى** « الرجل المقيد لا يستطيع أن يجرى ، والعقل المرتبط بالشهوات **لا** يرى موضع الصلاة الروحية . وفوق ذلك فانه دائما ممسوك ومنجذب الى هنا وهناك بواسطة افكار شهوانية » . ما أجمل تعبير اشعياء النبى « ها ان يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع ، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم ، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع » (اش ٥٩ : ١ ، ٢) .. وقد عبر الوحى الالهى على لسان حزقيال النبى عن ذلك بكلمات اخرى فقال « يا ابن آدم هؤلاء الرجال **قد اصعدوا اصنامهم الى قلوبهم .. فهل اسأل منهم سؤالا ؟ !** » (حز ١٤ : ٣) . ما أدق تعبير الوحى الالهى فى القول السابق » اصعدوا **اصنامهم الى قلوبهم » !! ما اكثر الشهوات التى ملكت على قلوبنا بارادتنا تلك التى يعبر عنها الوحى بالأصنام .**

والقلب الطاهر ليس هو القلب الذى قد تطهر من الخطية فقط ، بل ايضا القلب غير المنقسم على ذاته ، ونعنى بذلك القلب الذى يعرج بين محبة الله ومحبة العالم . هذا ماعناه الله ، وشدد فى القول « تطلبوننى فتجدوننى اذ تطلبوننى بكل قلبكم » (أر ٢٩ : ١٣) .. وقال داود العظيم « بكل **قلبى طلبتك** » (مز ١١٩ : ١٠) .

ما اكثر البركات التى ننالها بالصلاة الخارجة من قلب طاهر . **قال مار اسحق** « كما أن المذبح الذى تقدم عليه الأسرار ، ان لم يفرز ويكرس ، ان اصعدت عليه القرابين لا تدعى ذبيحة محيية جسد ربنا ودمه ، بل خبز ساذج وليس ذبيحة مقبولة ، حتى ولو قدس عليه رئيس الكهنة بصلوات

متواترة ، **هكذا منبع القلب الداخلى** الذى لم يتطهر ولم يكمل بنور عدم الآلام (الخطايا) وتقدس بحلول الروح القدس ... » .

٢ ــ بحسب مشيئة الله :

قال يوحنا حبيب الرب يسوع « **ان طلبنا شيئا حسب مشيئته يسمع لنا** » (١ يو ٦ : ١٤) . اى ان كل شىء نسأله يجب أن يكون متفقا مع محبته وحكمته الكاملتين ، فالله الذى أمرنا بأن نطلب ، ووعدنا أن يستجيب ، لا يتخلى عن حكمته من أجل جهلنا ، وذلك فى حالة طلب شىء فى غير صالحنا مثلا !! لأننا « لا نعرف ما نصلى لأجله كما ينبغى » (رو ٨ : ٢٦) . يحدث أحيانا اننا نطلب ونصلى من أجل شىء بلهفة وحماسة ولا يستجيب الله . ويكون الأمر بحسب نظرنا واضحا بأننا على صواب . ولكن ما أن تمر الأيام حتى يتأكد لنا انه كان من الأفضل عدم استجابةالله لتلك الطلبات.

ما اشبهنا فى مثل هذه الحالة بصبى يصيح بدموع طالبا شيئا ضارا كقطعة آلية ذات حد مدبب استهواه بريقها . لكن لا شك فى أن محبة أبيه هى التى منعت عنه ذلك الشىء .. **قال القديس يوحنا ذهبى الفم** « الله يعرف بالضبط الساعة التى اذا ما اعطانا فيها الشىء يكون حينئذ ذا نفع لنا . الطفل يصيح ويحتج ويغضب ليأخذ السكين ، ومحبة الأبوين تأبى اعطاءه اياها . هكذا الرب يعاملنا . انه يعطينا أفضل مما نطلب» .

وثمة أمر آخر يلفت الرسول بولس نظرنا اليه خاص بهذه النقطة ، وهو يبين جهلنا فى صلواتنا . انه يؤكد لنا اننا فى ضعفنا وعمى بصيرتنا نجد معونة الروح القدس الذى « يشفع فى القديسين » ــ لكن حتى الروح القدس الذى هو الله ذاته ، يقوم بهذه الشفاعة ــ كما يوضح الرسول ــ بحسب مشيئة الله « لكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح ، **لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين** » (رو ٨ : ٢٧) .

ورب قائل يقول فلماذا أصلى اذن طالما انا لا أعرف ما هى ارادة الله . فلاترك الأمر لله الكلى الخير والصلاح والحكمة ، وهو يعلم ما احتاج اليه . لكن السيد المسيح علمنا اللجاجة فى الصلاة فى حديثه عن **الأرملة وقاضى الظلم ، وانه ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل** (لو ١٨) . ان السيد المسيح فى صلاته فى البستان ليلة آلامه ، طلب الى أبيه ثلاث مرات أن تعبر عنه الكأس ،لكنه أضاف قوله « ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك » (لو ٢٢:٤٢). فلنقدم ما شئنا من الطلبات الى الله ، مشفوعة بنفس هذه الطلبة « ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك » . نقولها بقلب ممتلىء من روح التسليم .. هذا هو ما دعانا الرب اليه فى الصلاة الربانية حينما نقول **« لتكن مشيئتك »** .

٣ — باسم السيد المسيح :

السيد المسيح فى حديثه الأخير فى العلية — كما أورده القديس يوحنا الانجيلى — أوصى تلاميذه ، مرة تلو مرة ، بتكرار عجيب ، أن يطلبوا باستمرار طلباتهم « باسمه » ، وهكذا تجاب صلواتهم .. خمس مرات اكد الرب على تلاميذه أن يقدموا صلواتهم باسمه :

« مهما **سألتم باسمى** فذلك أفعله .. ان **سألتم شيئا باسمى** فانى أفعله »(يو ١٤ : ١٣ ، ١٤) .. « لكى يعطيكم الآب **كل ما طلبتم باسمى** » (يو ١٥ : ١٦) .. « الى الآن **لم تطلبوا شيئا باسمى** ، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا » (يو ١٦ : ٢٤) .. « فى ذلك اليوم **تطلبون باسمى** » (يو ١٦ : ٢٦) .

وليست الطلبة هى وحدها التى تقدم « باسمه » المبارك ، ولكن اجابة الطلب ايضا ، تعطى فى قوة اسمه القدوس . نلاحظ أن السيد المسيح قال لتلاميذه **« فى ذلك اليوم »** (يو ١٦ : ٢٣) .. هذه العبارة ترتبط بكلامه السابق (يو ١٦ : ٧ — ١٦) ، وقد تحدث فيها عن وعده بارسال الروح القدس وعمله . فحينما يقول **« فى ذلك اليوم »** انما يقصد الوقت الذى يكون الروح القدس قد حل فيه على المؤمنين .. لكن ليس قبل « ذلك اليوم » . لأننا بدون روح الله لا نستطيع أن نفعل شيئا . فى البداية كل شىء انتظر يوم الخمسين ، والآن أيضا كل شىء يتوقف على عمل الروح فينا .. كل شىء يتوقف على الروح القدس . فبدون الروح القدس ليس لدينا حتى مجرد القوة لنعترف بربوبيته « ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب الا بالروح القدس » (١ كو ١٢ : ٣) .

لكن ما معنى الصلاة باسم المسيح، ولماذا يجب على أن اقدم صلواتى باسمه؟

معلوم أن الانسان كان فى حالة عداوة مع الله قبل الفداء الذى تم بالمسيح . ثم صولح مع الله بموت ابنه (رو ٥ : ١٠) ، لكنه لا يرعى هذا الصلح ، بل ينال غضب الله بخطاياه وآثامه الفعلية ، وكما ذكر الرسول أن « أجرة الخطية هى موت » (رو ٦ : ٢٣) ، وهكذا يعكر صفو هذا الصلح والسلام بخطاياه .. ما اشبه الانسان فى هذه الحالة — والتشبيه مع الفارق — بمن يتقدم الى بنك معين ويقدم له شيكا ليصرفه ، وهو لا يملك رصيدا فى هذا البنك . قطعا سيرفض موظف البنك اعطاءه شيئا . لكن اذا تقدم للبنك بشيك ممهور باسم شخص له رصيد ، فقطعا سوف يصرف له فى هذه الحالة قيمة الشيك .. **هكذا نحن أيضا ليس لنا استحقاق لدى أبينا السماوى ، ولكن لنا استحقاقات عجيبة فى ابنه يسوع المسيح ربنا « لأنه لنا أيها الاخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع »** (عب ١٠ : ١٩) .

من أجل هذا فان الكنيسة تقدم كل طلباتهـا بهذه الطريقة « بالمسيح يسوع ربنا » ، « بالنعمة والرافات ومحبة البشر اللواتى لابنك الوحيد ، ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح .. » . والحق اننا ــ فيما نفعل ذلك انما نذكر الله بمحبته ورحمته وفدائه وموته عنا الذى تم فى المسيح وبه . لقد وهبنا الرب يسوع أن نستعمل اسمه ، وان نقدم طلباتنا للآب السماوى باسمه لكى ننال به وفيه كل احتياجاتنا .

٤ ــ فى طاعة كاملة :

نفس الرسول يوحنا الذى حدثنا عن مواعيد الرب باستجابة طلباتنا ان كانت حسب مشيئته ، وقدمت باسمه ، هو الذى يعلن لنا عن شرط آخر من الشروط التى تجعل صلواتنا مقبولة . يقول **« مهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ، ونعمل الأعمال المرضية أمامه »** (١ يو ٣ : ٢٢) . انه يوضح لنا هنا سر الاستجابة ــ اننا نحيا حياة الطاعة المؤمنة .. « لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه » .

ليتنا نتأمل فى عمق وقوة تلك الكلمات المباركة « **مهما سألنا ننال منه** » .. ليست هناك صلاة قصيرة أم طويلة تقصر عن بلوغ هدفها . لكن السر يكمن وراء كلمات الرسول « لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه » . **قد نتساءل كثيرا : لماذا لا ننال ما نسأل فى الصلاة ؟ لماذا لا نستطيع ان نقول مع الرسول مهما سألنا ننال منه ؟ ان السبب لا يكمن فى ان يوحنا كان رسولا ونحن مجرد مؤمنين عاديين ، لكنه كامن فى ان يوحنا استطاع ، أن يحفظ وصايا الله ويعمل الأعمال المرضية امامه ..** فهل نستطيع نحن أن نفعل هكذا ؟ ! قال الرب يسوع « طعامى أن اعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » (يو ٤ : ٣٤) .. ما أجمل الكلمات التى نطق بها الوحى الالهى على لسان القديس بولس الرسول عن الرب يسوع « ثم قلت هأنذا اجىء فى درج الكتاب ، مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله » (عب ١٠ : ٧) .

٥ ــ بايمان كامل :

قال يعقوب الرسول « انما ان كان احدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له . **ولكن ليطلب بايمان غير مرتاب البتة** ، لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه . فلا يظن ذلك الانسان انه ينال شيئا من عند الرب » (يع ١ : ٥ــ٧) . وكلمات الرسول هذه ، هى تفسير عملى لكلمات الرب « الحق أقول لكم ، ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ، ولا يشك فى قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون فمهما قال يكون له . لذلك أقول لكم ، **كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم** » (مر ١١ : ٢٣ ، ٢٤) . وهذا

ما عناه القديس بولس فى رسالته الى العبرانيين « **لنتقدم اذا بثقة** الى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عونا فى حينه » (عب ٤ : ١٧) ، هذه الثقة التى يشترطها الرسول هى الايمان عينه (عب ١١ : ١) .

الصلاة بدون ايمان باطلة ، فهو من الأسس التى وضعها الرب ــ التى عليها ــ نقدم طلباتنا اليه . ليس الايمان أعظم الفضائل فقد قيل « ان كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئا » (١ كو ١٣ : ٢) . لكن وان لم يكن الايمان أعظم الفضائل لكنه الفضيلة الأولى . الايمان بدون محبة لا شىء ، ولكن المحبة بدون الايمان مستحيلة ، لأنى لا أستطيع أن أحب من لا أثق فيه (من لا أؤمن به) . وليس بالضرورة حينما نطلب بايمان أن نلزم الله بأن يجيب طلباتنا . فكل الكتاب المقدس يجب أن يفهم معا فهما وحدا . حينما لا نأخذ ما سألناه ، علينا أن ننتظــر حتى ينكشف لنا قصد الله . فليس لنا « أن نعرف الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه » (أع ١ : ٧) .. وان كان ايماننا ايمانا سليما فسوف يجلب معه الصبر ..

ما أكثر ما كتب عن الايمان .. « كل ما ليس من الايمان فهو خطية » (رو ١٤ : ٢٣) .. « بدون ايمان لا يمكن ارضاؤه » (عب ١١ : ٦) .. **لقد أعطى الرب الايمان كل القوة أن ينال وأن يعمل .. والصلاة بدون ايمان لا قوة لها** .. تصور معى انك قصدت انسانا عظيما ليقضى لك حاجة، وأنت تشعر فى قرارة نفسك أن ذلك الانسان لا يستطيع أن يقضى لك حاجتك .. ألا تعتبر هذه اهانة له ؟ **!اذا أردت أن تعرف هل قبلت صلاتك أم لا ، اسأل قلبك ، لأنه مكتوب « يعطيك الرب حسب قلبك ويتمم كل مشيئتك »** (مز ٢٠ : ٤) .

يقول يوحنا الدرجى « الايمان هو جناح الصلاة . بدونه تعود الصلاة الى حضن الانسان ثانية » . وقال يوحنا كسيان « قد تأكد تماما أن صلاته لا تستجاب !! ومن هو هذا البائس ؟ هو الذى يصلى ولا يؤمن انه سيحصل على جواب » . والقديس اغسطينوس ، بعد أن استعرض مثــل الأرملة والقاضى الظالم يعلق على قول الرب « ومتى جاء ابن الانسان ألعله يجد الايمان على الأرض » (لو ١٨ : ٨) فيقول « اذا فنى الايمان بطلت فاعلية الصلاة . لأنه من ذا الذى يصلى لمن لا يؤمن به ؟ ولذا قال الرسول « وكل من يدعو باسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٣) . ولكى يبين أن **الايمان هو ينبوع الصلاة** أردف « كيف يدعون بمن لا يؤمنون به » (رو ١٠ : ١٤) **فلــذلك يجب أن نؤمن حتى ما نصلى** . وحتى لا يفنى هــــذا الايمــــان يجب أن نصلى . ان الايمان ينبع صلاة ، ونبع الصلاة يعطى قوة ــ حتى

للايمان ذاته .. وحتى لا يتعرض الايمان لتجارب ، قال الرب « اسهروا وصلوا لكى لا تدخلوا فى تجربة » (لو ٢٢ : ٤٦) . لأنه ما هو الدخول فى تجربة سوى الابتعادعن الايمان !! ولذا قال الرب « سمعان سمعان ، الشيطان طلب أن يغربلكم كالحنطة ، وأنا طلبت لأجلك لكى لا يفنى ايمانك » (لو ٢٢ : ٣١ ، ٣٢) .

٦ ــ مع الشكر :

تكرر الأمر بشكر الرب مرات كثيرة فى الكتاب المقدس . حدث ذلك مرات لا تحصى فى العهد القديم ، بل كان ضمن تقدمات الهيكل التى كان اليهودى مكلفا بتقريبها « ذبيحة الشكر » . وقد تكرر هذا الأمر أيضا فى العهد الجديد ..

ان الله يحزن من ((عدم الشكر)) التى هى خطية الكثيرين . فلما شفى الرب يسوع العشرة البرص ورجع اليه واحد فقط ليشكره ، قال فى الم : « أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة » (لو ١٧ : ١٧) .. وكم من مرة ينظر الله الينا فى حزن بسبب عدم شكرنا على بركاته المتواترة .. **اننا نلمس فى كتابات القديس بولس الرسول روح الشكر الدائم ، الذى كان حريصا أن ينقله الى المؤمنين** . لقد أوصى مؤمنى أفسس أن يكونوا **((شاكرين كل حين على كل شىء))** (أف ٥ : ٢٠) . وبعد ذلك يتحدث عن ارادة الله القاطعة **((اشكروا فى كل شىء . لأن هذه هى مشيئة الله فى المسيح يسوع من جهتكم** » (١ تس ٥ : ١٨) . وقال للكولوسيين انهم اذا كانوا « متأصلين ومبنيين فيه » و« موطدين فى الايمان » يجب عليهم أن يكونوا **((متفاضلين فيه بالشكر))** (كو ٢ : ٧) . **ويوضح لنا أن الشكر هو من دعامات الصلاة** فيقول فى رسالته الى أهل كولوسى « واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر » (كو ٤ : ٢) . وكتب الى الفيلبيين يقول : « لا تهتموا بشىء بل فى كل شىء **بالصلاة والدعاء مع الشكر** لتعلم طلباتكم لدى الله » (فى ٤ : ٦) ويترتب على ذلك وعد ثمين « وسلام الله الــذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكموأفكاركم فى المسيح يسوع » (فى ٤ : ٧) ..

ما أقل ما نشكر الله على احساناته التى لا تحصى ، وما أكثر ما نشكر بعضنا بعضا نتيجة خدمات يؤديها الواحد لصاحبه . بأكثر من أسلوب ، وبأكثر من طريقة نعبر عن شكرنا وامتناننا للناس ، فى الوقت الذى نظهر فيه بمظهر نكران الجميل والجحود للرب الذى فى يمينه شبع سرور . جيــد أن نشكر المحسن الينا من اخوتنا ، لكن بالأولى أن نشكر المحسن الأول والأكبر .. **وكنيستنا تعطينا درسا فى وجوب الشكر وروحه ، بصــلاة الشكر التى تبدأ بها كل عباداتها وصلواتها .. فى رفع البخور والقداسات**

والقناديل والتذكارات والأكاليل والجنازات والمعموديات .. أول ما تبدأ تصلى صلاة الشكر .. وما أعمق ألفاظها وعباراتها « فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله .. لأنه سترنا وأعاننا وحفظنا وقبلنا اليه وأشفق علينا وعضدنا وأتى بنا الى هذه الساعة .. نشكرك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال .. » . ان شكر الله ينطوى على الاعتراف بمحبته وعنايته ورحمته وحكمته ، وهو اعلان لتسليم الحياة له .. حتى أن القديس نيلس السينائى يقول « **الصلاة هى تعبير عن الفرح و،الشكر** » .

علينا اذن أن يكون فينا روح الشكر عامة ، ليس من أجل أنفسنا فقط ، بل من أجل كل شىء . يقول معلمنا القديس بولس موصيا تلميذه تيموثاوس « **فاطلب أول كل شىء** أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات **وتشكرات لأجل جميع الناس .. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله** » (١ تى ٢ : ١ــ٣) . لكن لا ننسى أن نشكر الله شكرا خاصا على كل احسان من احساناته . ليتنا حينما نقف لنصلى أن نشكر الله ، لا شكرا عاما ، بل نعدد شكرنا بقدر ما أحسن الينا .. **ان دوام شكرنا لله يحفزه على أن يعطينا أكثر . قال مار اسحق « ليست عطية بلا زيادة الا التى ينقصها الشكر » .**

وليت شكرنا لا يقف عند حد الأمور التى طلبناها من الله واستجيبت ، بل وحتى على الأمور التى طلبناها ولم تستجب . وفى هذه الحالة نشكر الله من أجل حكمته . قال القديس يوحنا ذهبى الفم « اذا أخذنا ما نطلبه أو لم نأخذه يجب أن نبقى فى الصلاة . ليتنا نشكر ــ ليس فقط حينما نأخذ ، ولكن حينما لا نأخذ أيضا ..لأننا لا نعرف ما هو الصالح لنا ، بل الله . لذا يجب أن نعتبر الأخذ وعدم الأخذ نعمة متعادلة ، ونشكر الله من أجل هذه وتلك » .

كل رجال الصلاة المقتدرين ، سواء فى الكتاب المقدس أو فى تاريخ الكنيسة كانوا رجالا قد أعطوا نفوسهم للشكر وتمجيد الرب . **ومن أمثلة هؤلاء داود العظيم الذى تفيض مزاميره بروح الشــكر لله** .. « باركى يا نفسى الرب وكل ما فى باطنى ليبارك اسمه القدوس » (مز ١٠٣ : ١) « بمراحم الرب أغنى الى الدهر . لدور فدور أخبر عن حقــك بفمى » (مز ٨٩ : ١) .. « ارفعك يا الهى الملك وأبارك اسمك الى الدهر والأبد. فى كل يوم أباركك وأسبح اسمك الى الدهر والأبد » (مز ١٤٥ : ١ ، ٢) .

٧ ــ مع الصفح :

فى **الصلاة المثالية التى أعطاها الرب لتلاميذه** ، أوضح أنه غير مسموح لنا حتى مجرد طلب الصفح عن خطايانا من الله ، دون أن نسأل فى الوقت

نفسه أن يغفر لنا بنفس المثال والدرجة التى نغفر بها لأولئك الذين أخطأوا الينا . ففى العظة على الجبل علمنا أن نصلى هكذا « اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا » (مت ٦ : ١٢) .. « **وبعد هذه الصلاة المثالية أردف معلما** « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى. وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم » (مت ٦ : ١٤ ، ١٥) .. وحتى لايكون هناك أى التباس ، فقد عاود الرب يسوع الحديث فى الأسبوع الأخير عن هذا الأمر . فبعد أن تحدث عن الصلاة قال لهم « ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على أحد شيء ، لكى يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السموات ، **وان لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذى فى السموات أيضا زلاتكم** » (مر ١١ : ٢٥ ، ٢٦) ..

قال القديس نيلس السينائى « اترك قربانك على المذبح — يقول الرب — واذهب اصطلح مع أخيك (مت ٥ : ٢٤) ، وبعد ذلك حينما تعود ستصلى بلا اضطراب ، لأن الحقد يظلم عقل الانسان ويحجب صلاته فى الظلام .. ان من يصلون وفى نفوسهم حزن وحقد يشبهون من يصب ماء فى دلو مثقوب » .. وقال أيضا دع المديون بعشرة آلاف وزنه يعلمك انه ان لم تسامح من لك عليه فلن يسامحك سيدك . لأنه قبل وغضب سيده وسلمه الى المعذبين حتى يوفى كل ما كان له عليه » (مت ١٨ : ٣٤) .

سر الصلوات المستجابة

تحدثنا آنفا عن « شروط الصلاة المقبولة » ، وذكرنا بعض النقاط الأساسية فى قبول الصلاة ، ونود ان **نضيف هنا بعض النقاط الأخرى التى تضاعف قوة الصلاة وتسرع فى استجابتها ..**

(أولا) **التذلل :**

من الأمور التى تضاعف قوة الصلاة وتعطيها دالة أمام الله وتسرع بالاستجابة ، تذلل الانسان أمامه . . التذلل فى كافة صوره سواء كان انسحاقا قلبيا وفكريا ، أو صوما وما يصاحبه من ضروب النسك المختلفة ، أو سجودا (مطانيات) ، أو دموعا .. الخ . **وليس التذلل وسيلة مقتدرة لاستجلاب رضا الله بل انه تعالى يدعونا الى ذلك بلسان يوئيل النبى** فيقول « الآن يقول الرب ارجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم ، لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر » (يؤ ٢ : ١٢ ، ١٣) .

(أ) الانســـحاق :

وتراه واضحا فى شخصية دانيال وكان سببا فى استجابة ســـؤاله . يقول دانيال عن نفسه وهو يصلى لأجل أورشليم ولأجل كل الشعب الذين فى السبى « **فوجهت وجهى الى الله السيد ، طالبا بالصلاة والتضرعات ، بالصوم والمسح والرماد** . وصليت الى الرب الهى واعترفت وقلت ايها الرب الاله العظيم .. أخطانا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك .. لك يا سيد البر ، أما لنا فخزى الوجوه .. يا سيد لنا خزى الوجوه لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا لأننا أخطأنا اليك .. يا سيد حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أورشليم اذ لخطايانا ولآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا . فاسمع الآن يا الهنا صلاة عبدك وتضرعاته .. لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لأجل مراحمك العظيمة . يا سيد اسمع ، يا سيد اغفر ، يا سيد اصغ واصنع .. » (دا ٩ : ٣ — ١٩) . مضى دانيال فى تذلله فناح ثلاثة أسابيع لم يأكل خلالها طعاما شهيا ولم يدخل فمه لحم أو خمر ولم يدهن ذاته .. وهكذا حتى ظهر له الملاك جبرائيل وقال له « .. **لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام الهك سمع كلامك** ، وأنا أتيت لأجل كلامك .. » (دا ١٠ : ١٢) .

وآخاب **الملك الشرير** الذى شهد عنه الكتاب قائلا « ولم يكن كآخاب الذى باع نفسه لعمل الشر فى عينى الرب » .. آخاب هذا ، حالما سمع كلام ايليا النبى الخاص بما سيحل به وببيته من مصائب « شق ثيابه وجعل مسحا على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت » حتى أن الرب قال لايليا « هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامى . **فمن أجل** انه اتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه بل فى أيام ابنه .. » (١ مل ٢١ : ٢٧) هكذا نلمس فعالية الانسحاق والتذلل فى الصلوات .

ولقد أفاض القديسون فى الحديث عن هذا الأمر . قال القديس يوحنا ذهبى الفم « صرخ العشار بقلب منسحق ذليل : اللهم ارحمنى أنا الخاطىء .. (لو ١٨ : ١٣) ، فخرج من لدن الله مبررا دون الفريسى . وهنا تتفاضل الصلاة المنسحقة عن العمل غير المتضع ! فالفريسى اظهر بره بالصـــوم الدقيق والعشور المنظمة . والعشار قدم قلبا منكسرا بدون أعمال . ان الرب لا ينصت الى الكلام فحسب بل يلمس المشاعر التى تصوغ الكلام .. » .

وقال مار اسحق « ان نعمة الله تقف على الدوام عن بعد وترقب الانسان أثناء الصلاة . فاذا تحرك فيه فكر اتضاع ، فانها فى لحال تدنو منه ومعها ربوات المعونة . وذلك يكون وقت الصلاة أكثر من بقية الأوقات . لهـــذا يقيم الشيطان مع الانسان قتالا حتى لا يدنو من **الله** بأفكاره » .. قال

الرب بلسان اشعياء النبى « الى هذا انظر ، الى المسكين المنسحق الـروح والمرتعد من كلامى » (أش ٦٦ : ٢) .

على أن الانسحاق أمام الله فى الصلاة ليس هو فى ترديد العبارات المألوفة : اننا خطاة وغير مستحقين .. بل الانسحاق هو ان نشعر بذلك فى اعماقنا .. أن نشعر بخطايانا واهاناتنا وتعدياتنا على الهنا القـدوس ، وأن ننسب كل ما فينا من نواحى طيبة الى الله . فكل عطية صالحة ، **وكل موهبة تامة ، هى** نازلة من فـوق ، من عنـد ابى الأنوار ... علينـا حينما نقترب من الله بالصلاة أن نعبىء قلبنا وفكرنا بهذه المشاعر . **يقول مار اسحق « اذا وقفت مصـليا قدام الله ، هكذا صر فى فـكرك مثل نمـلة ، وكالذباب الذى على** الأرض ، وكالعلقة ، وكصبى يناغى صر قدام الله لتؤهل **لتلك العناية الأبوية** الصائرة من الآباء على **الأطفال من البنين ...» .**

(ب) الصـوم :

لقد أفردنا عن الصـوم موضوعا خاصا فى هـذا الجـزء من الكتاب ، وتحدثنا عن تلازم الصـوم والصلاة . اننا نقرأ فى مواضع كثيرة من الكتاب المقدس عن الصلاة مقرونة بالصوم . ويكفى ما قاله رب المجد **« هذا الجنس (الشيطان) لا يمكن أن يخرج بشىء الا بالصلاة والصوم »** (مر ٩ : ٢٩). لاشك أن الصوم وسـيلة تذلل هامة . اذا اقترنت به الصـلاة ، اكسبها قوة .. **قال مار اسحق** « اذا أضعف الجسد بالصـوم والاتضاع ، عنـد ذلك تتشجع النفس بالصلاة بالروح » .

(ج) السجود (المطانيات) :

وهو من اقوى الوسائل التى نظهر بها تذللنا امام الله . ان كلمة مطانية المستخدمة فى الكنيسة أصلها يونانى ومعناها توبة ...**والسجود تعبير صادق عن مشاعر الخضوع والانسحاق ، فيه يشترك الجسد مع الروح فى تقـديم العبادة لله** . فاذا كان سجودنا بالروح والتذلل فانه يكون مقبولا جدا لـدى الله . قال الـرب يسـوع « **لأن الآب طـالب مثل هؤلاء الساجدين له** » (يو ٤ : ٢٣) . وقال القديس بولس « لكى تجثو باسـم يسوع كل ركبـة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض » (فى ٢ : ١٠) ... الأمر الذى عبر عنه القديس كيرلس الكبير فى قداسـه « اللهم يامن تجثو له كل ركبة ما فى السموات وما على الأرض وما تحت الأرض ، الذى الـكل مذلول وخاضع بعنق العبودية تحت خضوع قضيب ملكه » .

والمطانيات (السجود) لون رفيع من العبادة والصلاة ، على ان لا يكتفى فيه بسجود الجسد ، بل يجب أن يكون مصحوبا بصلوات وابتهالات قصيرة

يقدم فيها مشاعره القلبية فى كل دفعة ينحنى فيها الجسد الى الأرض . فمثلا انسان فى ضيقة معينة ، أو شخص مغلوب من خطية خاصـــة ، أو فى حاجة الى معونة ..كل من هؤلاء يسجد بشعور ملئه التذلل . وفى كل مرة يسجد ، يرشم ذاته بعلامة الصليب ثم يقـــدم طلبته القصيرة . ويجـــوز أن يكررها بنفس الالفاظ أو بعبـــارة أخرى . مثـــال ذلك شاب مغلوب من جســـده يقول « ياربى يسوع المسيح ارحمنى واعنى واعطنى هدوءا فى جســـدى ... ياربى يسوع المسيح أبطل شغب الجسد ... ياربى يسوع المسيح طهـــر قلبى وفكرى وجسدى وحصن أعضـــائى .. أخطأت اليك ياربى يســـوع المسيح ارحمنى واكسر عنى قوة المعاند .. الخ » وهكذا وهكذا .. يسجد فى هدوء دون استعجال ...

قال مار اسحق عن سجود المطانيات « ليس شيء محبـــوبا عنـــد الله ، ومكرما بعين الملائكة ، ويضعف الشيطان ، ومخـــوفا من الجـــان ، ويهزم الخطية ، ويفيض المعـــرفة ، ويجذب الرحمـــة ويستأصل الخطايا ، ويقتنى الاتضاع ، ويحكم القلب ، ويجلب العزاءات ، ويتجدد به العقل ، كمثل أنه على الدوام يوجد المؤمن جاثيا على الأرض بالصلاة » .. قال يوحنـــا سابا (الشيخ الروحانى) اغصب نفسك للسجود أمـــام الله لأنه هو محرك روح الصـــلاة . لا تظن أن الســـجود أمام الله هو أمـــر هين . فليس شيء من الأعمال الصالحة يوازى المواظبة على تكميل خدمة الصلاة بضرب المطانيات (السجود) . واذا ضايقتنا الأفكار أثناء الصلاة وشعرنا بالملل ، فلنخر على الأرض وكتاب الصـــــلاة فى أيدينا ونضرع ونحن ساجـــدون أن يهبنـــا الله نشـاطا لنكمل خدمة الصلاة » ..

وقال يوحنا كسيان وهو يصف رهبان مصر « رأيتهم فى صلواتهـــم حينما ينتهون من تلاوة كل مزمور ، لا يستعجلون فى السجود كواجب يراد انهاؤه كما يفعل الكثيرون منا الآن ، بل رأيتهم على خـــلاف ذلك ، فبعـــد أن يفرغوا من تلاوة المزمور يقفون برهة يرفعون فيها صـــــلاة قصيرة ، ثم ينحنون فى خشـوع ويسجدون الى الأرض بوجوههم بورع كثير وتقوى شـــديدة . ثم ينتصبون فى خفة ونشاط ويعودون الى وقفتهم المنتصبة ، وأفكارهم كلهـــا منحصرة فى الصلاة » .. **وقال القديس باسيليوس الكبير « فى كل مرة نسجد فيها الى الأرض نشير الى كيف أحدرتنا الخطية الى الأرض ، وحينما نقـــوم منتصبين نعترف بنعمة الله ورحمته التى رفعتنا من الأرض وجعلت لنا نصيبا فى السماء » .**

ولا يفوتنا الاشارة فى ختام هذه النقطة الى أن المصلى يجب عليـــه الا يمارس المطانيات كيفما اتفق ، ولا يقرر لذاته تدريبا معينا يؤدى فيـــه عددا مقررا من المطانيات (السجدات) ، بل يجب أن يعمل كل ذلك بمشورة أبيه الروحى .

(د) الدموع :

واخيرا نأتى الى السلاح الجبار الذى لا يقهر « الدموع » .. فالله القوى الجبار يغلب بالدموع . قال العريس للعروس فى نشيد الاناشيد « حولى عنى عينيك فانهما قد غلبتانى » (نش ٦ : ٥) .. ان العيون المرفوعة لله لاتنخذل ابدا .. من أجل هذا نقرأ لداود عبارات كثيرة فى مزاميره تدل على استخدام هذا السلاح .. **ان داود رجل الصلاة خبر الدموع وعرف قوتها ، وكثيرا ما يحدثنا عن الدموع فى مزاميره .. « تعبت فى تنهدى . أعوم فى** كل ليلة سريرى . بدموعى أذوب فراشى » (مز ٦ : ٦) .. « الرب قد سمع صوت بكائى » (مز ٦ : ٨) .. « استمع صلاتى يارب واصغ الى صراخى. **لا تسكت عن دموعى** .. » (مز ٣٩ : ١٢) .. « **غيرة بيتك أكلتنى** وتعييرات معيريك وقعت على . وابكيت بصوم نفسى .. جعلت لباسى مسحا » (مز ٦٩ : ٩ — ١١) . لا عجب اذن اذا عرف داود مكانة الدموع ومكان حفظها . ولذا نسمعه فى موضع آخر يقول « **اجعل أنت (يارب) دموعى فى زقك ، أما هى فى سفرك** » (مز ٥٦ : ٨) .

لقد اتخذ رجال الله فى كل زمان ، من الدموع وسيلة لنيل طلباتهم من الرب بالتذلل . هكذا فعل **أيوب الصديق** « خطت مسحا على جلدى ، ودسست فى التراب قرنى . أحمر وجهى من البكاء » (أى ١٦ : ١٥ ، ١٦) **وعزرا** صلى وهو باك وساقط أمام بيت الله . وبكى الشعب ايضا معه بكاء عظيما » (عز ١٠ : ١) . **وأرميا النبى الباكى** صاحب المراثى كانت أمنيته « ياليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فأبكى نهارا وليلا » (أر ٩ : ١) . **وحزقيا ملك يهوذا** بكى بكاء عظيما حال مرضه. فكان جواب الرب على دموعه بلسان أشعياء النبى « قد سمعت صلاتك ، فقد رأيت دموعك ، ها انذا أشفيك » (٢ مل ٢٠ : ١ — ٥) .. **وهكذا وهكذا ، حتى أن المرنم يجعل منها قاعدة عامة للبهجة والفرح فيقول « الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج »** (مز ١٢٦ : ٥) . بل ان الرب ذاته يدعونا اليها بلسان يوئيل النبى فيقول « ارجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ... » (يؤ ٢ : ١٢) .

من أجل هذا طوب رب المجد العيون الباكية « طوباكم أيها الباكون الآن » (لو ٦ : ٢١) . وقد تحنن على ارملة نايين التى فقدت وحيدها وقال لها « لا تبكى » (لو ٧ : ١٣) . والمراة الخاطئة التى انحنت على قدميه باكية استحقت غفران خطاياها (لو ٧ : ٢٧) . وبطرس التلميذ الذى انكر سيده ومعلمه نال الغفران بعد أن بكى بكاء مرا .

اما عن علاقة الدموع بالصلاة ، فهى كما يقول يوحنا الدرجى « أم

وبنت الصلاة » !! فكما أن الدموع تقودنا الى مخادع الصلاة حيث نؤتمن هناك على ينابيع الدموع الحية ، فهى ايضا احدى هبات الصلاة المنسحقة.
لكن لنحترس فى هذه الحالة من الكبرياء . يقول القديس الانبا أوغريس « اذا كان لك ينبوع دموع فى صلاتك ، فاياك أن تكون مستكبر القلب فى ذاتك كمن هو أرفع من كل الناس . انما الدموع هى معونة أخذتها من قبل الرب لكى تستطيع بنشاط أن تعترف بخطاياك قدامه ، ويقتنعك قلبك من قبل الدموع أنها غفرت لك . فلا تبدل المعونة التى اخذتها الى أوجاع لئلا يغضب الذى أعطاك هذه الموهبة » .. **وما أكثر ما قاله القديسون عن الدموع من واقع خبرتهم الخاصة ..**

قال القديس مار افرام السريانى « اسكبوا أمام الله الدموع لتصير صلاتكم كالبخور قدامه . مجارى المياه لوقت الحريق ، ومجارى الدموع فى زمن التجربة . الماء يخمد لهيب النار ، والدموع تطفىء شهوة الشر » . **ويوحنا الدرجى يقول « العين الباكية هى جرن دائم لمعمودية التوبة والتجديد » . وقال مار اسحق « طوبى للباكين من اجل الحق ، لأنه من** خلال دموعهم يرون باستمرار وجه الله » . **ويقول القديس الأنبا أوغريس** « استعمل الدموع عند سؤالك ما تتمناه ، لأن الرب يفرح جدا بالصلاة التى تكون بالدموع ، ويبتهج لها ويقبلها سريعا » .

ما اكثر ما تفعله الدموع .. انها ترد غضب الله ، وتخلص من الضيقات وتنجى من الموت ، وتجذب النفوس البعيدة من وهذة الهلاك . **ومن خير الأمثلة على ذلك القديس اغسطينوس ،** الذى ظلت أمه مونيكا تذرف الدموع لأجله . ولقد صدق القديس امبروسيوس أسقف ميلان الذى رآها تبكى بحرقة ذات مرة فقال لها « ثقى يا امرأة انه لا يمكن ان يهلك ابن هذه الدموع » !! .. من أجل هذا تحرض الكنيسة أبناءها على طلب الدموع بأوفر اجتهاد من الله . وقد عبرت عن ذلك فى قطع الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل ، فيقول المصلى « أعطنى يارب ينابيع دموع كثيرة كما أعطيت منذ القديم للمرأة الخاطئة ، واجعلنى مستحقا أن ابل قدميك التى اعتقتانى من طريق الضلالة .. » .

(ثانيا) اللجاجة والمثابرة :

ليس هناك تناقض بين اقوال الله ومواعيده ... فان كان الله قد وعدنا بأن يستجيب لطلباتنا اذا ما قدمناها بايمان ، لكنه من الناحية الأخرى يتأنى احيانا فى الاجابة ، ويريدنا أن نلح عليه فى السؤال ، ونثابر على الطلب حتى ما يجملنا بالفضائل ويجعلنا من رجال الصلاة .. لا شك أن اللجاجة والمثابرة هما تعبيران عن الايمان ، ولا يوجد شىء يسر قلب الله

اكثر من الايمـــان . فى قصة المـــرأة الكنعانية يظهر الســـيد المسيح وكأنه يطرد تلك المرأة بشىء من الازدراء .. ومـــع ذلك فهى لم تنصرف بل ظلت تطلب بالحاح ولجاجة . ولم يخيب المسيح الحاحها ولجاجتها بل على العكس مدح مسلكها بقوله « يا امـــرأة عظيم هو ايمانك ، ليـــكن لك كما تريدين » (مت ١٥ : ٢٨) .

يعلمنا السيد المسيح هذا الدرس بوضوح فى مثلين : الأول مثـــل صديق نصف الليل (لو ١١ : ٥ ــ ٨) ، والثانى مثل الأرمـــلة والقاضى الظـــالم (لو ١٨ : ١ــ٨) . ومن المفيد أن ندون المثلين كما فاه بهما رب المجد لمـــا فيهما من معان قوية .. **قال فى مثل صديق نصف الليل :**

« من منكم يكون له صديق ويمضى اليه نصف الليل ويقول له يا صـــديق أقرضنى ثلاثة أرغفة ، لأن صديقا لى جاءنى من سفر وليس لى ما أقدم له . فيجيب ذلك من داخل ويقول لا تزعجنى . البـــاب مغلق الآن وأولادى معى فى الفراش . لا أقدر أن اقوم واعطيك . اقول لـــكم وان كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه فانه **من أجل لجاجته** يقوم ويعطيه قـــدر ما يحتاج » . وقـــد أوضح الرب يســـوع فى هـــذا المثل ، أن المعطى لم يعط لأجل الصـــداقة بل لأجل اللجاجة !! وقد أردف الرب هذا المثل بكلمات صريحة قاطعة واضحة **« وأنا أقول لكم اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لـــكم » .**

وقد وردت هذه الكلمات بنفس قوتها وروحها فى العظة على الجبل (مت ٧ : ٧) . لكن هذه الكلمات ، فى الترجمة التى بين أيدينا ، لا تحمـــل ــ مع الأسف ــ نفس المعنى التى تحمله نفس هـــذه الكلمات كما وردت فى النص اليونانى . ان معناها فى اليونانيـــة « استمروا فى الســـؤال ، استمروا فى الطلب ، استمروا فى القرع » !! وهـــكذا يبدو جليا كيف أن الســـيد الرب يريدنا أن نسأل بلجاجة ومثابرة ..

أما المثل الثانى عن اللجاجة ، فهو مثل الأرملة وقاضى الظلم . وقد قدم له القديس لوقا الانجيلى الذى أورده بقوله « وقال لهم أيضا مثلا فى أنه ينبغى ان يصلى كل حين ولا يمل .. كان فى مدينة قاض لا يخـــاف الله ولا يهـــاب انسانا . وكان فى تلك المدينة أرملة . وكانت تأتى اليـــه قائلة : انصفنى من خصمى . وكان لا يشاء الى زمـــان . ولكن بعـــد ذلك قال فى نفســـه وان كنت لا اخاف الله ولا أرهب انسانا ، فانى لأجل أن هـــذه الأرملة تزعجنى أنصفها لئلا تأتى دائما فتقمعنى . وقال الرب اسمعوا ما يقول قاضى الظلم . افلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليـــه نهـــارا وليلا وهو متمهل عليهم . أقول لكم انه ينصفهم سريعا » .

ما أكثر التعزيات والبركات التى أوضحها لنا الرب بهــذا المثل .. ان الله حينما يعقد مقارنة بينه وبين قاضى الظلم الذى انصف الأرملة نتيجة الحاحها ، انما يبين بأوضـــح أسلوب كيف أنه تعالى لابد وان يســتجيب من يلح فى الطلب ويثــابر عليه .. ان الله يضـــع ذاته فى كفة وقاضى الظلم فى كفــة أخرى . واذا كان قاضى الظلم قد استجاب للجاجة المــرأة ، افلا يستجيب الله ؟ ! ويجيب الرب يسوع على هذا التساؤل فيقول « انه ينصفهم سريعا » ما أجمل وقع هذه الكلمات على منتظرى الرب . . .

ويقول القديس أغسطينوس معقبا على مثل قاضى الظلم « الرب يسوع الذى هو معنا ، لا يمكن أن يحثنا بمثل هذه الصورة ما لم يكن مستعدا لأن يعطى . انه مستعد للعطاء أكثر من استعدادنا للأخــذ . . . لو لم يكن الرب يسوع مستعدا أن يعطينا لمــا ضرب لنا مثل اللجاجة وأظهــر أهميتها . . . ماذا يشجعنا على الصلاة أكثر من مثل قاضى الظلم .. ان ذلك القاضى الظالم لم يكن يخف الله أو يهاب مخلوقا ، ومع ذلك أنصت الى أرملة توسلات اليه غلب من لجاجتها وليس من شفقته ! فماذا كان ذاك الذى لا يحب أن يسأل سمع تضرعها ، فكم يسمعنا الله الذى يحثنا على أن نسأل !! » .

ان الحكم على أى عمل لا يظهر الا بانتهائه . فالبداية الحسنة لا تصلح حكما على عمل ، لكن النهاية هى التى تقــــرر مصيره . واذا كان يعقوب الرسول قال عن الصبر ان له عمل تام (يع ١ : ٤) ، فان هذا من ناحيــة أخرى يعلمنا أن المثابرة فضيلة ضرورية ، بدونها لا تثمر أى فضيلة ..

قال القــديس باسيليوس الكبير « اذا كان سؤالك حسب مشــيئة الله ومرضاته ، فلا تكف عن السؤال حتى تناله . والرب نفسه لكى يلفت نظرنا الى هذا قال مثل الرجل الذى حصل على الخبز فى نصف الليل من صديقه بلجاجته . . . ينبغى الا نمل فى صــلاتنا حتى ولو طالت الســنون ، وحتى لو كانت طلبتنا مستحيلة فى أعين الناس جميعا ، لأن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله » . **وقال أيضا** « الله يعرف ما نحتاج اليه ، وهو يعطينــا جميع الخيرات الجسدية بدون سؤال ، فها هو يشرق شمسه على الأبرار والأشرار . أما الايمان والبر والفضيلة والملكوت ، فهــو من أجل صلاحه يتمهل حتى لا ينالها الانسان الا بالطلب والسؤال والمشقة والأحزان المتنوعة ، بصبر كثير . لأنه يود أن نحب الخير ونسعى اليه ونطلبه باشتياق وتلهف ، حتى نكون نحن السبب فى العطية ، وحتى اذا ما حصلنا عليها نتمسك بهــا ونحافظ عليها نظير التعب والجهد الكثير الذى بذلناه للحصــول عليها » . ويقول مار اسحق **« ان كنت خاليا من فضيلة المثابرة فلا تنتظر ان تحصل على عزاء حقيقى فى صلاتك ، لأن المثابرة تساوى العمل . . . كل تدبير ان كان صلاة أو صوم أو سهر بدون المثابرة لا ياتى بثمر** ، ويكون فى نهاية تعبك

فيه كمثل انك ابتدات فقط ... احتمال السقوط موضوع أمام أعيننا على الدوام ، لذلك حرضنا الله على الصلاة بمداومة ، والمثابرة على السؤال والطلبة » : **وقال أيضا** « أحيانا نطلب من الله ولا نأخذ ، ويكون ذلك بعدل، لأننا لا نطلب بصبر ومداومة فى الصلاة وبلا جدارة أو ثقة ، ولا نطبق قوله الصريح « الصارخين اليه نهارا وليلا » ، بل ننتظر أنه هو ذاته يعطينا . أما هو فينتظر أن نقدم له سببا ووسيلة يعطينا بها ما يشتاق أن يمنحه لنا . فلهذا يتركنا نتضيقويتأنى علينا حتى نقرع بابه ونثابر فىالسؤال بلجاجة... »

من مشجعات الصلاة

(١) السكون :

ويأتى فى مقدمة العوامل التى تشجع على الصلاة ، السكون .. السكون الخارجي والداخلى . والمقصود بالسكون الهدوء من جميع نواحيه ، داخل الانسان وخارجه .. وطبعا سوف لا نتناول بالحديث حياة السكون على المستوى العالى فى مفهوم القديسين كسكون الحواس وسكون النفس وسكون الفكر وسكون الروح ، **لكن نشير الى السكون من جهة ارتباطه بموضوع الصلاة .** ان الانسان الذى يحيا فى صخب دائم لا يعرف أن يصلى جيدا . والانسان الذى يموج قلبه بأفكار وشهوات مختلفة لا يستطيع أن يصلى كما ينبغى ... ومن هنا كانت حاجتنا الى السكون . وقد افردنا موضوعا خاصا عن ذلك فى هذا الكتاب حينما تحدثنا عن الخلوة ...

من جهة السكون الخارجي ، نرى أن الانسان باعتباره مكونا من روح وجسد ، وليس روحا خالصا ، يتأثر الى حد بعيد بالجو المحيط به . لذلك نقرأ عن المسيح أنه كثيرا ما كان ينفرد فى موضع خلاء . **قال القديس يوحنا ذهبى الفم** تعقيبا على قول القديس متى عن الرب يسوع « بعدما صرف الجموع صعد الى الجبل منفردا ليصلى ، ولما صار المساء كان هناك وحده » (مت ١٤ : ٥٣) ... **لماذا صعد الى الجبل ؟ ليعلمنا ان الوحدة والانعكاف هما جيدان حينما نصلى الى الله . هكذا ترونه دائما ينسحب الى البرية ، وهناك يمضى الليل كله فى الصلاة ، معلما ايانا أن نبحث فى شوق عن الهدوء فى صلواتنا** سواء فى الزمان أو فى المكان . لأن البرية هى أم السكون (الهدوء) . أنها ميناء هادىء يخلصنا من كل اتعابنا » .

هناك قصة رائعة معبرة أوردها بستان الرهبان عن تلميذ ذهب الى معلمه يشكو اليه تشتيت فكره اثناء الصلاة وعدم شعوره بأية تعزية . أحضر

الشيخ المختبر اناء ووضع فيه ماءا والقى فيه حصاة فأحـــدثت تموجات فى الماء . فأمر المعلم تلميذه أن ينظر بوجهه الى الماء فى الاناء . فلما ســـأله عما يرى ، كان جوابه « انى أرى خيالات » . ثم انتظر المعلم حتى هـــدأت وأمر تلميذه أن ينظر ثانية ، وسأله ماذا يرى . فأجاب « انى أرى وجهى كما فى مرآة » . فقال له المعلم ناصحا «هكذا ياولدى اذهب واهدأ مع نفسك وأنت تجد التعزية فى الصلاة . . . » .

من اجل هذا أحب القديسون السكون وعشقوا الحياة فى ظله شاعرين أن الحياةالروحية تثمر فى كنفه. . . ولعل هذا ماقصد اليه المسيحأيضا فى قوله « متى صليت فادخل الى مخـــدعك واغلق بابك . . . » . **قال القـــديس اغسطينوس** فى تعليقه على هذه الآية « ليست هذه المخادع ســـوى قلوبنا عينها كما تذكر فى المزامير حيث يقال ماتقولونه فى قلوبكم ، اندموا عليه فى مضاجعكم » (مز ٤ : ٤) انه أمر يسير أن ندخل الى المخادع الحســـية لكن المقصود ، المخادع الروحية فى انساننا الداخلى » . **قال يوحنا كسيان** «قبل كل شيء يجب أن نلاحظ بكل اعتناء مبادىء الانجيل ، التى ترشدنا الى الصلاة المضبوطة : ندخل مخدعنا ونغلق بابنا ونصلى . ولكن كيف نتمم هذا الامر عمليا ؟ اليس بأن نعزل أفكار العالم والاهتمامات البـــاطلة وندخله فى عشرة ملتصقة بالرب ؟ **وما معنى الابواب المغلقة فى الصـــلاة ؟ اليس هو الهدوء والصمت الكامل المقدس ، والشفاه المغلقة المتخشـــعة أمام فاحص القلوب ؟! »** . واذا امتزجت الصلاة بالسكون فانها تثمر أثمارا روحية كثيرة **قال مار اسحق** « وهكذا نأتى الى قدام كل يوم ، ولا نجد رجاء الله فقط ، بل وايمانا حقيقيا وحبا لا غش فيه ، وعدم تذكار الشرور ، ومحبة الاخوة ، ونسكا وصبرا ، واستنارة داخلية ، وخلاصـــا من التجـــارب ، ومواهب روحانية ، وشكرا قلبيا ، ودموعا حزينة ، واحتمالا للضوائق العارضـــة ، ومغفرة لقريبنا بلا غش ، ومعرفة للشرع الروحانى ووجود عـــدالة الله ، وحلول الروح القدس، وعطايا الكنوز الروحية. . . **هذا جميعه يجود بهالله علينا بواسطة السكون . من اجل اقتناء هذا يشتهى الانسان السكون ! »** .

(٢) القراءة الروحية :

هناك صلة وثيقة بين القراءة الروحية والصلاة ، حتى قال الآباء عبارتهم المشهورة « القراءة هى ينبوع الصلاة الزكية (النقيـــة) » . فالقراءات الروحية تعين على تقويم الصلاة ولذا أوصى الرسول بولس تلميذه تيموثاوس « اعكف على القراءة » (١ تى ٤ : ١٣) . وتنقسم القراءة الروحية الى قسمين : القراءة فى أسفار الكتاب المقدس ، والقراءة فى الكتب الروحيـــة بصـــفة عامة .

ان حياة الرب يسوع تعطينا فكرة عن قيمة الكلمة فى حياتنا . ففى التجربة على الجبل ، وفى كل مناسبة تعرض لها ، الى ان صرخ على الصليب قائلا « الهى الهى لماذا تركتنى »(١) ، علمنا كم يجب ان نحفظ كلمة الله فى قلوبنا ونتسلح بها فى جهادنا ضد أعدائنا ... **من أجل هذا ينصح القديس ايرونيموس** تلميذة له تدعى يوستخيوم قائلا « لا يستحوذ عليك النوم الا وأنت ضابطة بيدك على الكتاب للقراءة . واذا نعست وارتمى وجهك فليرتم فوق الكتاب المقدس » .

ونستطيع ان نقف على اثر القراءة الروحية فى الصلاة مما كتبه مار اسحق من واقع اختباراته فى هذا الصدد ، قال :

+ **« من القراءة ينجمع الفكر ، لكن ما يقتنى عفة وحياء ونقاوة الا من الصلاة »** ..

+ « **القراءة تجعل الانسان الخفى خليقة جديدة** . ومن الصلاة ينفخ فيه روح الحياة ، والحرارة الالهية تلهب العقل فى كل وقت ليطير من الارضيات ويحل فى مسكن الحياة » .

+ « ضع هذا فى ضميرك دائما وادرك السبب كل وقت اذا لاحظت أن حرارة قلبك قد نقصت ، واذا ماقرات الكتب ينجمع ذهنك من الطياشة ، ارجع الى الصلاة لان بها يطير العقل بالاكثر » .

+ « **لان بالقراءة ينفتح قدام العقل باب الافهام** ، وهى الافهام التى بها تثار شهوة الصلاة » .

+ **« لانه اذا ما ارتبط الضمير بالقراءة والصلاة يتقوى ، وما يقبل زرع افكار الشرور ، ويصير فوق كل فخاخ الشياطين »** .

+ « فى الوقت الذى يكون فيه فكرك مبددا ، اثبت فى القراءة أكثر من الصلاة » .

+ « الزم القراءة ان امكنك ... لانها ينبوع الصلاة النقية وعونها » .

+ « حرارة النفس تتولد من القراءة الدائمة فى تدبير السكون المقرون بأعمال تواتر الصلاة » .

+ « حسن الصلوات اذا امتزج بالقراءة الدائمة بافراز يوصلنا الى هنيذ العقل » .

+ **« عندما يدنو الانسان الى الصلاة فان تذكار القراءة يلهب المصلى بافهام الكلام الصحيح الذى قيل عن الله تعالى ... »** .

---

(١) هذه الكلمات هى مطلع المزمور الثانى والعشرين .

(٣) الجهـــاد والتغصب :

سئل الانبا اغاثون ذات مرة « أية فضيلة أعظم فى الجهاد ؟ » **فأجـــاب** « ليس جهاد أعظم من أن تصلى دائمًا لله . لان الانسان اذا أراد ان **يصلى** كل حين ، حاول الشياطين منعه ، **لأنهـــم يعلمونَ انه لا شئ يبطلُ قوتهـــم** سوى الصلاة لله . **كل جهاد يبذله الانسان فى الحياة ويتعب فيـــه لابد ان يحصد منه أخيرا الراحة الا الصلاة ، فان من يصلى يحتاج دائما الى جهاد حتى آخر نسمة » ...**

وقال القديس مقاريوس الكبير : « ان من يلازم الصـــلاة يحتـــاج الى جهاد أكثر من سائر الاعمال . لذلك ينبغى له الحرص الدائم والصبر والتعب دائما ، لان الشرير يناصبه العداء ، ويجلب عليه نعاسا وكسلا وثقل **جسد** وانحلالا وضجرا وافكارا مختلفة ، وطياشة عقل وحيـــلا كثيرة ، **محـــاولا** بذلك ابطال الصلاة . لذلك يلزم من يصلى الجهاد حتى الدم مقابل **أولئـــك** الذين يسعون لابعاد النفس عن الله ... » .

وقال القديس نيلس السينائى « ان كل حرب بيننا وبين الارواح الشريرة هى بسبب الصلاة الروحية ، لانها بالنسبة لهم أكثر الاســـلحة الروحيـــة ضررا ، وبالنسبة لنا أكثرها نفعا » .

وكلام هؤلاء القديسين يصور لنا بأمانة طبيعـــة الصلاة وما يصاحبها من ضرورة الجهاد المتواصل . وبقدر ما للصلاة من بركات ، بقدر ماتحتاج الى جهاد . ان طريق حياة العبادة شاق وعسير ، ويكفى وصف المسيح له ، **ان** بابه ضيق ومسلكه كرب !! يؤكد هذه الحقيقة قول معلمنا بولس الرسول **« مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين ، مـــع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات ...** مصلين بكل صـــلاة وطلبة كل وقت فى الروح وســـاهرين لهذا بعينه **بكل** مواظبة وطلبة لاجل جميع القديسين » (أف ٦ : ١٢ ، ١٨) ...

هناك مبدأ هام فى الحياة الروحية يعرف عند الآباء بمبـــدأ « التغصب » . فالامر ليس هينا كما يتوهم البعض . ان كل شئ فى الحياة لاننالـه الا **بالجهد** والتعب والمشقة خاصة اذا كان شيئا قيمًا أو عزيز المنال . **فالطالب والتاجر** والزارع ... كل هـــؤلاء لايفوزون بمطلوبهم مالم يجـــاهدوا **ويتعبوا ...** هكذا الملكوت لانستحقه مالم نجاهد قانونيا ... اننا لانصعب **الطـــريق ،** ولا نصور الله بصورة غير صورته . **وخير مثل يوضح لنا جهـــاد الصـــلاة ، ربنا يسوع المسيح** الذى كثيرا ماكان يقضى ليالى كاملة فى الصلاة ، **والذى** صلى بأوفر جهاد فى بستان جثسيمانى ، حتى أن عرقه كان يتصبب **من جبينه**

كأنه قطـــرات دم . ما أكثر ما نقـــرأ عن جهاد القديسين فى الصـــلاة وما أكثر البركات والنعم التى استؤهلوا لها ...

واليك بعض أقوال مار اسحق عن جهاد الصلاة وبركاته :

+ « هل أنت تعمل فقط لخبز الجسد حينما يكون لك رغبة فى العمل ، أم انك تجاهد حتى لو لم تـــكن لك رغبة فى العمـــل ؟ اعـــلم أن أمر غصب النفس على العمل هو أمر هام جدا فى الامور الدنيوية والروحية أيضا . هو لازم للصلاة وقراءة الكتب المقدســـة والكتب الروحية وحضـــور الخدمات الالهية فى الكنيســة .. **لاتطع الجسد الكسول الخادع فانه مملوء خطية ..** الجسد يشتهى أن يرتاح على الدوام غير مكترث بالهلاك الابدى الذى يكون عوض راحته القليلة الزائلة ... » .

+ « كل صلاة لم يتعب فيها الجسد ، ولم يحزن القلب لأجلها ، تكون بمثابة السقط الفاقد الحياة » .

+ « خمسة آلاف سنة وأكثر **ترك آدم يعمل فى الأرض ويشقى ، اذ لم تكن قد ظهرت طريق القديسين كما قال الرسول . وأتى الرب بنعمتـــه فى آخر الأيام ، وأمر طبيعتنا أن تغير العرق بالعرق ، ولم يامرها ان تهـــدأ من العمل . بل أرانا كيف نقلب ذاك الى هذا لأجل تحننه علينـــا ولكثرة تعبنـــا فى الارض . فان كنت تبطل من العرق فى الصـــلاة ، فبحكم الضرورة لابـــد وأن تحصد شوك وقرطب الآلام (الخطـــايا) ، لاجـــل البطـــالة من تعب الصـــلاة ... » .**

لكن لو اقترنت الصلاة بالجهاد وحـــده ، ووقفت عند هذا الحـــد ، لمـــا استطاع انسان أن يستمر فى سعيه فيها . لكن شكرا للرب، **فبقدر مانجاهد وبقدر ماتتوفر لدينا نية الجهاد ، بقدر ماتوافينا المعونة الالهية وتساندنا .**

ولمار اسحق اختبارات كثيرة فى هذا الصدد قال :

+ « بقدر مايشقى الانسان ويجاهد ويغصب نفسه من أجل الله ، هكذا معونة الهية نرسل اليه وتحيط به وتســـهل عليه جهاده وتصـــلح الطريق قدامه ... أما اذا كنت تسأل الى اى حد أغصب ذاتى فانى اقـــول لك الى حد الموت أغصب نفسك من أجل الله ... أليق بنا أن نموت فى الجهـــاد من ان نحيا فى السقوط » !!

+ « اذا ما خرجت من الكلام الالهى والصلاة بلا ثمرة ، ولم يبق ذكـــر شىء فيها ، بل كنت فى طياشة ، فاعلم أن ظلاما عظيما موجود داخلك ...

ودواء هذا الظلام انما يتولد من عمل الصلاة . فاذا جاهد الانسان وثبت **فيها** عند ذلك يحس سريعا ، وفى وقت قليل ، بالمعونة التي تكون من الصلاة » .

+ « **تأمل اية خيرات تتولد للانسان من الجهاد** . ماأكثر مايوجد الانسان جاثيا على ركبتيه فى الصلاة ويداه ممدودتان الى السماء وهو شاخص بوجهه الى صليب المسيح ، وجامع كل حركاته وفكره الى الله فى الصلاة . وبما أنه متوسل الى الله ، يتحرك فى قلبه بغتة ينبوع حياة بحلاوة ، وتنحل أعضاؤه وتغمض عينيه ، ويلفت وجهه الى الارض ؛ وأفكاره تتبدل حتى أنه لايقدر أن يسجد من الفرح الموجود فى كل جسده » .

+ « تأمل أيها الانسان . أما تقرأ المكتوب أنك ان لم تجاهد لا تجد ، وان لم تقرع الباب دائما بحرارة مواصلا السهر فلن يسمع منك ... اصبر على ظلمة الآلام ، وواظب على قراءة الكتب المقدسة ... وداوم على الصلوات الاغتصابية ، واكره نفسك عليها فستوافيك النعمة وأنت لاتعلم » ...

+ « بمقدار ما يدخل الانسان للجهاد من أجل الله تعالى ، على قدر ذلك يكون لقلبه دالة فى صلاته » .

+ « **من الصلوات الغصبية المقدمة بحزن وخضوع وانسحاق قلب ، تتولد صلاة النعمة الاراديه المتصلة بنياح وراحة** » .

+ « **وان كان فى البداية ما يحس الانسان بالمعونة فى الصلاة من أجل طياشته ، فلا يضجر ولا يمل . لأنه ليس فى حال مايلقى الفلاح البذار فى الارض ينتظر الثمر ... ولكن يلذ للفلاح اذا ما اكل من عرقه خبزا** » .

جهاد الصلاة كما قلنا شاق ومرير ، لكن المؤمن يقبل عليه من أجل البركات المقترنة به ... يعزيه كذلك أن جهاد التغصب لايستمر الى النهاية ... ان ماتفعله الآن بتغصب وجهد ستتمكن من فعله بعد ذلك براحة وبدون تغصب . **قال القديس مقاريوس الكبير « الانسان الذى يرغب أن ياتى الى الرب ... عليه أن يداوم باستمرار فى الصلاة ، ويغصب ذاته على الاتضاع ... وكل مايغصب نفسه لاجله ويعمله وهو متألم بقلب نافر غير راض ، سوف ياتى عليه يوم يعمله برضى وقبول** . وبذلك يدرب الانسان نفسه على حياة الصلاح والاهتمام بالرب » .

تأخر استجابة الصلاة

من المفيد لنا أن نتفهم جميع مواعيد الله جيدا . لا نأخذ جانبا منها ونعرض عن الباقى ، فتكون النتيجة أننا حينما نصطدم بأمر منها يلحقنا الشك والضعف . مثال ذلك انسان ركز كل فكره فى مواعيد الله لاستجابة الصلاة ، ولم يفطن الى أن هناك عوامل قد تؤخر استجابة طلباتنا ، وقد تكون هذه العوامل لصالحنا ... لكن رغم كل ذلك يبدأ يحزن ويكتئب ويشك ، لانه ركز فكره أولا فى ناحية الاستجابة وحدها . ليتنا نشعر بأبوة الله لنا ، تلك الابوة المحبة الحكيمة واهبة الخيرات ... وأن نحس بأن كل مايأتى علينا انما هو لخيرنا لانه من عند « صانع الخيرات » . **قال القديس يوحنا ذهبى الفم** « ان الصلاة بركة كبيرة ان مارسناها بحالة داخلية صحيحة ، مع شكر الله ، سواء نلنا طلباتنا التى سألناها او لم ننلها . **لان الله حينما يعطى او لا يعطى انما يفعل ذلك لخيرك** لانه حينما تنال طلبتك ، فمن الواضح انك أخذت ، وحينما لا تنلها تكون ايضا قد أخذت ، لانك تكون لم تأخذ ماهو ضار لك بلا شك . وكونك لم تأخذ ماهو ضار ، معناه انك منحت ماهو صالح . لذلك سواء اخذت ما سألته أو لا ، قدم الشكر لله فى ثقة ، انه كان ولابد وأن يعطينا دائما ما نسأله ، لو لم يكن من الافضل لنا أن لا نناله » .

هناك أكثر من سبب لتاخر استجابة الصلاة، نلمسها مما قاله ماراسحق:

+ **« وان أطال الله روحه اذا انت سألته ، حيث تطلب ولا تأخذ سريعا ، فلا تحزن . لست أحكم من الله** ... ويكون ذلك اما لان اعمالك ليست أهلا بمسألتك . واما لأن طاقة قلبك بعيدة عن حد صلاتك ، لأن منزلتك فى الخفايا كالطفل قبالةالاشياء العظيمة » . فالله قد يؤخر الاستجابة لحكمة يراها . **ومن أمثلة ذلك** : زكريا واليصابات وصلواتهما لكى يرزقهما الله نسلا . ومع أنهما كانا بارين أمام الله (لو ١ : ٦) ، لكن الله أجل استجابة طلبتهما حتى يشرفهما بولادة يوحنا المعمدان الذى استحق أن يكون الملاك الذى يهيىء الطريق أمام رب المجد ، ونال لقب « اعظم مواليد النساء » **من فم الرب ذاته !!**

+ **ويتفق القديس باسيليوس الكبير ومار اسحق** على أن تأخر استجابة الصلاة احيانا يكون مرده **الى أن الشىء الذى نناله سريعا لا نشعر بقيمته فنفرط فيه ونفقده سريعا** . أما الشىء الذى لايأتى بسهولة وبسرعة وانما بتعب وجهاد وبعد وقت فاننا نحافظ عليه . يقول مار اسحق « لايليق أن الاشياء العظيمة المرتفعة ، تقع بسهولة فى أيدينا ، لئلا تهان موهبة الله من

أجل سهولة وجدانها . لان كل شيء يوجد بالسرعة ، بالسرعة يكون عدمه وكل شيء يوجد بالتعب ، بالحذر يثبت ويحفظ » .

+ **وقد تكون طلباتنا فى غير صـــالحنا** ، من أجل هـــذا لاننال استجابتها من الله محب البشر . وفى ذلك يقول مار اسحق « لانه ليس كل شهوة تبدو أنها صالحة ويشتاق اليها الانسان ، تكون نافعة له . فقد يكون حدوث هذه الشهوة من الشيطان هذه التى يظن بها انها نافعة !! ولهـــذا ينبغى لنا أن نقرن صلوات متصلة بتلك الشهوة التى تبدو أنها صالحة وجيـــدة وتتحرك فينــــا » . . .

+ **وقد تقتضى محبة الله أن يؤجل استجابة الصلاة والطلبة حتى ما ندنو منه اكثر ونثابر على الســـؤال بلجاجة** . . . قال مار اسحق « لهـــذه العلة (شعور الانسان بضعفه) ، يقبض الله الرؤوف نعمته عن العبد ، لكى يصير له هذا الامر طريقا الى الدنو منه . لان من جراء حاجته يلازم المانح اياها . ولو كنا فى السكون واحتجنا الى معونة الله فى شيء ولم تأتنا ولم نأخذ ،يكون ذلك لاننا لم ندن الى الله بحرص فى الصلاة ، ولم نصرخ اليه بوجع وحرارة نهارا وليلا ، بل ننتظر أنه هو من ذاته يعطينــــا . . . أما هو فانه يتفرس لنا بسبب لكى نتقدم اليه ، فلهـــذا يتركنا نتضيق . وأما تأخره فى الاستجابة فهو لكى نثابر على قرع بابه لمنفعتنا بالطلبة . وأما نحن فعندما تأتينا أسباب المنفعة نتغافل ونتخلف ونتقاعد عن السؤال ، ونعطى انفسنا للملل والضجر وأكثر من الماء نبرد » . . .

ويؤكد هذا المعنى ما أورده يوحنا كسيان على لسان الاب اسحق قـــال « اننا نعلم من دانيال الطوباوى ـــ رغم أنه سمع من أول يوم بدأ فيه يصلى لكنه لم يحصل على نتيجة توسله الا بعد واحد وعشرين يوما . اذ قال له الملاك « لاتخف يادانيال **لانه من اليـــوم الاول** الـــذى فيه جعلت قلبك لتفهم ولاذلال نفســـك قدام الهك ، ســـــمع كلامك ، وانا اتيت لاجـــل كلامك » (دا ١٠ : ١ ـــ ١٢) .

ونحن أيضا يجب الا نسترخى فى صلواتنا التى بدأناها . . . فالطلب قـــد يتأخر بحسب حكمة الله ، أو أن المـــلاك الذى يحضر لنـــا بركة الرب يعوق بمقاومة الشرير ـــ كما حدث فى أمر دانيـــــال ـــ فالملاك لا يمكن أن يوصل الينا نعمة الرب اذا وجدنا قد تراخينا عن طلبها بشوق . وكان هذا ممكنا أن يحدث فى حالة دانيـــال ، لو لم يواظب على الصـــلوات طيلة الواحـــد وعشرين يوما .

+ **ويوضح مار اسحق سر تاخر استجابة الصـــلاة ، بأن ذلك لنفعنـــا**

الروحى عامة فيقول « ليس أن الله سيد الكل يرى فى طلبتنا زيادة على بحر مراحمه التى ليس لها قرار . وان اعتقدنا بهذا فانما يكون ذلك نفاقا واثما لكننا بطلبتنا المستمرة وحزن ضميرتا نستضىء ونقتنى عزاء فى الامور الضرورية من المفاوضة المستمرة » .

كيف نصلى ؟

(١) الوضع الجسدى والصلاة :

يخطىء من يظن انه لا علاقة بين الصلاة والوضع الجسدى للمصلى اثناءها . فوضع الجسد فى الصلاة له دخل كبير فى انتباه الفكر . نسمع فى ايامنا هذه الكثير عن سلطان العقل على المادة لكننا لانقيم كثير وزن لسلطان المادة على العقل وهذا خطأ !! فليس الانسان روحا مجردة ، لكنه روح وجسد ، وكلاهما يؤثر فى الآخر ... أضف الى هذا ان **الاوضاع الجسدية اثناء الصلاة تدل على مدى توقيرنا وخشيتنا للرب والتذلل أمامه** ، مما يكون سببا فى استجابة صلواتنا ونوال بركات ونعم روحية الهية .

ويوضح لنا مار اسحق هذا الامر ، ويدعوه « الزى الحسن فى الصلاة » ... قال « حسب الكرامة التى يظهرها الانسان وقت الصلاة ذاته بالجسد والضمير ، هكذا توجد له نقاوة حركات واستضاءة فى الصلاة ، ويؤهل لنعمة كثيرة من العلاء .

+ « على قدر الاهتمام بالزى الحسن والحشمة فى الصلاة وبسط اليدين الى السماء ، وقيام متعفف وسقوط على وجهه الى الارض . الذى يزين صلاته بهذه الانواع على الدوام ، سريعا مايؤهل لفعل الروح القدس » .

+ « فاعلموا ياأخوتى ان الله — فى كل الاعمال انى من اجله — يهمه جدا أن نظهر زيا حسنا وأنواعا جيدة وتوقيرا وحياءا واهتماما ... ليس من أجله هو بل من اجل نفعنا نحن ، لانه ما ينتفع الله بشىء ولا يضر ، ولكن لاجل نفعنا » .

+ « كثيرون زلوا بافكارهم ، لانهم ظنوا انه يكفى الصلاة فى القلب فقط ، والله ما يريد منا شيئا آخر . واذا كانوا مضطجعين على ظهورهم أو جالسين باحتقار والنكر فقط من الداخل . ولم يعتنوا أن يزينوا عملهم الظاهر بالقيام

الحسن حسب قوة الجسد وترتيب الحواس والتوفير ، وأن يخروا على وجوههم كمثل من يتقدم الى لهيب نار . ويأخذوا على أنفسهم اشكالا حسنة وزيا وتوقيرا من داخل ومن خارج ، بترتيب جميع الاعضاء ، واستحياء على وجوههم ، ويفرزون كرامة الرب وتوقيره . ولم يفطنوا لمكر وصعوبة العدو . ومن هنا اسلموا للزور والبهتان » .

على أن اظهار هذا الوقار بالوقوف أو السجود أو برفع اليدين غير ملزم للجميع ، فالضعفاء والمرضى لهم حكم خاص . ويقول مار اسحق . « الله رحوم متحنن صالح . ليس لعوارض الطبع وضرورياته يحاسب ويدين ، ولو أنها تكون مستوجبة اللائمة . **بل يدين على الاشياء المستطاعة اذا أهملت منا »** . . . وقال ايضا « **ولست أعنى بقولى هذا أن نغصب المرضى وضعاف الجسد أن يكونوا تحت هذا الناموس** . ولا أن يتدبر الانسان بغير ماهو مستطاع ، بل قولى أنه ينبغى أن يكون عملنا بخوف ورعدة ووقار . وأما الذى يكون بسبب الضرورة — ولو أن فيه خروجا عن حد الناموس — وعمل بخلاف العادة، فكالقربان المختار يقبله الرب . وليس أنه مايلوم فاعله فقط ، بل حتى الامور الحقيرة التى تكون من اجله بارادة جيدة ، يتقبلها كالاشياء العظيمة . ولو كانت بغير الواجب ، يحمل صاحبها بالرحمة من الله لانه عارف بضرورات طبعنا قبل أن يخلقنا » .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشير الى بعض خداعات الشيطان التى يتدخل بها فى حياة اولاد الله ازاء الصلاة . . . لقد ذكرنا آنفا أن الضعفاء والمرضى لهم حكم خاص فى جهادات الصلاة . ومن الخبرة الخاصة واقوال الاباء القديسين وسيرهم نعلم أنكلا منالجسد والشيطان له خداعاته الخاصة . . فالجسد الذى يشتهى ضد الروح لايريد الا الراحة والنياح . قد يحدث أن يشعر الانسان بالضعف الجسدى وثقل الاعضاء وآلام الرأس (الصداع) اذا عزم على الصلاة . . . قد يكون هذا خداعا من الجسد الكسول ، أو حربا يأتى بها علينا عدو الخير . **وهناك قصة معبرة اوردها بستان الرهبان عن** راهب كان اذا اعتزم الصلاة ، تأخذه حمى وقشعريرة مقرونة بآلام شديدة فى رأسه . أما هو فكان يقول فى نفسه « ياشقى ، لعلك تموت هذهالساعة، فاغتنم صلاتك قبل موتك » . وهكذا كان يتمم صلاته . وبمجرد فراغه من الصلاة تسكن عنه الحمى وتقف الآلام والقشعريرة . لقد ظل يعانى من هذه الحرب زمانا ، لكنه اكتشف حيل العدو وخداعه ، وظل أمينا فى اتمام صلاته حتى خلصه الرب ورفع عنه هذا القتال .

من اجل هذا يجب الحذر جيدا فى جهادنا . فاذا اعترانا تعب جسدى فلنميزه من اى نوع هو ، وذلك بكشف أمورنا للآباء الروحيين ، وعلى ضوء سيرة رجال الله القديسين .

هناك أوضاع جسدية مختلفة للمصلى . لايمكن أن يتبع الجميع وضعا واحدا ، لكن المصلى يتخذ الوضع الجسدى الذى يتلاءم مع مشاعره القلبية وقت الصلاة . . .

+ **الوقوف فى الصلاة هو الوضع الشائع** . قال الرب يسوع « **ومتى** وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على أحد شيء . . . » (مر ١١ : ٢٥) . ويصاحب الوقوف عادة **رفع الايدى** . . . قال داود النبى « استمع صوت تضرعى اذ استغيث بك **وارفع يدى** الى محراب قدسك » (مز ٢٨ : ٢) . وقال القديس بولس « فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان **رافعين أيادى طاهرة** بدون غضب ولا جدال » (١ تى ٢ : ٨) .

+ **أما الجثو أو الركوع فيناسب حالة الاعتراف بالذنوب أمام الله وسؤال العفو والغفران لمن يريد ان يتضع** كما يقول بولس الرسول « بسبب هذا **أحنى ركبتى** لدى أبى ربنا يسوع المسيح الذى منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الارض » (اف ٣ : ١٤ ، ١٥) . وقال المرتل **هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا** » (مز ٩٥ : ٦) . **والرب يسوع نفسه فى بستان جثسيمانى جثا على ركبتيه وصلى** (لو ٢٢ : ٤١) .

+ **وهناك حالة من التذلل والانسحاق والجهاد الروحى، يخر فيها المصلى على وجهه** . يذكر الكتاب عن **موسى وهارون** – بعد أن حمى غضب الرب على الشعب بسبب خطية قورح وداثان وابيرام – **أنهما** « خرا على وجهيهما وقالا : اللهم اله أرواح جميع البشر هل يخطىء رجل واحد فتسخط على كل الجماعة ؟! » (عد ١٦ : ٢٢) . . . **والسيد المسيح نفسه فى ليلة آلامه فى البستان « خر على وجهه وكان يصلى . . . »** (مت ٢٦ : ٣٩) .

والعيون المرفوعة لله فى **الصلاة – حتى لو كانت مغمضة – لها قيمتها وأثرها** . يقول داود النبى « اليك رفعت عينى ياساكن السماء » (مز١٢٣:١) ويتبع رفع العينين الى الله رفع عينى النفس أيضا « اليك يارب أرفع نفسى» (مز ٢٥ : ١) . وعينى النفس ترفعان الى الله متى توقفتا عن تبادل النظر مع الاشياء الارضية أو الامتلاء من الصور المادية ، وتبدأ فى احتقار الاشياء المصنوعة وتفكر فى الله وحده . . . ان العيون المرفوعة لله لاتخزى أبدا « حولى عنى عينيك فانهما قد غلبتانى » (نش ٦ : ٥) .

(٢) التمهيد للصلاة :

يحتاج المصلى الى فترة قبل بدء الصلاة يمهد بها ذاته لجو الصلاة.وفترة **الاعداد** لازمة سواء فى الصباح حيث تكون الروح مازالت ثقيلة من أثر

النوم وبسبب التفكير فى اهتمامات اليوم الجديد ، أو فى نهاية اليوم مشغوليات اليوم نفسه . **يقول مار اسحق « قبل أن ترغب اليه مصليا ، استعد بما يجب »** ... اهدأ مع نفسك ولو قليلا قبل بدء الصلاة وذلك حتى تهيىء ذاتك لجو الصلاة ، وتحرك عواطفك ومشاعرك نحوها . **لايليق أن تنتقل من الاشياء التى كنت منهمكا فيها الى الصلاة مباشرة ، لانك ان فعلت ذلك فانك لن تتلذذ بالصلاة ، وسوف يكون فكرك مشتتا ، لان ذهنك لم يزل مشغولا بما كان يفكر فيه بانهماك من لحظات قصيرة .** قال بوحنا كسيان نقلا عن الاب اسحق « لانه مهما تكن الاشياء التى يكون عقلنا يفكر فيها قبيل ساعة الصلاة ، ستعاودنا بالضرورة أثناء الصلاة عن طريق نشاط الذاكرة . لذا ، فان الحالة التى نود أن نكون عليها وقت الصلاة ، علينا أن نعد أنفسنا لها قبل وقت الصلاة . فالعقل فى حال الصلاة يتشكل بحالته السابقة . وحينما نمارس الصلاة تتخايل أمام نظرنا صور نفس الأحداث والكلمات والأفكار ، وتسبب اما غضبا واما كآبة ، أو تسترجع شهواتنا السابقة ومشغولياتنا، أو تجعلنا نهتز نتيجة ضحك غبى (التى أنا فى خجل من ذكرها) بسبب نكتة سخيفة . أو نبتسم على حادثما، أو نعود الى محادثاتنا السابقة. **ولذا ان أردنا الا يصطادنا شىء أثناء الصلاة، علينا اذن بالاحتراس قبل الصلاة حتى نخرجها من كل قلبنا » .**

فى فترة الهدوء القصيرة هذه ــ حوالى خمس أو عشر دقائق أو أكثر حسب ظروفك الخاصة ــ **حاول أن ترفع حرارتك الروحية** وذلك **اما بقراءة فصل فى الكتاب المقدس ــ للتعزية وليس الدراسة** . والمقصود بالتعزية الا تصطدم بمشاكل معينة أثناء الدراسة، انما أجل هذه للوقت الذى تخصصه لدراستك للكتاب . **وأما بترتيل لحن أو ترتيلة معزية ، واما برفع القلب فى تأمل خاص كمحبة الله لجنس البشر وانعاماته علينا ، أو التأمل فى حقارة ذاتك وخطاياك وتعدياتك، وكم أهنت الله ومازلت تهينه وتغضبه ...** والواقع أن الانسان لايستطيع أن يتبع طريقة واحدة . فالانسان لايكون دائما فى حالة روحية ونفسية واحدة . أحيانا يكون منتعشا متهللا فيميل الى الترتيل ، وأحيانا يشعر بتعزية خاصة يناسبه فيها الهدوء والصمت ، بينما مشاعر القلب مرفوعة من الداخل ، واحيانا أخرى يكون الانسان محتاجا الى انفساح رجائه فى الله ، وفى هذه الحالة لايناسبه التأمل فى خطاياه لئلا يقوده هذا الى الضيق فالقنوط واليأس ، انما يستحسن تأمله فى عظم مراحم الرب ... وهكذا .

وثمة شعور آخر طيب نريدك أن يمتلىء به قلبك قبيل الصلاة مباشرة. اشعر نفسك أنك واقف فى حضرة الله ، وأن الله ، يراك ويسمعك ، وانه قريب منك ينظر اليك بعطف . ليمتلىء قلبك بهذا الرجاء ، فانه يكون

لصلاتك كأجنحة بها ترتفع الى ضابط الــكل ... وقبل أن ترفع يديك ارفع نفسك وقل مع داود « اليك يارب رفعت نفسى » ، وقبل أن ترفع عينيك ارفع قلبك .. **وهناك نصيحة أخرى يقدمها مار اسحق** يقول « قبل بدء صــلاتك صلب على قلبك وأعضائك وارشمها بمثــال الصليب المحيى . قف مقــدار لحظة صامتا الى أن تسترح حواسك وتسكن حركاتك . وبعد ذلك ارفـــع نظرك الجوانى الى الرب ، واطلب منه بحزن أن يقوى ضعفك بنعمته » .. ويحسن جدا أن يقرن الانسان كل ما سبق قوله بالسجود ، فيسجد بخشوع عدة مرات قبيل الصلاة طالبا رحمة الرب ..

(٣) ضبط الفكر أثناء الصلاة :

« يقترب الى هــــذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبـــه فمبتعد عنى بعيــدا » (مت ١٥ : ٨) .. بهــــذه الكلمات وبخ السيد المسيح جماعة الكتبة والفريسيين المرائين . انهــا توضح لنا مبدأ هاما فى الصلاة . فليست صلاة الشفاه هى المطلوبة ، بل كلمـــــات الشفتين التى يضبطهـــا العقل والقلب ويتبعها . حينما تصـــلى جاهد أن تتتبع بفــكرك كل كلمـــة يلفظها لسانك . **ويقول القــديس يوحنا التبايسى « اذا تلوت كلام الصـــلاة المكتوبة ، لا تعتن بتلاوة الكلام فقط بل بأن تكون أنت ذاتك كلام التــلاوة . لأن التلاوة بدون ذلك لا تنفع** . بل ليتجسم اللفظ فيك فيصير عمليا فتظهـــر فى العالم أنك انسان الله » .. ويقول أيضا « **لا تظن يا أخى أن الصلاة هى مجرد الكلام ، أو يمكن تعلمها بالألفاظ . بل اسمع منى الحقيقة : ان الصلاة الروحانية لا تكون من مجرد الكلام والتلاوة ، لأنك لا تصلى الى انسان حتى تتلو أمامه كلاما مركبا . ولكن الله روح فصل أمامه بالروح** » .. وهـــــكذا يجب أن يشترك العقل والقلب مع اللسان فى الصلاة .. العقل يعى ما يقال، والقلب يشعر بما يفكر به العقل ، والشفتان تنطلقان بكلمات الروح والصحو .. كثيرا ما يحدث أن اللسان يتلو كلمات الصلاة المقدسة فى حين أن القلب يتجول فى أشياء أخرى ، أو أن العقل يعى كلمات الصلاة بينما لا يشعر القلب بها وبمعانيها .. ان الصلاة الحقيقية هى التى تكون فيها أفكار الصـــلاة متحدة مع مشاعر القلب .

ويتصل بموضوع ضبط الفكر فى الصلاة عدم التشاغل بأى أمر آخر أثنائها والسيد المسيح حينما قال « متى صليت ادخل الى مخدعك واغلق بابك .. » (مت ٦ : ٦) ، يقصد الا تتشاغل بأى أمر عن الصلاة . فمخدع الروح هو الجسد ، وأبوابه هى حواسنا الخمس الجسدية . ومعلوم أن الحواس هى مداخل المعرفة . مفروض أن نغلق هذه النوافذ حتى لا يدخل منهـــا شىء يشتت فكرنا أثناء الصلاة . **يقول القديس أوغريس** « تغافل عن ضروريات الجسد عند وقوفك للصلاة . حتى لو لدغك برغوث أو بعوضة أو ذبابة أو

أحد الهوام ، فلا تنشغل بهـا لئلا تخسر الربح العظيم الذى للصـلاة » .

وقد أورد لنا القديسان نيلس السينائى وأوغريس قصة معبرة عن عـدم التشاغل وقت الصلاة بأى شيء . كان أخ يمشى ذات مرة فى البرية مصليا ، فظهر له ملاكان ، وسارا معه عن يمينه ويساره . أما هو فلم يحول انتباهه اليهما جملة ، حتى لا يخسر ثمرة الصلاة التى هى افضل من كل شيء . لانه كان يتذكر قول الرسول بولس : انه ولا ملائكة ولا رؤسـاء ولا قـوات تستطيع أن تفصلنا عن محبة المسيح .. وقصص آباء البرية مليئة بألوان من البطولة والجهاد فى الصلوات ، وكيف كانوا لا يبطلون الصلاة ولا يتشاغلون عنهـا على الرغم من أن الشـيطان كان يظهر لبعضهم فى صور حيوانات **وزحافات مفترسة !!**

واذا كنا نتحدث عن ضبط الفكر أثناء الصلاة ، فلا بد أن نتحـدث عن الناحية المقابلة اعنى طياشة الفكر .

(٤) طياشة الفكر فى الصلاة :

هذا هو التعبير الذى استعمله الآباء القديسون ، وقصـدوا به تشتيت الفكر فى الصلاة . ومن المسلم به انه يندر أن أحدا يستطيع الاحتفاظ بانتباهه ثابتا تماما فى موضوع معين لمدة طويلة ، سواء كان هذا الموضوع قراءة أو دراسة أو نقاشا أو صلاة قليلون من الآباء هم الذين استطاعوا بعد جهـاد كبير أن يتغلبوا على هذه الناحية ، فسـلكوا فى **تدبير « صلب العقـل » !!** هذا عن عدم قدرة العقل بطبيعته فى بداية الأمر على التركيز فى شيء واحـد لمدة طويلة . **لكن لا ننسى أن نقرر أن الانسان المرتبط بشهوات خاصـة لابد وأن يطيش عقله ، وكذلك من يثقل معدته بالأطعمة الكثيرة** فان عقله قد يوجد عاجزا فى هذه الحالة عن ضبط الأفكار وتوجيهها . وقد أشار السـيد المسيح الى ذلك بقوله « فاحترزوا لأنفسكم لئلا **تثقل قلوبكم** فى خمار وسكر وهموم الحيـاة » (لو ٢١ : ٣٤) . **قال مار اسحق « لا تثقل بطنك لئـلا يطيش عقلك** وتكون متعربسا بالطياشة اذا قمت للصلاة وترتخى مفاصـلك وتمتلىء كسلا واسترخاء .. وليس هذا فقط ، بل تظلم نفسـك وتتسجس حركاتك ولا تقدر أن تجمع الألفاظ من أجل الظلمة ، وتكون عندك مذاقة كل شيء غير لذيذ ، ولا تحلو لك الفاظ المزامير » .

اذن فمن المستحيل علينا كمبتدئين فى حياة الروح الا تطيش أفـكارنا . لكن القديسين يفرقون بين نوعين من الطياشة : طياشة الفكر فى أمـور
لكن القديسين يفرقون بين نوعين من الطياشـة : طياشة الفكر فى أمـور
لا نوافق الأشياء التى تتشكل للعقل اذا ما صلينا ، فهذا فى استطاعتنا .. **اما ان يمكث الفكر بالصمت مبتعدا عن كل ما يظهر له ويكون متعاليا عن كل**

شكل وجهاد ، فليس هو من قوة الطبيعة .. لأنه ثمة طياشة ردية وطياشة جيدة . وانت أيها الأخ لا تطمع فى الا يطيش الضمير ، لأن هذا غير مستطاع . بل انما تكون طياشة فى صـــلاح .. اذا كنت لا تصلى الا اذا ارتفع الفكر بالكمال من تنكار هــذا العالم ، فاذا ما نظرته هكذا تبتدىء فى الصـلاة ، فانك لن تصلى الى الأبد .. لأنه اذا صمت الفكر من كل ذكـر وطياشة فى الأشياء الحاضرة ، لم يبق محتاجا الى الصلاة ، لأنه يكون العقل قد كمـل واتصل بالله وصار الله فيه » !!

واذا كانت طياشة الفكر ـ بالصورة المتقدمة ـ أمرا مستحيلا ، فبالتالى لا يغضب الله علينا بسببها ، لكنه يغضب ان نحن خضعنا لها ولم نقاومها . يقول ما راسحق «لسنا ندان لأجل تحرك الأشكال والأفكار فينا ، بل نجـد نعمة اذا لم نوافقها بل نقاتلها . وانما ندان ان كنا نوافقهـا ونعطيها فينـا فســحة» .

وعلى هذا فليست الصلاة الطاهرة هى التى تخلو من طياشة الفكر ، بل التى لا يطيش أثناءها العقل فى أمور باطلة . يقول مار اسحق « الصــلاة **الطاهرة التى بلا طياشة ، ليست التى يكون العقــل فيها بالكمال بلا فكـر** ولا رؤية فى شيء ما ، بل أن لا يطيش فى الأشياء الباطلة وقت الصــلاة .. وليس أنه اذا طاش فى معانى الصلاح والأمور الجيدة يكون قد ابتعــد عن طهارة الصــلاة ، بل انه يهتم بأشياء واجبــة لائقة بضمير مرضى لله وقت الصلاة » . **وقال أيضا** « الطياشة الردية هى ان يطيش الانسان بأفـكار باطلة أو بهذيذ خاطىء أو أفكار سمجة وقت صلاته قدام الله .. اما الطياشة الجيدة فهى أن يطيش الضمير فى مدة الصلاة بمجد الله وعظمته ، التى هى تذكارات قراءة الكتب ، وافهام الألفاظ الالهية والأقوال المقدسة التى للروح .. من الجهل أن تعد هذه الطياشة غريبة عن طهارة الصلاة ومبطلة لجمع العقل » .. بل يذهب **مار اسحق** الى أبعد من هذا فيقول « صالح جدا هو جمع العقل . فان كان ينطلق من هذا ويمتد للالهيات أو الاهتمام بشيء فاضل من افهام الكتب على الله .. فهذه الطياشة هى أفضل من الصلاة الطاهرة ، وهى حد كل جمع العقل ومحاسن الصلاة . واما أن يكون الضمير خاليا من كل هم بالتمام ، فهذا هو صمت الفكر وليس هو طهارة الصلاة » ..

من الأمور الملاحظة أن البعض يتضايقون من حالة الطياشة فى الصلاة ويشعرون أنها اهانة لله .. وشيئا فشيئا يكفون نهائيا عن الصـــلاة حتى ـ حسب رأيهم ـ يكف عنهم هذا القتال . لــكن علاج طياشة الصلاة الأول هو الصلاة عينها ، والهذيذ ، والقــراءات الروحية ، والوحدة ، وعــدم الاهتمام بالأمور الأرضــية ، وبالجهاد وخوف الله ، وبالهروب من الطياشة

ذاتهــا وعدم الاهتمام بموضوعها .. واليك ما قاله مار اسحق خاصا بهذه النقاط :

+ « لا تشته أن تصلى حتى تتنقى من طياشة الأفـــكار . بل اعلم أن بمداومتك على الصلاة وكثرة تعبك فيها ، تبطل الطياشة وتنقطع من القلب **لأن انقباض الفكر من الطياشة انما يكون بالصـــلاة** . لأننـــا ما سمعنا ان أحدا نال هذا من غير مداومة الصلاة .. الذى يريد هذا انما يطلب الـــكمال من قبل العمل وهذا أمر مستحيل » .

+ « ليس تدبير يقبض العقل من العـــالم وينجيه من الخطايا كمثل الهذيذ بالله » .

+ **« فى الوقت الذى يكون فيه فكرك مشتتا ، اثبت فى القـــراءة أكثر من الصلاة** . لكن ليس كل كتاب نافعا » .

+ « حسن الصلوات اذا امتزج بالقراءة الدائمة بافراز ، يوصلانا الى هذيذ العقل . ومن الهذيذ الروحانى الذى للعقل يتولد فينا انجماع الفكر . ومن انجماع الفكر يتولـــد فينـــا الانعتاق من الطياشة . ومن الانعتاق من الطياشة تتولد فينا الصلاة الخفية ومفاوضة العقل » .

+ « وهذا هو معنى المكتوب ان النفس تعان من القراءة اذا ما مثلت فى الصلاة ، وأيضا تستنير فى الصلاة من القراءة . أعنى عوضا عن الطياشـــة الخارجية توجد النفس مـــادة لتغير انواع الصلاة ، أفهاما حقيقية تتصـــور بالفكر من التذكارات المدهشة التى من هناك » .

+ « كما أنه لا يمكن أن تتنقى نظرة القائم الى جانب الدخان الااذا ابتعد عن المكان وتخلى من هناك ، هكذا لا يمكن أن نقتنى نقـــاوة القلب والسكون من الأفكار بدون الوحدة المبتعدة من دخان هذا العـــالم الذى يغشى عينى النفس » .

+ **« ان كنت تريد أن تنقبض من طياشة الأفكار ، وتجد فسحة للصلاة بعقلك ، اجمع ذاتك من الهيولى (المـــاديات) ، واهتمام الأشـــياء وطموح طياشة الحواس »** .

+ « ان كنت ما تتعب جســـدك حسب قوتك وتمتنى بنفسك فى كل حين وكل شىء وكل موضوع وكل حال .. لا تعطى لك الصلاة التى بلا طياشة » .

+ **« لأنه حيث توجـــد مخافة الله ، هناك توجد الصلاة الطاهـــرة التى بلا طياشة »** .

+ « ولا يطلب من الانســـان الا تجوز فيـــه تذكارات اذا ما صلى ، بل الا يلتفت اليها وينفض ويطيش منها » .

وثمة أمر آخر نكره ماراسحق كعلاج لطياشة الفكر هو الألحان ، خاصة الألحان الجنائزية (الحزايني) .

(٥) حرارة الصلاة :

وهكذا اذا ثبتنا فى جهادنا من أجل ضبط الفكر ومقاومة طياشته أثناء الصلاة — تلك التى تتسبب عن شهوات النفس — نصل الى صلاة القلب النقية بلا طياشة . **وهذا النوع من الصلاة يولد فى القلب حالة من الدفء الروحى ،** تلك التى تغنى بها داود النبى فى مزموره « حمى قلبى فى جوفى . عند لهجى اشتعلت النار . تكلمت بلسانى » (مز ٣٩ : ٣) . هذه هى النار التى جاء ربنا يسوع المسيح ليضرمها على أرض قلوبنا حيث نما قبلا زوان الشهوات ، والآن بالنعمة يعطى ثمرا روحيا كما قال مخلصنا « جئت لالقى نارا على الأرض . فماذا أريد لو اضطرمت » (لو ١٢ : ٤٩) . ان هذه النار هى التى أشعلت قلبى كليوباس ورفيقه وجعلتهما يصرخان فى فرح « الم يكن قلبنا ملتهبا فينا اذ كان يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الكتب » (لو ٢٤ : ٣٢) . **يقول مار اسحق** « العمل القوى يولد فى القلب حرارة لا تقاس ، تتقوى بالأفكار الملتهبة التى تصعد الى العقل من جديد . وهذا العمل مع حراسة الفكر ينقيان العقل بحرارتهما ، وينعم عليه بالرؤى . هذه الحرارة التى تعطى بواسطة نعمة التأمل تولد الدموع . والدموع المستمرة تهدىء الفكر وتنقى العقل . والانسان بواسطة الفكر النقى يرى الأسرار الالهية .. بعد ذلك يصل العقل الى رؤية الاستعلانات والرموز » .

(٦) حديث الصلاة :

لتكن صلاتك حديثا عاديا مع الله بلا تكلف ..حديث ابن مع ابيه السماوى، أو حديث محب لمحبوبه بل لمعبوده !! يقول القديس أوغسطينوس « فى بدء صلاتنا نقول ياابانا الذى فى السموات .. بهذا النداء يتحرك الحب فى قلبنا — اذ ليس اعز من الأب لدى الأولاد — كما يتحرك فى قلبنا ايضا ميل توسلى ، ثقة منا بالحصول على ما سوف نطلبه ، طالما اننا — قبل أن نسأل شيئا — نلنا عطية هكذا عظيمة ، اذا أعطى لنا أن ندعو الله ابانا . لانه ما الذى سوف لا يعطيه لأولاده حينما يسألون طالما قد وهبهم نعمة البنوة !!»

لا تظن أن الصلاة هى مجموعة اصطلاحات متراصة متلاصقة ،او مجموعة آيات محفوظة ، يضاف اليها بعض الألفاظ المنمقة المنتقاة .. لا تظن ذلك، بل ان الصلاة الحقيقية هى حديث على سجيته .. لا تتقيد باستخدام اللغة الفصحى فى صلاتك لئلا يقيد اللفظ المعنى ويمنعك من الانطلاق فى حديث شجى مع من تحبه نفسك .. ان الله يفهم جميع اللغات واللهجات .. وبالجملة لا تكن رسميا فى صلاتك الى الله .. اخلع عنك رداء الرسميات ،

فعلاقتنا مع الله علاقة بنين لا عبيد . فالله لم يعطنا روح العبودية للخوف بل روح التبنى التى بها نصرخ يا أبا الآب .. ستكون أمامه بمفردك .. انطلق من ذاتك ومن قيود المجتمع ، وحدثه عن متاعبك وآلامك وحبك واشتياقاتك ، وقل له « انى مغلوب يا الهى فى كذا وكذا ، وأريد أن أحيا لك فى طهارة وبر ، قونى واعنى .. » . **ادخل مع الله فى حديث دالة ونقاش** كما كان يفعل داود « ان كنت للآثام راصدا يارب . يارب من يثبت أمامك » .. ذكره بمراحمه مع آبائك واحساناته اليهم من جيل الى جيل ، واطلب منه أن يعاملك هكذا ، فهو أمس واليوم والى الأبد ..

ننصحك أن تستخدم لغة المفرد فى صلاتك . فلا تقل لله « نحن خطـــاة وكثيرا ما اهناك واغضبناك وتعدينا وصاياك .. » بل قل له « أنا انســـان خاطىء وكثيرا ما اهنتك واغضبتك يا الهى وتعديت وصاياك .. » **لا تقل له** « العالم والشهوة تحاربنا بشدة وكثيرا ما تسقطنا .. » ، بل قل له « العالم والشهوة تحاربنى يا الهى بشدة وكثيرا ما تسقطنى .. » ، **وهكذا .. ان تعبيرات المفرد توقفك وجها لوجه أمام الله ، فتشعر انك فى حـــديث واقعى معـــه ..**

ونجد هـــذا واضحا فى القداس الغريغورى الذى هو عبارة عن مجموعة من التاملات الرائعة . فعلى الرغم من استعماله فى الكنيســـة ويصلى عن جميع الناس ، الا ان واضعه — القديس غريغوريوس الثيئولوغوس — آثر ان يكون حديثا تأمليا رائعا مع ابن الله الكلمة . فيقول مثلا « **خلقتنى** انسانا كمحب للبشر . لم تك انت محتاجا الى عبوديتى **بل** أنا المحتاج الى ربوبيتك . من اجل تعطفاتك الجزيلة **كونتنى اذ لم اكن . من اجلى** الجمت البحر . **من اجلى** اظهرت طبيعة الحيـــوان . اخضعت كل شىء **تحت قدمى . كتبت فى** صورة سلطانك ، **ووضعت فى** موهبة النطق ، **وفتحت لى** الفردوس **لأتنعم ، اعطيتنى** علم معرفتك ..أنت ياسيدى **حولت لى** العقوبة خلاصا ..أنت الذى **ارسلت لى** الأنبياء من اجلى **انا المريض . اعطيتنى** الناموس عـــونا ، أنت الذى **خدمت لى** الخلاص **لما** خالفت ناموسك .. » . **ما اروع هذه العبارات** .. انها تجعل الانسان يحلق بروحه فى الالهيات ويشتاق الى السماويات .

(٧) عناصر الصـــلاة :

ليست الصلاة التى نرفعها الى الله مجموعة طلبات فحسب ، والا لكانت علاقتنا به علاقة نفعية . على أنه ليست جميع صلوات الطلبات تدفع اليها عوامل نفعية وانما **هناك مثلا طلبات من أجل الآخرين** تدفع اليها المحبـــة والخدمة . وقد تكون الطلبة من أجل الآخرين لأسباب روحية تتعلق بخلاص انفسهم ، كما قد تكون من اجل خيرهم فى الحياة الجسدية ، كطلب شفائهم

من أمراض ن، أو فك ضيقاتهم .. الخ . **وهناك عناصر اخـــرى ينبغى ان تتضمنها صلاتنا ،** تلك التى نلمس طرفا منها فى كلمات الرســول « فأطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات **لأجل جميـــع الناس ..» .** (١ تى ٢ : ١) **. وقـــد ذكر كل من القـديس باسيليوس الكبير والعلامة اوريجانوس اربعة عناصر يجب أن نلاحظها فى صلواتنا :**

ـ فى الأول يجب أن نمجد الله بكل قوتنا وبقـــدر استطاعتنا .. ونلمس صورة من ذلك فى المزمورين ١٠٣ ، ١٠٤ .

ـ ثم نشكره من اجل احساناته لكل البشر عامة ولنا خاصة (انظر شكر داود فى ٢ صم ٢٢) .

ـ ويتبع ذلك اعتراف الانسان بخطاياه وعصيانه لأوامره ، وطلبته الى الله أن يغفر خطاياه الماضية وأن يشفيه من كل الأمراض الروحية المتسلطة عليـــه .

ـ واخيرا يعدد المصلى كل احتياجاته الروحيـــة والنفسية والجسدية له **وللجميع .**

ـ وفى النهاية تختم الصلاة بتمجيد الله ..

بعض مشاكل الصّلاة

(١) فتـــور الصلاة :

ويقصد به الحالة التى يشعر فيها الانسان بعدم رغبتـــه فى الصلاة نتيجة عدم حصوله على تعزيات فيها . وان هو صلى يكون فى قلق ويريد أن ينهى صلاته بأية صورة ، وبأسرع ما يمكن . أنه يشعر فى هذه الحالة ان صلاته لا تتجاوز شفتيه !! هذه الحالة يدعوها البعض أيضا **« الجفاف فى الصلاة »**

قد يكون سبب الفتور اما نفســـنا واما الشـــيطان .. ونقصـــد بالسبب الأول أن تكون نفوسنا اما مرتبطة ومتعلقة بشهوات معينة ، واما أنها تعانى من حالات نفسية أو جسمية معينة ، كالاجهاد وضعف الصحة أو عدم نشاط بدنى ، وتكون نتيجتها ركود الذهن . ومن الطبيعى الا تجد مثل هذه النفس راحة فى الصلاة .. **ونقصد بالسبب الثانى** المحاربات التى يأتى بها عــــــدو الخير من ملل وضجر وطياشة ، الأمر الذى يعوق تعزيات الصلاة . على أنه يحدث فى بعض الأحيان أن يمنع الله تعزياته عنا لحكمة يراها لخيرنا ونفعنـــا الروحى ، أو لاختبار حبنا واخلاصنا له .

فيما يختص بالسبب الأول (انفسنا) .. اذا كان فتور الصلاة ناشئا عن شهوات خاصة فى القلب ، يجب علاج هذه الحالة بالتوبة وتنقية القلب . وقد تحدثنا عن ذلك حينما عرضنا لشروط الصلاة المقبولة ، وذكرنا أنها يجب أن تكون من قلب طاهر . أما اذا كان ناشئا عن حالات الاجهاد الجسمى، فيجب تخير الأوقات التى يكون فيها الجسد حاصلا على قسط من الراحة حتى يكون نشيطا . ولذلك فان الساعات الأولى من النهار هى انسب الأوقات للصلاة . كما أن هناك خطأ شائعا يقع فيه الكثيرون ، وهو أنهم يصلون صلاة المساء بعد ان يكون قد اخذ منهم التعب كل مأخذ .. قطعا سوف لا يشعر أمثال هؤلاء بتعزيات الصلاة ..

أما عن السبب الثانى (محاربات الشيطان) ، فهذه نتغلب عليها بالجهاد والمثابرة وعلاجات طياشة الفكر ، وقد تناولنا ذلك آنفا .. ولنعلم أن تعزيات الصلاة هبة من الله لتشجيع المبتدئين فى جهادهم الروحى . لكننا لا نستطيع أن نستخدم مثل هذه التعزيات كعامل دائم يدفعنا فى حربنا الروحية . ان الجندى وهو ذاهب الى ميدان القتال تزفه فرق الموسيقى لكى تبعث فى نفسه الحماس للقتال ، لكن هذا الوضع لا يمكن أن يبقى ملازما له فى ميدان الحرب . ان دفعة الحماس الأولى تزول ، ويختبر معدن الجندى وسط المعمعة .. !! لقد تعرض الآباء القديسون لهذه الحالة فى اية صورة من صورها .. وهكذا كل من يتجرد للجهاد الروحى لابد وأن يعانى منها .

كثيرون تنتابهم الشكوك نتيجة معاناة حالة جفاف روحى فى الصلاة . فهم حينما يفتشون ذواتهم من جهة الخطايا ، يجدون انفسهم حريصين ومواظبين على الممارسات الروحية .. ومع ذلك تبقى حالة الجفاف ويتدخل الشيطان هنا ليشكك هؤلاء ويوهمهم أنهم أصبحوا فاشلين فى حياتهم الروحية ، وأن الرب معرض عنهم تماما فلا نشوة روحية ولا راحة قلبية !! ولكن قد يكون ذلك بتدبير الهى وحكمة ، اما لكى نضاعف جهادنا ، أو حتى لا تدخلنا الكبرياء نتيجة كثرة التعزيات فى الصلاة ، على نحو ما حدث للقديس بولس الذى أعطى شوكة فى الجسد ، حتى لا يرتفع من فرط الاعلانات !!

وكعلاج لحالة الفتور أو الجفاف فى الصلاة يحتاج الأمر أكثر ما يحتاج الى نعمة الثبات حينما يبدو الله أثناء الصلاة أنه بعيد جدا منا ، والقلب قاس كالتراب ، وكلمات الصلاة تبدو وكأنها لا تذهب الى أبعد من شفاهنا ، تلك الحالة التى يشبهها البعض بما قاله الوحى الالهى « وتكون سماؤك التى فوق رأسك نحاسا والأرض التى تحتك حديدا » (تث ٢٨ : ٢٣) . **ان العلاج يتلخص فى تشبث الارادة وعدم اذعانها ولو مثقال ذرة لضغطات الجفاف والفتور .. ولنمض بشجاعة نحو الله وان كنا لا نراه ... وفضلا**

عن هذا يجب ألا نعتمد فى علاقتنا بالله على المشاعر ... ان التعزيات التى توافينا فى الصلاة هى بمثابة ابتسامات الرضا من شخص لآخر . والذى يحتاج الى مثل هذه الابتسامات هو العبد حتى يطمئن الى رضا سيده عليه ، أما نحن فأبناؤه . وليس معنى ان الله لم يبتسم فى وجهنا يوما اننا فقدنا بنوتنا لله !! **علينا ان نفرق بين مشاعر العبيد ومشاعر الأبناء .**

ومن جهة الله نفســه فانه ــ كما ذكرنا آنفا ــ يســمح فى حالات كثيرة بحرماننا من التعزيات فى الصلاة لأسباب كثيرة وذلك لتعليمنا وتدريبنا . فقد نتوهم ــ لو صارت لنا تعزية مستمرة ــ اننا أصبحنا قديسين ، وهـــكذا يدخلنا الغرور .ومعنى ذلك ان الله أعطانا نعمة ومعها نقمة. لكن طريقة الله دائما أنه حينما يعطى نعمة ، يعطى معها كل الضمانات للمحافظة عليها .. **ليس معنى حرمان الله لنـــا من تعزياته أنه غاضب علينا .** فالأم نفسها اذا ارادت أن تعلم ابنها المشى لا تمسك يده فى كل مرة وتأخذه خطوة خطوة ، بل تترك يده أحيانا ، فيشعر بالوحدة ويبكى ويمسك بيد امه . **هكذا نعمة الله تشعرنا أنها معنا ، وانما تتركنا فى بعض اللحظات لكى نشعر باحتياجنا اليه ، ونندفع نحوه ونرتمى فى احضانه . ليس هناك أى دليل على ان صلاتنا** التى نصليها ــ ونحن نعانى من مثل هذا الجفاف الروحى ــ مرفوضة من الله . بل على العكس من ذلك قد يقبلها الله بدرجة افضل من الصلوات التى شعرنا فيها بتعزية . وذلك لأن هذه الأخيرة أتممناها بالراحة ، اما الأولى فبعد جهاد وتعب ومشقة . **ان قيمة الصــلاة لا تقاس بدرجة التعزيات بل بدرجة الجهاد .**

ويبدو انه ولا نفس واحــدة ممن سعت فى طلب الله وسارت خلفــه فى الدروب التى كشفها ، الا وقابلتها هذه الصعوبة . ولعل داود النبى يصور هذه الحالة فى اقسى مراحلها فى مزموره الثالث والعشرين « أيضا اذا سرت فى وادى ظل المــوت لا أخاف شرا لأنك أنت معى ؛ عصـــاك وعكازك هما يعزياننى » . وفى المزمور ٦٣ يقول « يا الله الهى أنت ، اليك أبكر ، عطشت اليك نفسى ، يشتاق اليك جسدى فى أرض ناشفة ويابسة بلا ماء . **هـــكذا شاهدتك فى القدس لأرى قوتك ومجدك ... »** . أى فى **الأرض** الناشـــفة واليابسة شاهدتك فى القدس . وهو وسط **كلّ هذا لم يطلب عزاءا أو مجرد** شعور بالرضا ، لكن فى انسحاق كان مكتفيا بانتظار الله ، وبكل ما يسمح به لمـــاذا ؟ لأنه كان يردد « يا الله أنت الهى » . ثم يأتى بعد ذلك هتاف النصرة « باسمك أرفع يدى فتشبع نفسى كما من شحم ودســـم . بشـــفاه الابتهاج يباركك فمى » . ان هذا الفرح لم يكن وليد التعزية الداخلية التى اقتبلها ، بل بسبب الله نفسه ، الذى كان داود واثقا من حضوره وحبه ، سواء كان ذلك فى الظلام أم فى النور .

وقد تحدثت مزامير أخرى وعبرت عن معاناة الجفاف الروحي فى الصلاة منها المزامير ١٠ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٤٠ .. وفى المزمور ١٣ مثلا الذى يقول فيه داود « الى متى يارب تنسانى كل النسيان . الى متى تحجب وجهك عنى .. » ، يقول فى آخره « أما أنا فعلى رحمتك توكلت . يبتهج قلبى بخلاصك . اسبح الرب المحسن الى وارتل لاسم الرب العالى ». وفى المزمور ٢٢ الذى يقول داود فى مطلعه « الهى الهى لماذا تركتنى . . . الهى فى النهار ادعو فلا تستجيب ، فى الليل أدعو فلا هدو لى » ، يقول قرب نهايته « أخبر باسمك أخوتى ، فى وسط الجماعة أسبحك . ياخائفى الرب سبحوه . مجدوه يا معشر ذرية يعقوب .. لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ، ولم يحجب وجهه عنه بل عند صراخه اليه أستمع » ..

يخطىء من يتوقع الفرح دائما فى صلاته ، ويحزن ويكتئب حينما يفتقده فلا يجده . ان هدفنا فى حياتنا الروحية ليس هو الفرح بل الله ذاته ، أما الفرح فشىء عرضى . وليس من الصواب أن نتشاغل عن الجوهر بالعرض **... فى جميع حالات الجفاف الروحى علينا أن نقبل عليه ، ونحمله كصليب للمسيح** . وعلينا أن نسأل أنفسنا دائما بدقة وأمانة « ماهو هدف وموضوع جهادنا الروحى ، هل هو الحصول على التعزية والفرح ، أم الالتصاق بالله ؟! » .

(٢) مشكلة الوقت :

بدأ عامل الوقت يظهر كمشكلة من مشاكل الصلاة فى عصرنا الحاضر فكثير من الناس مشغولون بحكم أعمالهم ومسئولياتهم المتعددة . على اننا نحب أن **نقسم المشغولية الى نوعين** : هناك مشغوليات اضطرارية لا دخل لارادة الانسان فيها ، وهناك مشغوليات أخرى يربط الانسان نفسه بها بعوامل ارادية متنوعة . ومثل هذه المشغوليات الاخيرة لا عذر للانسان اذا قصر فى واجبه الدينى بسببها .

المسألة فى الواقع تحتاج الى عنصر تنظيم الوقت لكى يوفق الانسان بين واجباته نحو الله وباقى واجباته الاخرى ، وفى ذلك يحتاج الىمقاومة الوقت الضائع . ومن امثلته المقابلات والمناقشات الباطلة ، والمشغوليات غير المجدية . كما يلزم ان يعتبر الانسان الصلاة من الامور الهامة التى ينبغى أن يخصص لها وقتا ، فلا يضعها فى آخر أعماله جميعا ، بحيث اذا وجد وقتا للصلاة صلى ، وإن لم يجد اعتذر بمشغوليته .

ان الكنيسة عندما حددت قانون الصلوات السبع « صلوات الاجبية » ، لم تحددها للرهبان فحسب ، وانما لسائر الشعب جميعا . أما الرهبان

فطقسهم هو طقس الصلاة الدائمة . والصلوات السبع ، وان كانت قد وردت فى قوانين مجمع نيقية المسكونى المنعقد سنة ٣٢٥م ، الا انها ترجع الى زمن الرسل أنفسهم ، اذ وردت الاشارة اليها فى قوانين الرسل ، كما وردت أيضا فى قوانين هيبوليتس « فى أوائل القرن الثالث الميلادى » . ونحن مطالبون على قدر ماتحتمل امكانياتنا — فى غير محاباة لانفسنا — أن نتمم هذه الصلوات ونأخذ بركتها وفاعليتها فى حياتنا . على أننا ان لم نستطع أن نتممها كاملة فلنتمم منها ماتتناوله ارادتنا حسبما يدبر الله من وقت . **ولكننا نلام أمام ضمائرنا ان كنا نفضل مشغولية ثانوية ارادية على الصلاة التى هى لازمة جدا لحياتنا الروحية وعلاقاتنا مع الله والناس . نحن لاننكر أن بعض الناس قد تضغط عليهم مسئوليات اضطرارية تشغل وقتهم** ، وهم يحاولون بكل نية صالحة وبكل ارادة ان يطيلوا الوقت الذى يخصصونه للصلاة ، ومع ذلك قد يفشلون فى ارضاء رغبة قلوبهم نحو الله . **هؤلاء لايلامون ، بل ان الله أدرى بظروفهم وامكانياتهم ، ومجرد اشتياق قلوبهم نحو الله هو أمام الله صلاة نقية طاهرة مقبولة ، دون أن يرفعوا فيها عيونا وأيادى الى فوق ، ودون أن يرفعوا أصواتهم بكلمات الصلاة .**

على أنه الى جوار هؤلاء فهناك أشخاص يقصرون فى الصلاة محتجين بمشكلة الوقت، بينما الامر يرجع فى حقيقته الى اهمالهم والى عدم اهتمامهم باعداد الوقت اللازم للصلاة ، **أو الى استثقالهم للصلاة** ، او شعورهم أن صلوات المزامير هى من عمل الرهبان أو رجال الدين فقط .

وعلاجا لكل هذا نقول انه ينبغى للانسان أن يقتنع ذاته جيدا بأهمية الصلاة لحياته وأن يبذل مجهودا لتدبير الوقت اللازم لها ، وأن يضع لنفسه برنامجا مختصرا يمكن أن يتممه اذا لم يتسع وقته للصلوات الكاملة . على أن غالبية الناس ، أيا كانت مشغولياتهم ، لديهم متسع للصلاة فى الصباح الباكر وفى المساء . لذلك فالتقصير فى صلاة باكر امر يلام عليه المقصرون ، خاصة وأن هذه الصلاة تحوى برنامجا روحيا لخطة سليمة يسير عليها الانسان فى يومه من جهة واجبه من نحو الله او معاملاته للناس . **والذى يبدأ يومه بالله يمكن أن يكمل اليوم حسنا بمعونة النعمة . ومثل هذا القول نقوله عن صلاة النوم ،** التى ننصح بأنها لاتكون قبيل النوم مباشرة حيث **يكون الانسان متعبا منهكا مثقل الرأس بالنوم** ، وانما أصلح وقت لها قبل العشاء أو قبل الخروج غروبا . اما قبيل النوم مباشرة فيمكن ان يصلى الانسان اية صلاة خاصة من قلبه ويستودع نفسه بين يدى الله يطلب بركاته وحفظه له فى تلك الليلة ، وينام مستندا الى صدر يسوع المحب مريح كل التعابى ... وان لم يكن متعبا واستطاع أن يصلى ماهو أزيد فيمكن ان يتلو تحليل الغروب أو النوم او كليهما ، وما يوافقه منصلوات محفوظة اخرى .

أما أثناء النهار فننصح بأن يرفع الانسان قلبه لله بأية طريقة . **ومن الأمور النافعة جدا عنصر الحفظ . فالشخص الذى يحفظ قدرا كبيرا من المزامير وقطع الاجبية وتحاليلها وصلواتها ، يمكن أن يتلو من ذاكرته مايوافق ساعات النهار ومناسباته المقدسة من محفوظاته .** يفعل ذلك غير مقيد بوضع جسمى خاص ، يمكنه أن يصلى فى الطريق أو فى مكان عمله ، أو فى وسائل المواصلات ، سواء كان جالسا أو واقفا أو سائرا . **وسنضرب مثلا لهذا :**

انسان دبر الله له وقت فراغ فى فترة الظهيرة ، واستطاع أن يصلى صلاة الساعة السادسة كاملة ، هذا يشكر الله من قلبه على هذا التوفيق ويتمم صلاته بمعونة الرب . فان لم يجد وقتا سوى دقائق يتلو فيها تحليل الصلاة أو قطعها ، فهذا يكفى . وان لم يجد ، ولا حتى هذا ، فليقل قطعة واحدة من القطع الست لهذه الصلاة « يامن فى اليوم السادس . . . » مثلا ، فهذا يكفى . المهم أنه لم يترك هذه المناسبة المقدسة دون أن يصلى فيها ويطلب بركتها . فان لم يجد ولا دقيقة واحدة وسمح الله له بلحظة قصيرة ، فليقل « مزق يارب صك خطاياى كما مزقته على الصليب فى وقت الساعة السادسة » . هل نستطيع أن نقول عن هذا الانسان انه لم يذكر الرب فى الساعة السادسة ؟! كلا ، انه ذكره حسب امكانياته . ومثل هذا يقال عن باقى الساعات .

على أننا نحذر من أن يكون لشخص وقت كاف ويتخذ هذا التسهيل والاختصار الذى ذكرناه مدعاة لاهمال الصلاة والتقصير فيها ، بينما بامكانه اتمامها كاملة .

(٣) مشكلة المكان :

بسبب كثرة عدد السكان وضيق رقعة الارض المخصصة للمبانى ، أصبحت المساكن التى تشاد بقصد السكن ضيقة ، فضلا عن كونها مرتفعة الايجار . لذا تتكدس كل أسرة فى سكن ضيق . ولاشك ان ضيق المكان قد سبب مشكلة لها علاقة بموضوع الصلاة .

فالصلاة الانفرادية يجب أن يؤديها الانسان منفردا ، وقد يندر وجود مكان مخصص للصلاة فى المنزل . وقد تكون الحجرة التى يصلى فيها الانسان شركة بينه وبين غيره من أفراد أسرته ، وقد يكون الشريك أو الشركاء غير متدينين ، ممن لايرحبون بالصلاة ، بل قد يكونون عنصرا متعبا من جهة السخرية ، خاصة اذا كان المتمسك بالصلاة شابا أو حدثا . . . أو قد تكون الحجرة مشاعا فى الاستعمال بين أفراد الاسرة . وتزداد هذه المشكلة صعوبة اذا كانت الاسرة فى جملتها غير متدينة .

نحن لا ننكر أن وجود شخص لايصلى جالسا فى مكان ما ، بينما شخص آخر قائم للصلاة ، لايعطى الحرية الكافية لهذا الاخير ، ولا يساعده على **الانطلاق فى الصلاة ... انها على اى حال مشكلة يجب التغلب عليها .** يجب أن يثبت الانسان فى طريقه وفى صلواته، فقد يكون ثباته هذا خير مبكت لمن لا يصلون ، وسببا فى ربحهم للمسيح . أعرف شابا تقيا كان طالبا فى احدى الكليات العسكرية ، ومع ذلك فقد كان يقف وسط عنبر النوم الى جوار فراشه يصلى صلاة المزامير دون خجل ... ولما عرف المسئولون فى الكلية حقيقة الامر ، كان ذلك سببا فى ازدياد تقديرهم له ...

وقد يلجأ البعض الى حل هذه المشكلة ، بأن يستيقظ مبكرا قبل سواه ممن يشاركونه المسكن ، وينتظرون فى المساء حتى ينام الجميع ، وبعد ذلك ينتصبون للصلاة . **نحن لا ننكر صعوبة الأمر ، لكنه جهاد على أى حال له اكليله وبركاته ..**

وثمة أمر آخر نود الاشارة اليه ونحن بصدد مكان الصلاة . فقلما تهتم الأسرة بتخصيص مكان للصلاة «ركن الصلاة»... ليت كل أسرة مسيحية تهتم بهذا الأمر وذلك بتخصيص اى مكان فى المنزل تزينه بالصور الدينية ، وحبذا لو أضاءت فيه قنديلا أمام صورة قديس او قديسة . فهذا الأمر — فضلا عن بركاته الخاصة — فانه يشيع فى المنزل جو التعبد والصلاة . ولتكن عنايتنا بهذا الركن من المسكن تفوق عنايتنا بأى جزء آخر من المنزل ، باعتباره المكان الذى نلتقى فيه مع الرب ،وفيه نلقى عنا كل أحمالنا ومتاعبنا ، ونلقى العون والقوة .

(٤) مشكلة الخجل :

قد يؤلف الخجل عند البعض مشكلة تتصل بالصلاة ، لا من جهة الصلوات العامة ، بل حتى فيما يتصل بصلواتهم الانفرادية. فهم يخجلون أشد الخجل، ليس من الصلاة أمام الآخرين ، أو فى وجودهم ، بل من مجرد معرفة الآخرين — الذين يضمهم معهم مسكن واحد — انهم يصلون ، ولو كانوا من أفراد أسرتهم !! ان مجرد هذه المعرفة امر يسبب لهم تعبا وضيقا . وتتعقبهم هذه المشكلة فى اجتماعات الصلاة الخاصة والعامة ... وعلى الانسان الذى يعانى من الخجل أن يحاول تدريجيا تدريب ذاته على عدم الخجل ، عن طريق توجيه كل طاقة مشاعره فى الصلاة نحو الله دون الناس ... وأن يجعل فى صلواته طلبة خاصة من أجل الخجل .

(٥) موضوع الخفية فى الصلاة :

الصلاة فى الخفاء وصية السيد المسيح لكل المؤمنين باسمه (مت ٦:٦) لكن البعض يفهمون هذه الوصية فهما منحرفا يبتعدون به عن قصد الرب

منها . **فالسيد المسيح حينما امرنا ان نصلى فى الخفاء ، لم يقصـد بذلك الا يرانا احد ابدا او لا يعرف احد على الاطلاق اننا نصلى . بل قصـد من ذلك الى استئصال الرياء وحب الظهور وطلب مجد الناس** ، تلك الأمراض التى تفشت فى المجتمع الفريسى فى ذلك العصر . والسيد المسيح ـ **لا فى موضوع الصلاة فحسب ـ بل فى كل اعمالنا أمرنا أن نعملها من القلب له وحـده وهو الذى يعطى كل واحد كأعماله** . ولو كان قصد المسيح الا يرانا احـد على الاطلاق ، فكيف نفسر قوله « فليضىء نوركم هـكذا قدام الناس لـكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) ؟ !

يحارب الشيطان البعض متسترا بهذه الوصية ، فهم لا يريدون ان يدخلوا الى احد حجرات المنزل مثلا ويغلقوا عليهم ، لئلا يعرف أنهم يصلون . واذا كان المساء ـ ويريدون أن يصلوا صـلاة المزامير ـ لا يريدون أن يوقدوا النور لئلا يعرف من هم خارج الحجرة انهم يصلون . . . واذا اقتحم احـد المكان الذى يصلون فيه ، سرعان ما يغيرون وضع الصلاة ، حتى لا يعـرف احد أنهم يصلون . ومنشأ كل ذلك فكرتهم عن الخفاء فى الصـلاة . . . ان السيد المسيح يقصد بهذه الوصية ، الا تكون صلواتنا بغرض الرياء والظهور وطلب مجد الناس ، حتى لو رآنا الجميع نصلى . ان السيد المسـيح يجازى عن مشاعر القلب .

(٦) مضايقات الأسرة :

وهذه النقطة بالأكثر تخص الشباب وصغار السن اذا كانت تضمهم أسرات غير متدينة . انهم يضعون العراقيل أمامهم بشتى الطرق ، من سـخرية بتدينهم وصلواتهم ، الى محاولة اقناعهم بخطأ الطريق الذى يسلكونه ، الى منعهم عن الاجتماعات الروحية واجتماعات الصـلاة ، الى التدخل بالقوة فى حريتهم الشخصية ومنعهم من الصلاة بحكم سلطانهم ، الى عدم مراعـاة مشاعرهم ومحاولة مضايقتهم بشتى الطرق كتشغيل المـذياع (الراديو) أو التليفزيون بصوت مرتفع مزعج اذا هم عرفوا انهم يصلون . . .

وفى رأينا ان ثبات الشباب أمام هذه التيارات والمضايقات ، والتجائه الى الله ، والسلوك بحكمة واتزان كفيل بأن ينصره على هذه المضايقات ، بل قد يؤدى غالبا الى كسب هؤلاء المقاومين الى الله بقوة الصلاة التى لا تقهـر « صعب عليك أن ترفس مناخس . . » !!

□□

الصلاة الدائمة

ليس الذين يحيون حياة السكون فى البرارى والقفار هـم الذين يؤهلون وحدهم لدرجات الصلاة العالية ، بل حتى أولئك الذين يحيون فى العالم وسط مشاغل الحياة المختلفة يمكنهم الوصول الى درجات عالية فى الصلاة اذا هم استغلوا كل الفرص التى تعرض لهم . ان الرب يسوع يعلمنا أنه « ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل » . والرسول بولس يوصى المؤمنين « صلوا بلا انقطاع » . **ان داود العظيم وهو ملك على اسرائيل ، وله مهام المملكة كان يقول « رأيت الرب أمامى فى كل حين » (مز ١٥ : ٨) ...** « سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك » ... « فى نصف الليل نهضت لأشكرك على احكام عدلك » .

ما معنى الكلام السابق ؟ هل معناه أن الانسان يتوقف عن العمل تماما حتى يتمم الوصية « صلوا بلا انقطاع » ؟ طبعا لا ... وهل يمكن الجمع بين العمل والصلاة ، ومعلوم ان الفكر لا يمكن أن يتركز فى شيئين فى وقت واحدا ؟ ! وهل الوصية السابقة هى لفئة خاصة من المسيحيين كالرهبان مثلا الذين انقطعوا للعبادة ، أم هى لجميع الناس ؟ واضح أن الرسول كان يوصى جميع المؤمنين ...

يقول البعض ان مداومة الصلاة التى يطلبها الرسول أدبية وليست حرفية . فالصلاة الدائمة لاتتألف من عمل الفكر المستمر . انها لا تتطلب اعمال الصلاة الظاهرة ، بل عادة الصلاة الخفية المستمرة ... ولكى نفهم ذلك ، علينا أن نفهم معنى كلمة « عادة » . انها تدل على ميل أو استعداد مستقر ، يقود الانسان أن يؤدى تلقائيا بسهولة وبمهارة متزايدة ما يعمله الانسان دائما ، الى أن يصبح العمل ــ بعد وقت ما ــ عمليا وذا افعال خاصة بالارادة . وبعبارة أخرى حينما نقول اننا نقتنى عادة معينة ، نعنى أن قدراتنا العقلية والأدبية والروحية مرتبة بطريقة معينة ، ومهيأة بقوة خاصة ، ومدربة ومعلمة ، حتى انها تحت ظروف خاصة ، تتجه للحال وبانتظام واستمرار ، الى عمل موافق ...

وثمة أمرا آخر وهو أن حالة الصلاة الدائمة تنبع عن الحب . فمثلا نقول ان الرجل يحب زوجته وأولاده جدا ويفكر فيهم دائما . ليس معنى هذا أنه لا يشتغل ، لكن تأتى أوقات يكون عقله منصرفا الى عمله ، لكن ومع ذلك يسيل حبه من داخله ... **وعلى هذا القياس تكون الصلاة بلا انقطاع ، هى أن تحيا حياة الحب مع الله ...** الحب الذى يرفع القلب دائما اليه .

ان الواجبات التى تعوقنـــا عن التفكير فى الله تفكيرا مباشـرا ــ اذا هى قدمت له كخدمات لحبنا ــ تعتبر فى ذاتها من أعمال الصلاة . لأن الصـــلاة لا تتألف من أفكار وكلمات ولكن من أفعال أيضا . **يقول القـــديس كليمنضس السكندرى فى كتابه « المتنوعات » عن المسيحى الحقيقى « انه يصلى فى كل مكان ... ماشيا، متحادثا ، قارئا . كل الأعمال العقلية تعتبر أعمالا مختلفة للصـــلاة » .**

الشعور بوجود الله :

كلما كثر كلامى مع الله ، وكلما استغرقت فى الحديث معه ، كلما شعرت باستمرار وبعمق بوجوده معى . اذا رجعنا عقب توديع انسان صديق لنـــا توفى ، وكنا نحيا معه فى مسكن مشترك ، نقـــول ونحس « ان البيت فاضى علينا » . فلقد كنا نشعر دائما بوجود هذا الصديق معنا . الاتصال الـــدائم ولد فينا هذا الاحساس ...

والشعور بوجود الله يشبه ــ الى حد ما ــ الشعور بوجود صـــديق عزيز . فبالتعامل الحبى معه ، بالتحـــدث اليه ومعه ، نقتنى شعورا ثابتـــا بوجود ذاك المحبوب ، الذى غيابه يشعرنا بالوحشة والفراغ. ليتنا نتجه الى الله بنفس الجهد الذى نبذله فى علاقتنا مع البشر ، **علمـــا أنه حيث الحب فلا يكون هناك جهـــد !!** كل ما هنالك ــ فى علاقتنا بصـــديق والاحساس بوجوده ــ أنه أمر يختص بالنظر ، بينما الأمر فى حالة الله يختص بالايمان . يقول أحدهم « **الله موجود فى كل مكان ، لكن ليس هذا بالنسبة لنا . هنـــاك مكان واحد فى الكون كله، نتصل فيه بالله ــ فى عمق قلبنا «أنتم هيكل الله »». هناك هو ينتظرنا ، هناك يقابلنا ، هناك يتحدث الينا . ولكى نجـده ونقابله علينا أن ندخل الى داخلنا » لذا ، اذا أردنا أن نشعر بحضور الله ، علينا أن ننظر اليه فى الداخل وليس فى الخارج . علينا الا نترك الفكر يفتش عنه هنا وهناك خارجا عنا ...وحتى لو كان هناك ، فليس فى ذاك المكان نتصل به ، بل فى قلوبنا فقط . لقد كان هذا هو الخطأ الذى وقع فيه القديس أغسطينوس** قبل توبته ، **حينما كان يبحث عن الله حتى وجده ، لكن بعد أن أضاع وقتـــا طويلا ثمينا ...** يقول فى الكتاب العاشر من اعترافاته « **لقد أحببتك متأخرا جدا ، أيهـــا الجمال القديم جدا** ، ومع ذلك جديد للغـــاية » ... ثم يصرخ « **أحببتك متأخرا جدا !! هو ذا أنت كنت فى الداخل وأنا فى الخارج ، وكنت بطريقة أخرى ابحث عنك » .**

الصلوات القصيرة المتكررة :

نتيجة محبة الله التى تغمر النفس، وشعورها بوجوده معها فى داخلها ، تنطلق الروح معبرة عن حبها وسعادتها واحتياجاتها بصلوات قصيرة متكررة

لا تحتاج الى تركيز ذهنى أو الى جهد عقلى ... وهذه لا تحتاج الى وقت معين أو مكان معين أو جو معين ، لأنها حديث الانسان الى القدوس الساكن فيه .. نستطيع أن نعبر عن مشاعرنا بهذه الصلوات القصيرة فى الطريق وسط الازدحام ، أو فى الترام أو فى الاتوبيس ... حينما نكون منفردين أو بالناس مجتمعين ، وبالجملة فى كافة الظروف والمناسبات . **ما أجمل الكلمات التى تتضمنها ابصالية يوم السبت فى تسبحة الكنيسة السنوية « كل نفس أعطيه ، يبارك اسمك القدوس »** ... نعم كل نفس يباركك يا الله . كل زفير يخرج من داخلى ، يخرج معه أيضا تسبيح لك ياحبيبى ، يحمل بين طياته مشاعر حبى وآيات ولائى وخضوعى وطلبة نفسى أن اكون دائما معك ...

اننا ندعوك يا أخانا أن تمارس هذا التدريب الجميل العجيب. انه ليس كلاما نظريا بل واقعيا اختبره كثيرون وما زالوا يعيشون فيه ... ليس ما يمنعك من ممارسته والتمتع به ... لكنه يحتاج الى شعور واحساس بوجود الحبيب معك . لأنك فى الوقت الذى تحس بذلك ستهتف مع العروس « وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرخه » (نش ٣ : ٤) ... وهذا التدريب - كأى تدريب آخر - يحتاج اتقانه الى مران وصبر . فى البدء يكون بمجهود وتعب ، لكن عامل المداومة والصبر ، لابد وأن يصل بنا الى الوضع الذى تؤديه فيه دون جهد أو تعب ...

امثلة منها :

(١) صلاة ربى يسوع المسيح : اسم المسيح الحلو يردده المؤمن مقرونا بطلبة قصيرة كأن يقول مثلا : « ياربى يسوع المسيح ابن الله ارحمنى ... ياربى يسوع المسيح أعنى ... ياربى يسوع المسيح أطرد هذا الفكر الشرير عنى ، ياربى يسوع المسيح اعطنى هدوءا فى جسدى ... ياربى يسوع المسيح أبطل عنى كل قوات الشرير ... أعطنى أن احبك ياربى يسوع المسيح ... وهكذا ... »

وقد استخدمت هذه الصلاة منذ العصور القديمة . وتوجد اشارات اليها فى كتابات القديسين مار افرام ويوحنا ذهبى الفم ومار اسحق وبرصنوفيوس ويوحنا الدرجى ...

انها طلبة لا تحتاج الى جهد أو الى ضبط فكر ، لكنها تحتاج الى حب وعزم. هى صلاة قصيرة ، لكنها تحفظ للقلب حرارته المقدسة ، وهى لسان دائم يناجى الخالق ... ان اسم الرب ذو قوة واقتدار عظيمين ، وهو خلاص لكل الملتجئين اليه « اسم الرب برج حصين يركض اليه الصديق ويتمنع » (أم ١٨ : ١٠) . ان اسم الرب يرعب الشيطان « والتنت (بولس) أى

الروح وقال : أنا آمرك **باسم يسوع المسيح** أن تخرج منها . فخـــرج فى تلك الساعة » (اع ١٦ : ١٨) .

ان كنت فى شدة بسبب أفكار أو محاربات شيطانية أو بسبب ضيقات أيا كانت ، أو ان كنت أسير عادات سيئة ، نشير عليك باختبار قوة واقتدار **هذه الصلاة . . .**

(٢) ترديد الجزء الأول من المزمور التاســـع والسنين « اللهم التفت الى معونتى . يارب أسرع وأعنى » . لقد ذكر يوحنا كسيان ، أن هـــــذه الصلاة كان يرددها جميع النساك فى مصر . ويحدثنا باستفاضة عن اختباراته **فى هذه الصلاة ، وهذا التدريب الشيق ، يقول فى كتابه « المقابلات » :**

«لمينتق هذا الجزء عبثا منبين الاسفار المقدسة. انهيتضمن جميعمشاعر الطبيعة البشرية ، ويمكن استخدامها فى كل حالة، لانها استدعاء الله ازاء كل خطر ، وتتضمن اعترافا متواضعا تقويا، معمخافة دائمة ، وافتكار الانسان لضعفه وثقته فى الجواب ، والتأكد من معونة ... فالانسان الذى يداوم على نداء من يحميه ، هو بالتأكيد فى يده دائما ... هذه العبارة هى سور حصين لكل الذين هم تحت هجمات الشياطين، فضلا عنكونها سترا لايقتحم ودرعا قويا ... **ان هذه العبارة معينة ومفيدة لـــكل واحد منـــا فى كافة الحالات التى نكون فيها ... يجب علينا أن نرددها بلا انقطاع حتى نحفظ .** ليتك تفكر دوما فيها . وأيا كان العمل الذىتعمله ، أو الرحلة التى تقطعها، فلا تكف عن التغنى بها . حينما تأوى الى فراشك أو تأكل ، وبالجملة فكر فيها ورددها فى كل شيء ... ان هذا الفكر لايكون فى قلبك منقـــذا وحافظا **من هجمات الشـــياطين فحسب ، بل ايضـــا ينقيك من كل الاخطاء والادران** الأرضية ، ويقودك ذلك التأمل الخفى السمائى الىحرارة الصلاة التى لايعبر عنها ... **اجعل النوم ياتى عليك وأنت ترددها ... وحينما تستيقظ اجعلها أول شيء تفكر فيه . وحينما تنهض اركع على ركبتيك ورددها ، واجعلهـــا تتبعك طيلة يومك ...** » .

الصّلاة وفق قانون

هل من الأنسب والأوفق أن يكون لنا نظـــام أو قاعدة أو قانون خـــاص لعبادتنا ؟

الاعتراض معروف ، وهو أن الصلاة المقروءة تصـــبح آلية ، بينما يجب أنتكون طليقة وصادرة عن الذات .منالخطأ أن نتجاهل هذه الاعتبارات .

فقد يحدث أن نقول الصلاة المكتوبة باللسان دون أن يكون للفكر أو القلب نصيب . . . **لكن من الناحية الأخرى** ، اذا لم يكن لنا نظام معين أو طريقة خاصة فى صلواتنا، ونصلى فقط متىأحسسنا بالرغبة اليها ، فانهذا بلاشك يصبح خطرا مساويا لخطر الضرر الأول ، وبذلك سننمو غير ميالين للصلاة . وظاهرة عدم الاستمرار ستنتهى غالباً الى الاهمال الكلى .

(١) **وقانون الصلاة ليس فيه اهانة لله** . فأكثر مايهم الله امران : أن تتحرك ارادتنا نحوه ، وأن يكون هناك غرض يكمن فى افعالنا . **ان اتخاذ قاعدة محددة للصلاة هو فى حد ذاته تصميم على الصلاة والتحدث الى الله بانتظام بغض النظر عنالحالة التى نكونعليها** . وقانونالصلاة هو بمثابة عهد لاستمرار الانسان فى الصلاة ، وأن يكون أمينا الى الموت . وواضح أن ربط أنفسنا بمثل هذا القانون هو بمثابة عمل من أعمال الارادة البعيدة الأثر ، وهو أفضل من ترك أنفسنا تصلى حينما تشعر بتأثير عارض . لأنه مهما يكن ذلك التأثير قوياً فى حينه ، فانه سيضعف ويزول بعد فترة دون أن يترك هدفا أو غرضاً .

(٢) **وارتباطنا بقانون للصلاة هو عون لنا** . فأكثرنا يحتاج الى نوع من الدافع للصلاة ، وهذا مايحققه هذا النظام . وعلينا فى هذه الحالة أن نواجه صعوبات ومعطلات الصلاة ، كحالات الجفاف الروحى ومالى ذلك. **لكن ليس من الضرورى أن نعد مثل هذه المحاربات التى تعرض لنا ناشئةعن صلاتنا وفق قانون، اذ ربما تكون ناتجة عن نواحى ضعف روحى داخلية** . الصلاة ليست شركةمع الله فحسب لكنها أيضاً نضال ضد أعدائنا الروحيين. وارتباطنا بقانون للصلاةيجعلنا نعبر هذهالأزمات والصعاب التىتواجهنا. . .

ان المسيحية ليست دعوة الى الحرية المطلقة ، والتحلل من كل قيد ، ونبذ الواجبات . فالحرية بهذا المفهوم ، ليست هى حرية مجد أولاد الله التى نقلنا اليها السيد المسيح بعد أن كنا نرزح تحت نير عبودية الفساد . . . بل ان هذا ألتحلل يجعل منالحرية فرصة للجسد ،تلك التىحذرنا منها الرسول (غل ٥ : ١٣) . . .

لقد أجمع الآباء القديسون على وجوب الالتزام بقانونللعبادة يضعهالآباء الروحيون . وهذا الأمر يناسب الجميع لاسيما المبتدئين فى حياتهم الروحية. **يقول القديس ايرونيموس** فى رسالة الى تلميذة له تدعى يوستخيوم « على الرغم من أن الرسول يأمرنا أن نصلى بلا انقطاع . وعلى الرغم من أنه بالنسبة للقديسين ، نومهم يعتبر صلاة ، الا اننا يجب أن نعين أوقاتا للصلاة حتى اذا ماحدث وانشغلنا بأىعمل ، فانالوقت نفسه يذكرنا بواجبنا . . ». **ان العبادة الطقسية لا عيب فيها ولا غبار عليها ، وانما العيب والخطأ أن تتم بطريقة آلية تفقدها قيمتها وأثرها . . .**

صــــلاة المزامير :

لماذا اختـــارت الكنيســـة مزامير داود النبى ورتبتهـــا فى كتـــاب خاص (الأجبية) ليصلى بها المؤمنون فى صلواتهم الخاصة، والمصلى بها أثناء العبادة الجمهـــورية .. ؟

لا أريد أن اجيب على هذا التساؤل بألفاظى الخاصة ، **لكنى أريدك ان تستمع فى شغف الى مادونه القديس يوحنا ذهبى الفم فى عبارات رائعة يقول:**
« ان أسفار العهد القديم ، بالجهد نتلوها فى كل عام مرة. والأناجيل المقدسة التى لخلصنا بمـــا فيها من تعاليم وأخبار معجزات نتلوها فى الأســـبوع (فى الكنيســة) مرة أو مرتين . وكذلك أقوال معلمنا بولس ... اما كتـــاب الطوباوى داود ، فلا أدرى كيف دبرت نعمة الروح القـــدس أن يصلى به نهاراً وليلا ، حتى أن الجميع يتخذونه بأفواههم كالطيب الكثير الثمن . فان كان فى الكنـــائس والاجتمـــاعات العـــامة فداود فى الأول وفى الوسط وفى الانتهاء . وان كان فى جناز الموتى ومنازل العذارى وصنائع الأيدى فداود فى الأول وفى الوسط وفى الانتهـــاء . حتى أن الـــذين لايعرفون القراءة متى ارادوا أن يتعلموا يبتدئون أولا بأقوال داود ويحفظونها . ان كان فى أماكن العذارى المتشبهات بمريم، أو فى مناسك الرجال فى القفار المجتهدين فى صلواتهم يخاطبون الله ، فداود هو الأول أو فى الوسط وفى الانتهـــاء . فكل من كان مستغرقا بنوم ثقيل من اغتصاب الجسد الطبيعى ، ويعرض له أن ينهض ليلا فى غير وقته ، يتلقاه داود للحين . **كم من تسبيحات ملائكية يقيمهـــا لله من عبيده . فالأرض يجعلها سماء، والبشر يصيرهم ملائكة، يزين حياتنا بأسرها ويهيىء لنا كل شيء :** ينمى الأولاد بالتأديب ، يدعو الشـــبان الى العقـــل الرصين ، يهب العفة للعذارى، ويمنح الشيوخ تحفظا. يستدعى الخطاة الى التوبة بقوله ، اعترفوا للرب فانه صالح . يحفظ المتقومين فى طريق التوبة بقوله : خطايا شبابى وجهالاتى لاتذكر يارب . ينهض المحسن اليهم للشكر ويحثهم بقوله : بماذا أكافىء الرب عن كل ماأعطانيه . يدعو الذين أخطأوا الى الاعتراف أوقـــات كثيرة بقـــوله : أرحمنى ياالله كعظيم رحمتك . يثبت المدعوين للكهنوت بقوله : لاتطرحنى من أمام وجهك يارب . يفقه المسوقين الى القضاء بقوله : نجنى من بغى الناس يارب . يطمئن الخائفين من الأعداء بقوله ، انقذنى من اعدائى ياالله . ويحث الصبورين والشكورين على الثناء المفرط بقوله صبرا صبرت للرب فاصغ الى واستمع طلبتى ... **فيالها من قيثارة شريفة معظمة لأنها تجمع بين أنفاس العالم كأنها أوتار لها ، ثم تقرع فى آذانهم تمجيد الله وتسبيحه ... » .**

ونستطيع أن نخلص من ذلك الى الأسباب الآتية التى دعت الكنيسة المقدسة الى استخدام المزامير كمادة للصلاة :

(١) **لقد جمع داود فى شخصه اختبارات عجيبة :** فهو راعى الغنم ، وهو النبى العظيم وهو الملك . هو القديس الذى حلق فى سماء الروح ، وهو الانسان الذى سمح الرب بسقوطه فى خطيئتين شنيعتين أذلتاه ولأجلهما ظل يبكى ويبل فراشه بدموعه قائلا « خطيئتى أمامى فى كل حين » . فنحن فى المزامير نجد اختبارات كثيرة لابد أنها توافق احتياجاتنا .

(٢) **انها خرجت من قلب انسان تطهر فعلا بالتوبة وجاهد من أجل حياة الروح جهاداً عظيما يجدر بنا أن نتطلع اليه حتى لا نستكبر .** ويقول يوحنا ذهبى الفم « قف يا انسان عند حدك هل وصلت الى ماوصله داود ؟! فاسمعه يقول ضعفت ركبتاى من الصوم وجسدى تشوه وذوى من الزيت » . وأيضا فى يوم حزنى لبست مسحا وكنت أذلل بالصوم نفسى . ويقول فى السهر : فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك ... سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك ... أما أنا فصلاة . ويقول فى النسك : أكلت الرماد كالخبز ومزجت شرابى بدموعى . ولماذا نعدد مناقب داود وها أن الله شهد له : وجدت قلب داود حسب قلبى . وعلى الرغم من كل هذه التقويمات سقط . فلا تطمئن يا أخى بعد هذا لأنه : اذا كان البار بالجهد يخلص فالفاجر والمنافق أين يظهران . فانتبه الى ذلك اذا ... » .

(٣) **المزامير ولو أن قائلها هو داود واليه تنسب ، لكنها أيضا هى كلام الله قاله داود بالروح القدس ، حتى أن السيد المسيح قال « قال داود بالروح ... » . وحينما تصلى بالمزامير تكلم الله بكلامه ... فهل يوجد أعظم** من ذلك ؟ انه أضمن للمحامى الذى يترافع عن متهم أن يترك عنه كلامه الخاص ويكلم القاضى بنصوص القانون ويطالب بالحكم ببراءة موكله طبقا لهذا القانون ، فان القاضى ملتزم به . أليس هذا هو ماناَمسه فى مزامير داود التى تتضمن صورا لمحبة الله ورحمته واحسانه وبره وعطفه وحنوه وعدله وحدبه على بنى البشر ؟ ان كل ما نأمله أن يعاملنا الله بحسب هذه الصفات .

(٤) **ان صلواتنا الارتجالية التى نصليها غالبا ماتكون صلوات نفعية .** فهى طلبات متراصة لا غير ، وغالبا ماتكون خالية من عنصر هام فى الصلاة هو **عنصر التسبيح** . وهذا العنصر نراه واضحا جدا فى تراتيل داود ومزاميره ...

(٥) **والمزامير فوق هذا كله مادة عجيبة للتأمل .** فهى تتيح للذين يصلونها بالروح وبتأن تأملات رائعة حقا . لايمكن الا أن يكون مصدرها روح الله ... هذا هو ما اختبره الآباء وما اختبرناه نحن ... وما السبب فى ذلك ؟ هل يرجع ذلك الى تنوع أفكارها وعمق المشاعر التى دونتها والقلب الصافى الذى أخرجها والنبوات الواضحة التى تضمنتها ... قد يكون هذا كله .

معا وغيره أيضا ... على اى حال اسوق اليك ظاهرة مؤكدة ولك ان تختبرها ...

فهل بعد هذا تحتاج الى برهان على قوة المزامير وجزيل نفعها للصلاة بها ؟ أسألك أن تستمع الى قول مار اسحق « ليكن لك محبة بلا شبع لتلاوة المزامير لأنها غذاء الروح » .

ليس معنى الكلام السابق الاكتفاء بصلاة المزامير . كلا ... بل يجب ان يعقب كل صلاة بالمزامير صلاة خاصة تعبر بها عن مشاعرك نحو الله وتطلب بها احتياجاتك الخاصة ... **بل ان الآباء القديسين يعتبرون صلاة المزامير تمهيدا لصلاة القلب ...**

كيف نصلى بالمزامير .. ؟

+ **قدم صلاتك فى وقار وحشمة** ، وابسط يديك الى السماء باتضاع ، واسجد بخشوع . فعلى قدر اهتمامك بذلك — كما يقول مار اسحق — « يكون افتقاد النعمة . لأنه معظم فى عينى الرب الوقار الذى يقدمه الانسان أثناء ذبيحة صلاته ... » . افهم معانى الصلاة ، واتل كلمات المزامير بتأن وفهم كأنها من قولك وليس من قول آخر .

+ **اذا كان وقتك لايتسع لتلاوة المزامير التى للساعة الواحدة ، فقلل العدد لكى تصلى هذا القليل بالروح . يقول مار اسحق « اذا شئت التمتع بحلاوة قراءة المزامير والتنعم بمذاقة الروح القدس فيها ، دع عنك الكمية ، ولا يهمك معرفة عدد المزامير التى صليت بها . يكفى أن يكون عقلك فاهما معانى الصلاة فيتحرك فيك شعور بتمجيد الله » .**

+ **مع كل لفظ فى المزمور فيه ذكر السجود اسجد أو فى القليل احن راسك بالسجود** . وحبذا لو أنك خررت ساجدا فى نهاية كل مزمور طالبا من الرب طلبة واحدة ... فان أنت شعرت انك أهنت الرب بخطيئة معينة أسجد بعد كلمة هليلويا وقل للرب « اخطأت اليك ياربى يسوع المسيح ارحمنى » . وان كنت معذبا من خطية معينة اسجد أيضا فى نهاية المزمور واطلب من الرب أن يخلصك منها ، وهكذا فى نهاية كل مزمور . ان كان انسان فى ضيقة معينة وطلب اليك أن تذكره ، لا مانع أن تطلب طلبتك لأجله بهذه الطريقة .

+ **ويوحنا كسيان يسجل لنا ذلك عن رهبان مصر القديسين (فى أواخر القرن الرابع) فيقول** « رأيتهم فى صلواتهم حينما ينتهون من تلاوة كل

مزمور لا يستعجلون السجود كواجب يراد انهاؤه — كما يصلى الكثير منا الآن — بل رأيتهم على خلاف ذلك ، فبعد أن يفرغوا من المزمور **يقفون برهة يرفعون فيها صلاة قصيرة ثم ينحنون فى خشوع ويسجدون الى الأرض بوجوههم بورع كثير وتقوى شديدة ثم ينتصبون بخفة ونشاط** ويعودون الى وقفتهم المنتصبة وافكارهم كلها منحصرة فى الصلاة ... » .

+ **كيرياليسون التى نتلوها ضمن صلاة المزامير يجب أن تكون بتأن . اشعر كل مرة تقول فيها « كيرياليسون » أن جلدة أو سوطا قد هوى على ظهر السيد المسيح ، ثم قل فى داخلك « لأجلى ياسيدى »** ... اتخذ من آلام المخلص وسيلة لطلب الرحمة لنفسك الشقية ...



الصّوم

« قدســـوا صوما ، نادوا باعتكاف »
(يؤ ٢ : ١٥)

+ مفهوم الصوم روحيا .
+ مركز الصوم فى الحياة الروحية .
+ لمـــاذا اصـــوم ؟
+ كيف أصـــوم ؟
+ نصائح وارشادات .
+ الأصوام فى الكنيسة القبطية .

مفهومان للصـــوم :

الصوم بمفهومه الخاص ، هو الامتناع عن الطعام فترة معينة ، يتناول الصائم بعدها أطعمة خالية من الدسم الحيوانى . لكن **للصوم مفهوما عاما عند الآباء القديسين** . فهو فى رأيهم يشتمل على كل صنوف التقشف والنسك وقمع الأهواء والشهوات الجسدية . قال **القديس يوحنا التبايسى « صـــوم الجسد هو الجوع من الغذاء ، البعد عن المأكولات ، النسك من الدسم . وصوم النفس هو أن يجوع الانسان ويعطش للبر ، ويصــوم عن التدابير الرديئة وعن الاهتمــام بها وعن ذكر الرذائل »** . وقال القــديس بولس الرسول «وكل من يجاهد **يضبط نفسه فى كل شىء . . . أقمع جسدى واستعبده** حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضا » (١ كو ٩ : ٢٥) . ولذا يجمل بنا ، قبل أن نتناول موضـــوع الصــوم بمفهومه الخاص ، أن نتحدث عنه بمفهومه العام ، وبعبارة أخرى نتحدث عن قمع الجسد لارتباطه الوثيق بالصـــوم .

قمـــع الجســـد (١) :

القديس بولس المبشر العظيم . وكاروز المسكونة الذى صعد الى السماء الثالثة ، ورأى أمورا لاينطق بها ولا يسوغ لانســـان أن يتكلم بها ، وتعب أكثر من جميع الرسل . . . هذا الرسول العظيم والاناء المختار ــ بحسب شهادة الرب ــ يقول « **أقمع جسدى واستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضا » . . . والانســـان تأخذه الدهشة فيتســـاءل : أيمكن أن يرفض مثل هذا القديس العظيم بعد كل هذا ؟! أبعد ما استأهل « لفرط الاعلانات » يمكن أن تتحرك فيه شهوات الجسد ، ويخسر الجعالة، ولذا يقول « أقمع جسدى واستعبده » ؟!!** . . .

لاشك أن كلمات الرسول هذه تبرز لنا جانبا هاما من جوانب الجهـــاد الروحى المسيحى الأصيل . . . فربما كان مفهوم كلمة « الخلاص » عنـــد

---

(١) استعمل بعض الآباء لفظ « الاماتة » للتعبير عن قمع الجســـد . ويبدو أنهم أخـــذوه عن بولس الرســـــول حيث أورده فى (رو ٨ : ١٣) . واستخدمته أيضا الكنيسة فى القطعة الأولى من قطع صلاة الساعة التاسعة فى الأجبية . . .

البعض غير واضح ، وكأنى بذاك الذى يقول « أنا خلصت » قد وصل الى الملكوت وكأنه قد خلع جسد الخطية ، **فلا حاجة به الى جهاد ضد الجسد** وشهواته ، وكأنه انسان لايخطىء على الرغم من انه مازال يحيا فى الجسد!! لكن ليتذكر هؤلاء وأمثالهم كلمات الرسول السابقة ، فهى خير منبه لنا نحن الضعفاء ، **لأنه اذا كان «البار بالجهد يخلص، فالفاجر والخاطىء أين يظهران»** (١ بط ٤ : ١٨) !!

والحق أنه من أهم مايعوق نمو الانسان الروحى وتقدمه فى الفضيلة ، انفعالات الشهوة الحسية، وميول الجسد الرديئة ... الأمر الذى يعبر عنه يعقوب الرسول بقوله « من أين الحروب والخصومات بينكم ، اليست من هنا ، **من لذاتكم المحاربة فى أعضائكم »** (يع ٤ : ١) ... **فالجسد بشهواته وانفعالاته ، هو بلا شك ، معطل قوى من معطلات الحياة الروحية ...** الروح تريد أن تنطلق نحو الله ، والجسد يجذبها الى أسفل ويقيد حركاتها ويعوق انطلاقتها « **الجسد يشتهى ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون مالا تريدون »** (غل ٥ : ١٧) ...

وليس هذا فقط بل ان **الرسول بولس** — بعد قوله السابق — **يعرف المسيحى الحقيقى بانه هو الذى قمع جسده وشهواته فيقول** « الذين هم للمسيح قد صلبوا **الجسد مع الأهواء والشهوات »** (غل ٥ : ٢٤) .. **وهكذا نرى ان قمعنا للجسد ينبغى ان يأتى فى المحل الأول من جهادنا الروحى العام من أجل حياة الكمال المسيحى التى يشتاق كل مؤمن أن يحياها .** ان تشكيل الحديد لا يكفيه تليين النار له فقط ، بل يلزمه بالاضافة الى ذلك طرق المطارق ليقبل الصورة التى يريد الحداد أن يدخلها عليه . **هكذا نحن فانه لايكفينا** تليين قلوبنا بحرارة الصلاة مثلا ، بل يلزمنا مع ذلك أن نطرقها بمطارق التقشف والنسك « ان عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن ان كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ١٣) .

+ **فالنسك والتقشف هما الصليب الذى يلزمنا ان نحمله كل حين اذا شئنا اتباع** المسيح ، وبذلك نصبح « حاملين فى **الجسد** كل حين **اماته الرب يسوع** ، لكى تظهر حياة يسوع أيضا **فى جسدنا »** (٢ كو ٤ : ١٠) . وما أكثر ماقيل عن قمع الجسد أو اماتته :

قال القديس بولس « لأنه ان عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن ان كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ١٣) . **وقال داود النبى مخاطبا الرب « من أجلك نمات اليوم كله »** (مز ٤٤ : ٢٢) ... **والحق اننا لانؤهل لفرح الروح الحقيقى ، ان لم نمت كافة الشهوات ،**

وكل شوق ورغبة عالمية فينا ، مثل سارة التى أنجبت ابن الروح « اسحق » من مستودع مائت (عب ١١ : ١٢) .

ان السيد المسيح لم يعد من مصر الى وطنه الا بعد موت هيرودس الذى كان يطلب نفس الصبى ليهلكها ... هكذا يلزمك أن تميت هيرودس الذى يطلب نفسك ليهلكها ... **أى أن تميت أعضاءك التى على الأرض** (كو ٣ : ٥) ، وتقهر شهواتك وميولك المنحرفة ، والا لايأتى الرب الى قلبك ...

ولا شك أن قهر الانسان لميوله ومقاومته لأهوائه ، والوقوف ضد شهواته تعتبر فى حد ذاتها جهادا عظيما « لأن مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » (أم ١٦ : ٣٢) ... **قال القديس امبروسيوس** « ان ميولنا وشهواتنا هى عدو أعظم من الأعداء الخارجين عنا . ان ما فعله يوسف العفيف من ضبط ذاته وتسلطه على نفسه بمقاومته اغراء سيدته النجسة لأعظم جدا مما فعله فى أمصار مملكة مصر » ... **وقال القديس يوحنا ذهبى الفم كلاما مشابها لذلك عن داود** « انه لما قهر ذاته وانتصر عليها فى عدم مطاوعتها للانتقام من شاول عدوه فى المغارة ، كان فعله هذا أعظم قوة من قتله جليات الجبار . وقد نشر هذا العمل لا فى أورشليم الأرضية بل فى أورشليم السمائية . ومن هناك خرج لملاقاته — لا بنات اسرائيل بالدفوف مرنمات ، كما صنعن أمامه لما قتل ذلك الجبار — بل انه أبهج الجنود السمائيين ... » .

ويأتى فى مقدمة وسائل قمع الجسد وضبط الهوى الصوم الذى هو موضوع كتابتنا الآن ...

ماهو الصوم ؟

الصوم هو حرمان من بعض الأطعمة ، يتدرج حتى يصبح زهدا اختياريا فيها . فهو — والحال هذه — ليس اضعافا للجسد ، بل قمعا واذلالا له لانعاش الروح ... وهو ليس فرضا موضوعا علينا ، لكننا نمارسه لشعورنا باحتياج اليه من أجل شقاوتنا وجسدنا المشاغب .. وهو ليس أمرا متعلقا بالجسد بقدر ماهو متعلق بالروح ... وهو لم يرتب للتكفير عن الذنوب والخطايا ، لكن لاعداد النفس لاقتبال الله ، اذ لايوجد عمل ما يكفر عن الخطايا سوى عمل السيد المسيح الفدائى ...

مركز الصوم فى الحياة الروحية

للصوم مكانة خاصة متميزة فى الحيـــاة الروحية عامة . نلمس ذلك من مسلك رجال الله سواء فى العهد القديم أو العهد الجديد وأقوالهم ، يؤكد كل ذلك تكريم الرب يسوع له ، سواء بممارسته له أو بأقواله عنه . **وفى رأى بعض القديسين أن جهاد الصوم ينبغى أن يتقدم كل الجهادات الأخرى فى الحياة الروحية، لأنه هو الذى يمهدلها الطريق. فما لم يخضع الجسد ويلجم، فان الانسان يجد نفســـه مشدودا برباطات كثيرة تعوقه عن حيـــاة الانطلاق الروحى ، وفى ذلــك يقــول مار اســحق العظيم فى العــارفين « كــل جهاد ضد الخطية وشهواتها يجب أن يبتدىء بالصوم ، خصوصـــا اذا كان الجهاد بسبب خطية داخلية »** . ويقول أيضا « ان أول قضية وضعت على طبيعتنا فى البدء كانت ضـــد تذوق الطعـــام ، ومن هذه النقطة سقط أول جنســـنا . لذلك فان اولئك الذين يجـــاهدون من أجـــل خوف الله يجب أن يبدأوا البناء من حيث كانت أول ضربة . مخلصنا الصـــالح حينما أظهر نفسه للعالم عند الأردن ابتدأ من هذه النقطة . فحينما اعتمد قاده الروح الى البرية مباشرة وصام أربعين يوما وأربعين ليلة . **وكـــل الذين يريدون أن يتبعوا خطواته ، عليهم أن يضعوا أساس جهادهم على مثال عمله »** .

وها نحن نعرض لمكانة الصـــوم :

(أولا) فى **العهد القـــديم :**

يمكن اعتبار خطية الانسان الأول أنها كانت موجهة ضد الصـــوم ... لقد أوصى الله آدم الا يأكل من شجرة معينة فأكل ، فكانت الطـــامة الكبرى لكل جنسنا . **وفى ذلك يقول القـــديس يوحنا ذهبى الفم « لما أبـــدع الله الانسان الأول سلمه الى أيدى الصوم ليضبطه ويهتم بخلاصـــه كأب محب لأولاده أو معلم ذى حزم** بقوله تعالى لآدم « من كل ثمر شـــجر الفردوس تأكل ، أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها البتة . **أفليس هـــذا شكلا من الصوم** ؟! فاذا كان الصـــوم فى الفردوس ضروريا ، فكم بالحرى يصبح أكثر ضرورة خارج الفردوس ... ان معونة الصوم لضرورية لنـــا جدا . **ولو سمع آدم هذا الصوت من الله وأطاعه، لما سمع بعده الصوت الثانى انك تراب والى تراب تعود ... أرأيتم كيف يغضب الله عندما يهان الصوم ويحتقر ... وها هو لما أهين أعطى لمن أهانه عاقبة الموت أى آدم ... »** .

والعهد القديم ملىء بالأمثال والأقوال عن الصـــوم ... نقرأ عن كثير من رجال الله أنهم صاموا وعملوا أعمالا عظيمة .كما نقرأ عن أصوام جماعية للشعب كله فى تذلل أمام الله ...

+ **فموسى النبى** بعدما صام أربعين يوما ،استحق أن يعاين اللهويخاطبه بدالة ، ويتقبل من يده الناموس المكتوب بأصبعه تعالى .

+ **وايليا** بعدما صام أربعين يوما تشرف بمشاهدة الله واقام موتى وفتح السماء .

+ **وأستير** بالصوم أبطلت قضية الموت عن شعبها . (اس ٤ : ١٦) .

+ **ودانيال** كان عاكفا على الصوم حين تراءى له الملاك جبرائيل وكشف له أسرار الله .

+ **ويهوديت** كانت تصوم كل أيام ترملها ووضعت على حقويها مسحا (يهوديت ٨ : ٥ ، ٦) ...

+ **ونحميا** لما سمع اخبار اخوته الذين فى أورشليم واحوالهم المحزنة ، وأن سور أورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار ، ناح وصام وصلى امام الله (نح ١ : ٤) ...

+ **وحنة بنت فنوئيل النبية** عاشت أرملة نحو اربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا (لو ٢ : ٣٧) .

+ **أما داود النبى والملك** فضرب بسهم وافر فى الصوم حتى انه قال « اذللت **بالصوم** نفسى » (مز ٣٥ : ١٣) ... « ركبتاى ارتعشتا من**الصوم** ولحمى هزل عن سمن » (مز ١٠٩ : ٢٤) .

+ **حتى آخاب الملك الشرير** حالما سمع كلام ايليا الخاص بما سيحل به وببيته من مصائب « شق ثيابه وجعل مسحا على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت » ، حتى أن الرب قال لايليا « هل رايت كيف اتضع آخاب امامى . فمن اجل أنه قد اتضع امامى لا اجلب الشر فى أيامه بل فى أيام ابنه ... » (١ مل ٢١ : ٢٧ — ٢٩) .

وقد تكلم الرب بلسان اشعياء النبى عن الصوم المقبول وشروطه وبركاته . بل قال له « ناد بصوت عال . لا تمسك . ارفع صوتك كبوق واخبر شعبى بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم ... **امثل هذا يكون صوم اختاره »** (أش ٥٨) . وواضح من كلام الرب انه يسر بالصوم ، وان خطية بنى اسرائيل وتعديهم كانت لأنهم لم يراعوا شروط الصوم ...

أما عن الأصوام الجماعية ، فأمامنا نموذج عجيب فى **صوم شعب مدينة نينوى** (يونان ٣ : ٥—١٠) .. **وصوم بنىاسرائيل فى حربهم مع بنى بنيامين** (قض ٢٠ : ٢٦) ... **وصوم الشعب ايضا زمن صموئيل النبى (١ صم ٧:٦) وقد نادى يهوشافاط الملك بصوم فى كل يهوذا** عندما قام عليه المؤابيون والعمونيون (٢ أى ٢٠ : ٣) **وعزرا** وهو فى طريقه الى أورشليم نادى **فى كل الشعب** الذى معه بصوم ، ويقول « وناديت هناك بصوم ... فصمنا وطلبنا ذلك من الهنا فاستجاب لنا » (عز ٨ : ٢١ ، ٢٣) (انظر أيضا يوئيل النبى) .

(ثانيا) فى العهد الجديد :

لم يكن الصوم فى العهد القديم رمزا لشىء فى العهد الجديد كالذبائح الحيوانية مثلا ، **لذلك لم يبطل فى المسيحية ، بل ان الرب يسوع نفسه اظهر لزومه وفاعليته** لحياة كل المؤمنين باسمه ، حينما صام أربعين يوما واربعين ليلة ... **قطعا لم يكن الرب فى حاجة الى ان يصوم لكنه صام عن البشرية ، او صامت البشرية فيه باعتباره آدم الثانى ...** لقد قدم ذاته لنا مثالا فى ذلك كما فى اشياء اخرى كثيرة ، حتى ما يعلمنا طريق الغلبة والنصرة فى حروبنا مع أعدائنا ... وقد تكلم عن الصوم كموضوع أساسى فى عظته على الجبل التى هى دستور المسيحية (مت ٦ : ١٦ — ١٨) . وحينما سأله تلاميذ يوحنا « لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيرا واما تلاميذك فلا يصومون » كان جوابه « هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ، ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون » (مت ٩ : ١٤، ١٥) . ثم تكلم عنه فى عبارة جامعة مانعة حينما قال **« هذا الجنس (الشيطان) لا يمكن أن يخرج بشىء الا بالصلاة والصوم »** (مر ٩: ٢٩) .. انها كلمات فى غنى عن التعليق ... انها تحوى سر النصرة فى جهادنا الروحى، أوضحه لنا رب المجد « لا يمكن ... الا بالصوم » .

ونرى اثر الصوم وممارسته واضحة فى كنيسة العهد الجديد ، بعد أن حان الوقت الذى تتمم فيه قول سيدها ومعلمها « حين يرفع العريس (المسيح) حينئذ يصومون ... لقد تكلم كاتب سفر الأعمال عن **صوم كنيسة أنطاكية** (أع ١٣ : ٣) ... **وعن صوم كان قد انقضى** (أع ٢٧ :٩)... وفى الطريق الى ايطاليا حينما كان القديس بولس مقتادا اليها ، وهاج البحر جدا حتى فقد من فى السفينة رجاءهم فى النجاة ، صار **« صوم كثير »** (أع ٢٧ : ٢١) ...

ولقد تكلم القديس بولس فى اكثر من موضع فى رسائله عن الصوم فيقول « فى كل شىء نظهر انفسنا كخدام الله فى صبر كثير ، فى شدائد ... فى أسهار ، **فى أصوام »** (٢ كو ٦ : ٤، ٥) ... ومرة أخرى يعدد أتعابه **فيقول « فى أصوام مرارا كثيرة »** (٢ كو ١١ : ٢٧) ... ويوجه كلامه الى **الأزواج** والزوجات ناصحا « لا يسلب أحدكم الآخر الا ان يكون على موافقة الى حين **لكى تتفرغوا للصوم والصلاة »** (١ كو ٧: ٥) .

(ثالثا) فى حياة آباء الكنيسة :

أهمية الصوم ومكانته واضحة فى حياة وأقوال قديسى الكنيسة الجامعة شرقا وغربا سواء كانوا خداما أو نساكا . **ان التاريخ ملىء بنماذج جبارة لرجال الله الذين وصلوا الى درجات عالية فى القداسة عن طريق الصوم ...**

ان كافة القديسين بلا استثناء مارسوا الصوم وبرعوا فيه بعد ان ادركوا فوائده ، ودونوا لنا اختباراتهم عنه فى كتاباتهم ... ودعى بعض هؤلاء القديسين ــ من فرط تعلقهم بالصوم « الصوامين » ...

+ **فالقديس باسيليوس الكبير** ، رئيس أساقفة قيصرية الذى قيل ان اللحم لم يطبخ فى مطبخه طوال مدة رئاسته الدينية ،والذى كان يرتدى مسحا من الشعر على جسده يخفيه تحت ملابسه الظاهرة يقول « **لقد نفينا من الفردوس الأرضى لأننا لم نصم ، فيجب أن نصوم لنرجع الى الفردوس السمائى** . لأن الصوم يرد لنا الخسائر المسببة عن عدم صوم آدم ويصالحنا مع الله » . ويقول ايضا « **لقد ضبط الصوم قوة النار وسد أفواه الأسود** » مشيرا الى الثلاثة فتية فى اتون بابل ، ودانيال فى جب الأسود .

+ **والقديس يوحنا ذهبى الفم** ، بطريرك القسطنطينية الذى كان طعامه فى مدة بطريركيته من الدشيشة (القمح المبلول) ، يحدثنا عن الصوم حديثا رائعا فيقول « **أى برهان يدلنا على محبة الصوم لجنسنا ! كيف انه يحارب عنا أعداءنا وينقذنا من أسرهم ، ويوصلنا الى حريتنا الأصلية** . اتشاء ان تعلم قدر زينة الصوم للناس وحفظه وثباته لهم ؟ تأمل المتوحدين والنساك ، كيف أنهم يفرون من الاضطرابات العالمية ويبادرون نحو قمم الجبال ، ويشيدون لهم هناك كهوفا فى هدوء الصحارى كأنهم فى الميناء الأمين ، ويجعلون الصوم مقتناهم ومسكنهم وشريكا لهم فى جميع حياتهم ! واما هو فيجعلهم ملائكة عوض بشر ، وكذلك كل من وجده محبا له فى المدن والقرى يصعده الى حدود علو الفلسفة . موسى وايليا اللذان كانا مقدامى أنبياء العهد القديم ، والمشرفان بضياء الدالة البهية ، اللذان اقتربا الى الله وخاطباه ، بادرا أولا بالصوم وصعدا على ساعديه نحو البارى ... » .

+ **والقديس امبروسيوس أسقف ميلان** يقول مشيرا الى صوم الأربعين المقدسة « **ان من كان بريئا من كل خطية (السيد المسيح) صام أربعين يوما ، وأنت أيها الخاطىء تكره هذا الصوم وتأباه** ... هاهو ذا طوفان جديد يدوم مدة اربعين يوما لا تزال السماء فيها هاطلة علينا بأمواه النعم الالهية وبه تغرق خطايانا ، وتحفظ فى قلوبنا الفضائل والقداسة » .

+ **والقديس ايرونيموس (جيروم)** يقول « **الرب نفسه قدس عماده بصوم لمدة أربعين يوما . وعلمنا أن أقسى الشياطين لا تقهر الا بالصلاة والصوم** ... والرسول بولس بعد أن تكلم عن الجوع والعطش وأتعابه الأخرى والأخطار من اللصوص يعدد أصواما كثيرة ... **ويقول ايضا فى رسالة له الى ديمترياس العذراء** « ونستطيع أن نجمع من الكتاب المقدس

ما لا يحصى من الشهادات الالهية بخصوص البطنة وتفضيل المأكل البسيط ... ان الانسان الأول اذ أطاع بطنه اكثر من الله طــرد من الفردوس الى وادى الدموع . وسترين ايضا لماذا جرب الشيطان ربنا نفسه بالجوع فى البرية ، ولماذا يصرخ الرسول الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هــذه وتلك . ولماذا يقول عن الفجار الذين الههم بطونهم . كل انسان يعبد الذى يحبه . **لذلك فلنبذل كل اهتمامنا حتى يمكن للنسك أن يرجع الى الفردوس أولئك الذين طردهم منه الامتلاء** » .

+ **ومار اسحق السريانى يقول «الصوم هو بدء طريق الله المقدس . هو تقويم كل الفضائل ،بداية المعركة، جمال البتولية، حفظ العفة ، أبو الصلاة، نبع الهدوء ، معلم السكوت ، بشير الخيرات »** . كما قال ايضــا « **هــذا السلاح (الصوم) قد صقله الله فمن ذا الذى يجرؤ على احتقــاره ! ان كان معطى الناموس قد صام بنفسه ، فكيف لا نصوم نحن الذين وضع الناموس لأجلنـــا ؟ !! »** .

+ **وقال القديس غريغوريوس رئيس متوحدى قبرص** « الكبير البطن احلامه الردية تكدر قلبه ، والذى ينقص من أكله يصير فى كل وقت منتبها . **لأن مثلما يظلم الجو من الضباب ، كذلك يظلم العقل اذا امتــلأت البطن من المأكولات »** .

اقتــدار الصوم :

عرضنا ونحن نتحدث فى النقطة السابقة عن مركز الصــوم فى الحيـــاة الروحية ، لأمثلة من الأصوام الفــردية والجماعية ، ورأينا كيف أن هــــذه الأصوام كانت مقتدرة فى فعلها . ولعل من أروع الأمثلة وأعجبها صوم شعب مدينة نينوى . فعلى الرغم من صدور أمر الله بانقلاب المدينة بعــد أربعين يوما ، الا انه لـــا رأى تذللهم الشديد رجع عن حمو غضــبه ورحمهم حتى قيل« ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يونان ٣ : ١٠) . والانسان يقف أمام هذا القول حائرا . **أيمكن أن الله يندم ؟!! ولكن هـــذا ما يفعله الصوم ...** والحق أن تذلل الشعب بلغ حدا مذهلا لقد صام الجميع صغارا وكبارا ولبسوا مسوحا حتى الملك نفسه تذلل أمـــام الــرب وتغطى بمسح وجلس على الرماد ... وحتى البهائم صامت ووضعت عليها المسوح بأمر الملك ... وصرخ الجميع بشدة الى الله فرحمهم .

+ **ويعلق القديس يوحنا ذهبى الفم بأسلوبه الشيق على هذا الحادث فيقول** « لقد اكرم الله الصوم ، واعطى لمن أكرمه النجاة من الموت ، **لأن الله** منح الصوم قوة يظهرها عند فعله ، واعطاه سلطة انه بعــد ابرام الحــكم

والقضاء بالموت، يجتذب فاعلية من وسط طريق الانتقام الى الحياة والنجاة . **وهذا الأمر** لم يفعله الصوم مع اثنين او ثلاثة أو عشرة أو عشرين بل مع **اهل مدينة** بجملتها مثل نينوى ،التى امست ذليلة تحت قبول الرجز والسخط الذى أمر به العلى بغتة. وبعد ذلك نجت كأنها بقوة قادرة وافتها من العلاء ، **واختلستها من يد الشرطة** ، وزجتها فى ميناء الحياة والنجاة » .

+ وبعد أن تكلم الرب الى اشعياء النبى عن جوهر الصوم وطريقته المثلى ، تحدث اليه عن بركاته واقتداره والمواعيد المقترنة به ، قال « **حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك ، وتنبت صحتك سريعا ويصير برك أمامك ومجد الرب يجمع ساقتك . حينئذ تدعو فيجيب الرب . تستغيث فيقول ها أنذا** » (اش ٥٨ : ٨،٩) . ما اجملها مواعيد ، تلك التى ادخرها لنا الرب فى الصوم !! ان كل منها يحتاج الى وقفة تأملية طويلة . . .

+ **والقديس ايرونيموس (جيروم)** — بعد أن أورد مثل دانيال الذى بالصوم سد أفواه الأسود فى الجب، قال« ما اعظمه شىء (الصوم) ذاك الذى يستعطف الله ، يجعل الأسود اليفة ويرعب الشياطين !! » . . .

+ **أما القديس اغسطينوس** فيقول « أتريد أن تصعد صلاتك الى السماء ، فامنحها جناحين وهما الصوم والصدقة » . . .

لماذا أصوم ؟

(١) كثرة المآكل تحرك الشهوات :

هناك علاقة وارتباط بين طاقة الانسان ، وما يصدر عنه من أفعال . فالأقوياء الأشداء مثلا اكثر استعدادا للغضب والقتل وربما الزنا من الضعفاء المزيلين ، لأنهم يحتفظون فى جسومهم بطاقة أكبر مما يلزم لحاجتها الطبيعية . فهم أميل الى صرفها واخراجها فى نشاط خارجى . **ومعلوم أن طاقة الانسان ترتبط الى حد كبير بقدر الغذاء الذى يتناوله ونوعه ...**

وفكرة الصوم تقوم على هذا الأساس . فهى رياضة روحية ، قصد بها اذلال الجسم واخضاعه ، فضلا عن الحد من تغذيته حتى لا تتوفر له من الغذاء طاقة كبيرة ، قد لا يقوى الانسان على حسن توجيهها . **يقول يوحنا كسيان فى حديثه عن روح النهم (البطنة)** « حينما تمتلىء المعدة بكل أنواع الطعام ، فذلك يولد بذور الفسق . والعقل حينما يخنق بثقل الطعام لايقدر

علىتوجيه الأفكار والسيطرة عليها . فليس السكر من الخمر وحده هو الذي يذهب العقل ، لكن الاسراف فى كل أنواع المآكل يضعفه ، ويجعله مترددا ويسلبه كل قوته فى التأمل النقى . **ان علة خراب سدوم وفسقها لم يكن السكر بالخمر بل الامتلاء (الشبع) من الخبز** . أسمع الرب يوبخ أورشليم بالنبى القائل لأنه كيف اخطأتاختك سدومالا لانها شبعت من خبزها بكثرة (حز ١٦ : ٤٩) . وبسبب الشبع من الخبز اشتعلوا بشهوة الجسد الجامحة ، فأحرقوا بعدل الله بنار وكبريت من السماء . فان كانت زيادة الخبز وحده أدت الى مثل هذا السقوط السريع فى الخطية عن طريق رزيلة الشبع ، فماذا نقول عن أولئك الذين لهم أجسام قوية ، ويأكلون اللحم ويشربون الخمر بافراط ، غير مكتفين بما تتطلبه حاجة أجسادهم ، بل ما تمليه عليهم رغبة العقل الملحة » . **قال القديس فيلوكسينوس « ثقل** الأطعمة تقهر الأعضاء بالشهوات » .

(٢) الصوم لجام قوى للجسد :

معلوم أن الانسان يسكن فى جسد شهوانى مشاغب ، يشتهى كل ما هو مادى جسدى . هذا الجسد يجذب صاحبه جذبا عنيفا الى أسفل . بل انه يوقعه مرارا كثيرة فيما لا يبتغيه وما لا يريد أن يفعله ، **لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم احدهما الآخر حتى تفعلون مالا تريدون** » (غل ٥ : ١٧) ... « لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فاياه أفعل ... فانى أسر بناموس الله بحسب الانسان الباطن . ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى الى ناموس الخطية الكائن فى اعضائى . ويحى انا الانسان الشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت » (رو ٧ : ١٩ ــ ٢٤) .

والأمر يحتاج الى الجمة قوية تلجم هذا الجسد ، ووسائل مختلفة لقمعه . **ولا جدال فى ان أعظم هذه الألجمة نفعا للنفس هو الصوم** . لقد اختبر آباؤنا القديسون هذا الأمر ، ومازالت اقوالهم حية تحمل لنا هذه الاختبارات . **قال مار اسحق « كل جهاد ضد الخطية وشهواتها يجب ان يبتدىء بالصوم ، خصوصا اذا كان الجهاد بسبب خطية داخلية » . وقال القديس ايرونيموس فى حديث له عن العفة** « ليس لأن الله الرب وخالق الكون يجد منفعة فى قعقعة امعائنا وخلو معدتنا والتهاب رئتينا ، **ولكن لأن هذه هى الوسيلة لحفظ العفة » !! والقديس العظيم يوحنا الاسيوطى يقول « الصوم بالنسبة للشهوات كالماء بالنسبة للنار »** ... قال احد الاباء « تأكد تماما ان العدو يهاجم القلب عن طريق امتلاء البطن » .

(٣) الصوم هو بدء طريق الروح :

الانسان مكون من روح وجسد . **وبقدر ما يغلب احدهما على الآخر**

بقدر ما يصبح روحانيا أو جسديا ... فاذا أراد أن يكون روحانيا عليه أن يقمع جسده ويذلله لكى يمهد الطريق للروح أن تنطلق وأن تسود على الجسد . ومخلصنا يسوع المسيح أعطانا هذا المثال ، فبعد اعتماده فى الأردن صام ، حتى أن كل الذين يريدون أن يسلكوا فى جدة الروح والحياة (رو ٦ : ٤) ، عليهم أن يبدأوا طريق الروح والحياة الجديدة بالصوم . ما أجمل ما قاله متى البشير بعد أن تحدث عن عماد الرب « ثم اصعد يسوع الى البرية **من الروح »** (مت ٤ : ١١) ، **وهناك فى البرية صام . ويؤكد مار اسحق هذا المعنى فيقول « مخلصنا الصالح حينما أظهر نفسه للعالم عند الأردن ابتدأ من هذه النقطة . فحينما اعتمد قادة الروح الى البرية مباشرة وصام أربعين يوما وأربعين ليلة . وكل الذين يريدون أن يتبعوا خطواته عليهم أن يضعوا أساس جهادهم على مثال عمله » .**

وينكر يوحنا كسيان اختبارا رائعا عن ذلك فيقول « لا نستطيع أن ندخل فى معركة مع انساننا الباطن ما لم نتحرر من رذيلة الشراهة (النهم أو البطنة) . يجب أولا أن نثبت أننا قد تحررنا من الانقياد للجسد « لأن ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد أيضا » (٢ بط ٢ : ١٩) ، « كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية » (يو ٨ : ٣٤) ... من المستحيل على المعدة الممتلئة (بالطعام) أن تدخل فى محاولة للنضال مع الانسان الداخلى ، ومن يغلب فى مناوشة تافهة ، لايستأهل للدخول فى جولات أعنف (روحيا) . اتريد ان تسمع عن مصارع مسيحى مجاهد (بولس الرسول) وفق قوانين المعركة ؟ قال « اذن انا اركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين . هكذا اضارب كأنى لا أضرب الهواء . بل أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا اصير أنا نفسى مرفوضا » (١ كو ٩ : ٢٦ ، ٢٧) . أرأيت كيف جعل الجزء الأساسى من جهاده يتجه الى ذاته ــ اى الى جسده ، كما على أساس مكين ، وجعل نتيجة المعركة بكل بساطة فى قمع اللحم واخضاع الجسد ؟! **ان خشيتنا ليست من عدو خارجى ، بل ان عدونا هو فى داخلنا . ونحن نخاطر كل يوم فى حرب داخلية . واذا انتصرنا فى هذه ، ستضعف امامنا كل الأشياء الخارجية ... سوف لا يكون هناك عدو خارجى نهابه ، اذا ماقهرنا الداخل واخضعناه لسلطان الروح » .**

(٤) الصوم ممهد للفضائل والمواهب :

واذا كنا نقول ان الصوم هو بدء طريق الروح ، فهو بلا شك ممهد الفضيلة . **انه يفتح الباب أمام الفضائل لتدخل الى النفس وتزينها . يقول القديس مارفيلوكسينوس « بمقدار مايتلطف الجسد بالنسك يكون له الشركة مع روحانيته . وحسبما يثقل بالمآكل يجذب النفس الى ثقله ويربط اجنحة افكارها .** اما ان نقص ثقله فانه يخضع لارادة النفس بسهولة ، وتجذبه

النفس الى جميع ماتختاره » . وقال أيضا « حينما يبدأ الانسان يعمل فلاحة البر بذاته ، **فاول عمل يعمله هو أن يصوم ،لأنه بدون النسك جميع فضائل فلاحة الذات مرتخية . فالصلاة لاتكون نقية ... والأفكار لاتكون متنقية ، والذهن لايصفو والانسان الخفى لايتجدد »** .

قديما كانت الكتب المقدسة تكتب على الرقوق ، وهى جلود الحيوانات لكنبعد تجريدها مناللحم وتجفيفهاوصقلها ... لابد وأنتجتاز جلودالحيوانات هذه المراحل والا فلا يسهل الكتابةعليها .هكذا النفس ، ان لمتكن قدتخلصت من العواطف اللحمية وصقلت بالصوم والنسك لاتكون مستعدة لأن يكتب الله عليها كلماتهويطبع حكمته السماوية ومواهبهالالهية ... قالاشعياءالنبى « لمن يعلم معرفة ، لمن يفهم تعليما . اللمفطومين عن اللبن ، للمفصولين عن الثدى » (اش ٢٨ : ٩) . فمن هم المفطومون عناللبن ، المفصولون عنالثدى، الا الذين زهدوا محبة العالم ، وتركوا تنعم الجسد ، مخضعين اياه بالصوم والنسك ؟!

ان ريشة الطائر الملقاة على الأرض ، اذا كانت غير ملتصقة بشىء ترفعها أدنى ريح عن وجه الأرض . وبعكس ذلك اذا كانت مبتلة أو ملتصقة بالقاذورات فان الريح لاتقدر على رفعها .هكذا الانسان المنهمك فى اللذات، المرتبط بقيود وشهوات جسدية ، لايستطيع أن يرتفع بروحه وافكاره الى السمائيات بفعل تعزيات النعمة التى تفتقده من حين الى حين . **منأجل هذا حذرنا ربنا يسوع قائلا « فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة »** (لو ٢١ : ٣٤) .

نفس هذا الأمر نلاحظه اذا ألقينا عودا أخضر فى النار . ان النار لاتشتعل فيه للوقت بمجرد القائه . لكن الأمر يتطلب بعض الوقت حتى تنتزع النار رطوبته ، فيتصاعد منه دخان كثير . وبعد ذلك تبدأ النار تشتعل فيه . لكن لو كان هذا العود جافا ، لاشتعلت فيه النار حال القائه ... وهذا هو عين مايحدث مع الانسان . فقد يكون مواظبا على كثير من الوسائط الروحية ومع ذلك يشكو من حالة جفاف روحى ويفتقد تعزيات الله فلا يجدها . **ان نار الحب الالهى لاتستطيع أن تضرب قلبه مالم يتخلص أولا من ميول الجسد وطراوته بالصوم وأعمال النسك الأخرى .**

(٥) الصوم مهذب للجسد ومدرب للحواس :

قال داود النبى « أذللت بالصوم نفسى » (مز ٣٥ : ١٣) ... أما القديس بولس فيستعمل تعبيرا آخر اكثر دلالة على عمل الصوم وفاعليته ، يقول « أقمع جسدى واستعبده» (١كو ٩ : ٢٧) . ولفظ «قمع» يستخدم عادةفىحالة الثورات . **فيقال مثلا** « أقمعت الدولة الثورة » ... والجسد فيه ثورة فعلا، وفيه تمرد نقوم به بعض الأعضاء المشاغبة، ماذا تفعل الدولة لقمع اى ثورة؟

اول شيء تفعله هو أن تضع يدها على عناصر الشغب وتزج بهم فى السجون. وهذا ما نفعله فى الصوم . اننا نضيق على أجسادنا وحواسنا بأن نمنع عنها اشياء محببة اليها . **وعلى هذا ، فالصوم يعتبر فرصة طيبة لتهذيب الجسد عن طريق تدريب حواسه الثائرة بالتداريب الروحية وأنواع النسك .**

ولعلنا نستطيع أن نفهم ذلك مما نشاهده أو نسمع به ابان الحروب . فان استطاعت احدى الدول المتحاربة أن تضرب حول اقليم معين حصارا شديدا محكما بحيث تمنع عنه المؤن الغذائية ، فان مصير هذا الاقليم هو التسليم لامحالة ... هكذا الجسد أيضا ، فانه بالتضييق عليه ومنع الطعام والشراب عنه — بتعقل وحكمة — بواسطة الصوم ، لايلبث أن يخضع لنا ويستسلم طائعا.

وبالجملة فان الصوم — الى جانب تهذيبه للجسد وتدريبه للحواس — فانه يوصل الى نقاوة النفس . قال يوحنا كسيان « لقد جرب آباؤنا الصوم كل يوم فوجدوه نافعا وموافقا لنقاوة النفس ، ونهونا عن امتلاء البطن من اى طعام كان ، حتى من الخبز البسيط أو من الماء ايضا » .

(٦) الصوم خير مقو للارادة :

سبب سقوط الانسان فى الخطية هو ضعف ارادته ازاء الاغراءات الخارجية المختلفة ... أحيانا يسقط نتيجة انخداعه بهذه الاغراءات ، وأحيانا اخرى يسقط وهو يعلم مقدما انه يستسلم للخطية والاثم ، لكنه لايملك القدرة على مقاومة الاغراء ... ان ارادته تضعف ، بل تنهار أمام الشهوة . وهنا تبرز لنا أهمية الارادة فى حفظ الانسان بلا دنس ...

ويأتى الصوم — خاصة الانقطاعى — فى مقدمة الوسائل الفعالة لتقوية الارادة البشرية . فالانسان يصوم صوما انقطاعيا بارادته . الفرصة متاحة امامه أن يأكل ويشرب ، وأن يتناول مالذ وطاب من المآكل والمشارب ، لكنه يضبط نفسه ويقمع جسده ، ولا يخضع لشهوة بطنه ... أليس هذا تدريبا للارادة ؟! ان الانسان — بالصوم — يقاوم شهوة الطعام ، وهذا يقوده بالتدريج وبالضرورة الى مقاومة الشهوة فى كافة صورها ... وهكذا نرى أن الصوم يعتبر تدريبا هاما من تداريب تقوية الارادة ...

كيف أصوم ؟

(١) ضبط شهوات النفس :

تقوم فكرة الصوم على انه فى ذاته وسيلة وليس غاية . هو وسيلة لاخضاع الجسد وقهر ميوله المنحرفة وتدريب حواسه ... وبعبارة اخرى

هو الصوم عن الشر وضبط شهوات النفس ، حتى أن احدى تعبيرات الصوم باللغة القبطية معناها « يربط الداخل » . ويقصد بالداخل هنا شهوات النفس ... وفي ذلك يقول يوحنا كسيان « يلزم أن نعطى عناية كافية للصوم كوسيلة نصل بها الى نقاوة القلب وليس كغاية » .

هذا هو الفهم الأصيل للصوم ، وهو واضح في كتابات الآباء . **يقول القديس فيلو كسينوس « كل شيء يوضع على المائدة وترى أن عينك تشتهيه لاتأكله . فاذا عودت بطنك على هذا ، فانها لاتطلب منك الا احتياجها فقط »** . وقال أيضا « **الأوفق لك ان تاكل اللحم بلا شهوة من ان تأكل عدسا بشهوة . اننا لانلام على الأطعمة ، ولكن اذا أكل الانسان بشهوة ، فسواء اكل لحما او بقلا بشهوة فهو يلام ، لأن الشهوة هي التي اكلت كليهما »** .

أما يوحنا كسيان فيدون لنا كلاما رائعا سواء من اختباراته أو مما سمعه من الآباء القديسين المصريين الذين قضى بينهم زهاء عشر سنوات ، قال « **ليتنا لانثق أن الصوم الخارجي عن اطعمة منظورة يكفي وحده لنقاوة القلب وطهارة الجسد مالم يصاحبه صوم النفس**. فالنفس هي الأخرى لها أطعمتها الضارة ، التي اذا اعتادت عليها ، تهوى الى هاوية الفجور . النميمة احد أطعمتها المفضلة جدا ، وحدة الغضب والغيرة والحسد والبغضة ... هذه كلها اطعمة الشقاوة التي تورد النفس الى الهلاك . كذلك كل شهوة وطياشة منحرفة للقلب تعتبر طعاما للنفس يغذيها كما من لحم فاسد ، ثم تتركها بعد ذلك بلا نصيب في الخبز السمائي. فاذا نحن ــ بكل قوتنا ــ امتنعنا عن هذه الأطعمة الضارة المحببة للنفس ، بصوم مقدس ، فان صومنا الجسدي سيكون نافعا ومثمرا . فان تعب الجسد اذا اقترن بانسحاق الروح يقدمان ذبيحة مقبولة جدا لدى الرب ، وينشآن خزانة للقداسة لها قيمتها في عمق اعماق مخادع القلب النقية الداخلية . **أما اذا كنا نصوم بالنسبة للجسد فحسب ، ونحن مقيدون بخطايا ورذائل نفسية معينة ، فلن يفيدنا اخضاعنا للجسد شيئا ، طالما أن اثمن اجزائنا متدنس** . لذا يلزمنا كلما صام الانسان الخارجي أن نضبط الانسان الباطن من الأطعمة الضارة به . ذلك الانسان الباطن الذى يحثنا الرسول الطوباوي أن نقدمه ــ قبل كل شيء ــ طاهرا أمام الرب حتى ما يستأهل لاستقبال المسيح في داخله قائلا « في الانسان الباطن ليحل المسيح بالايمان في قلوبكم (أف ٣ : ١٦ ، ١٧) » .

ان اسهل أنواع الصوم هو صومنا عن غذاء الجسد . وان كانت لهذا فوائده العديدة ، الا انه وسيلة للتمرن على أنواع الصوم الأخرى . ما أسهل أن يمنع الانسان ذاته عن أصناف من الطعام الجسداني ؛ وما أصعب جدا

أن يمنع فكره عن الأغذية الكثيرة التى يأكل منها . ذلك الفكر الطواف الذى يمر على مئات أو آلاف الموائد كل يوم ينتقل من واحـدة الى اخرى بغير ضابط ، بغير صوم !! سهل هو أن تقدم لبطنك صنفا واحدا من الطعام ، تأخذه فى قنـاعة وتكتفى به . ولـكن ما أصعب أن تقـدم لفـكرك هذيذا واحدا يتغذى به ... **سعيد هو الانسان الذى يصل الى « صوم النفس » و « صوم الفكر » وليـأكل بعد ذلك مايشاء . هذا الانسـان سـيتغذى ولا شك بطعام روحانى ، بكل كلمة تخرج من فم الله « طعامى أن أفعل مشيئة أبى »** ...

(٢) التــذلل :

قلنا ان الغرض من الصوم هو ضبط شهوات النفس وتهذيبها ، ولذا فهو **يقترن دائما بالتوبة والندم والحزن والتذلل** . قال داود النبى والملك « أما أنا ففى مرضهم كان لباسى مسحا . **أذللت بالصوم نفسى** » (مز ٣٥ : ١٣) .
وقال القديس ايرونيموس « داود بعد أن أصبح ابنه فى خطر ــ بعد خطية زناه ــ تاب جالسا فى الرماد صائما . وقال لنا انه أكل الرماد مثل الخبز ، ومزج شرابه بالدموع (مز ١٠٢ : ٩) ، وان ركبتيه ارتعشتا من الصوم (مز ١٠٩ : ٢٤)، على الرغم من أنه كان قد سمع من ناثان النبى كلماته : الرب قد نقل عنك خطيتك (٢ صم ١٢ : ١٣) » .

وقد أوضح الرب ذلك فى كلامه الى أشعياء النبى «**يقولون لماذا صمنا ولم تنظر . ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ . ها أنكم فى يوم صـومكم توجدون مسرة ، أشغالكم تسخرون . ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة وبكل الشر** . لستم تصومون كما اليوم لتسميع صوتكم فى العلاء . **أمثل هذا يكون صوم أختاره . يوما يذلل الانسان فيه نفسه ، يحنى كالأسلة رأسه ، ويفرش تحته مسحا ورمادا . هل تسمى هذا صوما ويوما مقبولا للرب »** (أش ٥٨ : ٣ ــ ٥) .

هكذا فهم رجال الله الصـوم بمعناه الأصـيل ، وعرفوا كيف يفوزون برحمة الرب . **فأهل مدينة نينوى** حينما تحركت قلوبهم للتوبة بمناداة يونان « نادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم الى صـغيرهم . وبلغ الأمر ملك نينوى فقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد... » (يونان ٣ : ٥ ــ ٨) .

والله نفسه يسر بمثل هذا التذلل الصادر عن نفس تائبة منسحقة . وهذا ما نلاحظه فى **آخاب الملك الشرير** ، فحالما أخبره ايليا بما سيحل به وببيته من مصائب « شق ثيابه وجعل مسحا على جسده وصام واضطجع بالمسح

ومشى بسكوت » . حتى أن الرب قال لايليا « هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامى . فمن أجل أنه قد اتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه بل فى أيام ابنه ... » (١ مل ٢١ : ٢٧ ـ ٢٩) .

من أجل هذا نجد أن الصوم ، فضلا عن ممارسته فى الأوقات التى رسمتها الكنيسة بارشاد روح الله ، فانه يباشر فى أوقات الضيقات والأزمات والمصائب (أنظر ٢صم ١ : ١٢ ، دا ٦ : ١٨ ، ٢صم ١٢ : ١٦ ، اس ٤ : ١٦ ...) .

(٣) الصوم وفترة الانقطاع :

يجب أن يكون الصوم انقطاعيا ، ولايوجد صوم بدون فترة انقطاع . وجميع الأصوام يجب ممارستها بالانقطاع عن الطعام فترة معينة ، بعدها نتناول أطعمة خالية من الدسم الحيوانى . وفترة الانقطاع هى المحور الذى يرتكز عليه الصوم سواء فى معناه أو غرضه أو تدريبه أو نتائجه . ولا يمكننا أن نعتبر صوما بدون فترة انقطاع . والمسيحى الذى يفطر فى مواعيد افطاره العادية كل يوم ، وانما على أطعمة خالية من الدسم الحيوانى (صيامى) ، قد يظن أنه صائم ، ولكنه فى الحقيقة قد كسر ركنا من أركان الصوم وهو « **الانقطاع** » .

فليس الصوم مجرد حرمان من أطعمة معينة وانما فيه عنصر الجوع . فرب المجد عندما صام ، يقول عنه الانجيل انه **(جاع أخيرا)** (مت ٤ : ٢) . وسفر أعمال الرسل يذكر عن **بطرس الرسول أنه** « **... جاع كثيرا واشتهى أن يأكل** » (أع ١٠ : ١٠) ... **وحتى فى العهد القديم** نجد فترة الانقطاع فى الصوم ظاهرة بوضوح . **فموسى النبى** عندما صام « لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء » (خر ٣٤ : ٢٨) .

وفى سفر القضاة نجد الانقطاع حتى المساء ، اذ يقول الكتاب عن بنى اسرائيل انهم « جاءوا الى بيت ايل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب ، وصاموا ذلك اليوم الى المساء » (قض ٢٠ : ٢٦) ... وعندما وصف الله **لحزقيال النبى** كيف يصوم قال له « ... وطعامك الذى تأكله يكون بالوزن ... **من وقت الى وقت تأكله** ... وتشرب الماء بالكيل ... **من وقت الى وقت تشربه** » (حز ٤ : ١٠ ، ١١) . **وفى صوم نينوى نجد أن الناس لم يذوقوا شيئا** (يون ٣ : ٧) .

(٤) الاعتدال فى الصوم :

تحدثنا فى النقطة السابقة عن فترة الانقطاع فى الصوم . ونود ان نقول هنا ان هذا الكلام ليس ملزما للجميع . فالصوم فى المسيحية ـ شأنه شأن الممارسات الروحية الأخرى ـ ليس فرضا ، لكننا نمارسه عن شعور

باحتياج . والأمر ليس متروكا للمؤمن وحده . **فلا يجوز له أن يحدد لنفسه فترة الصوم الانقطاعى . بل تتحدد بالاتفاق مع الأب الروحى . ونحن ننبه مشددين الى أنه لايجوز اطلاقا أن يسلك انسان فى تدريب الصوم الا باذن ومشورة أبيه الروحى .** فتدريب الصوم يعتبر من أخطر التداريب التى يمكن أن تؤدى الى أوخم العواقب . **وللآباء القديسين وصية مشهورة فى ذلك يقولون فيها « لاتضعف جسدك بزيادة لئلا تضحك عليك أعداؤك » . . .**

وبالجملة فان جميع القديسين أوصوا بالاعتدال فى الصوم . يقول القديس ايرونيموس فى رسالة له الى ديمترياس العذراء « ومهما يكن من أمر فانى لا أضع عليك كفرض (كنوع من الالزام) أى أصوام أشد صرامة وامتناع غير مألوف عن الطعام . فان مثل هذه الممارسات سرعان ماتضعف بنية الجسم الضعيفة وتسبب أمراضا جسمية ، قبل أن تضع (هذه الممارسات) أساسا لحياة مقدسة. ومما يؤثر عن الفلاسفة ان الفضائل وسائط وأن كل تطرف هو من طبيعة الرذيلة ... عليك الا تواصلى الصوم الى أن يبدأ قلبك يشعر بالخفقان ، ويسقط تنفسك ، وتشعرى بالحاجة الى أحد يساعدك أو آخرين يحملونك . لا ، فبينما تكبحين رغبات الجسد ، عليك أن تحتفظى بقدر كاف من القوة البدنية لقراءة الأسفار المقدسة ، لترتيل المزامير والأسهار . **فليس الصوم فى ذاته فضيلة كاملة ، لكنه أساس يمكن أن تبنى عليه فضائل أخرى ...** انه خطوة للطريق العالى ... » ويقول مار اسحق « احذر لئلا تضعف جسدك بالتمادى فى الصوم ، فيقوى عليك التراخى وتبرد نفسك . زن حياتك فى كفة ميزان المعرفة » .

ليست كثرة المآكل وحدها هى التى تحرك شهوات الجسد ،وتجعل العقل غير قادر على ضبط الأفكار ، بل أيضا السلوك فى تدريب الصوم بعنف وبدون تعقل أو افراز (تمييز) ، فضلا عن اضعاف الجسد وتحطيمه ، يمكن أن يؤدى الى نفس النتيجة من جهة عجز العقل عن ضبط الأفكار . يقول يوحنا كسيان « فى حالة الصوم لايمكن تطبيق قاعدة واحدة فى يسر . فليس للجميع قوة بدنية متساوية . وليس الصوم كباقى الفضائل التى تقتنى بضبط العقل وحده . وعلى هذا ، فلكونه لايتوقف على ضبط العقل فحسب ، **وجب أن يتمشى مع امكانيات الجسم ... يوجد اختلاف فى المدة ، والكيفية ، ونوع الطعام ، والسن ،والجنس تبعا لاختلاف حالة الجسم .** ومع هذا فيجب أن يجمع هؤلاء جميعا غرض واحد هو الزهد وقمع الجسد بالقياس الى القامة الروحية وقدرة العقل على ضبط الشهوات » .

واذا كنا نتحدث عن الاعتدال فى الصوم بالنسبة للقادرين ، فكم ينبغى أن يراعى ذلك **بالنسبة للمرضى أو من تحكمهم ظروف خاصة**

كالعجائز والمرضعات والحوامل ... يجب ان يكون واضحا ومفهوما ان الصوم ليس هدفا فى ذاته كما سبق القول . ان هؤلاء يستطيعون أن يصلوا — بضعف جسدهم — الى فضيلة مساوية لأولئك الذين يصومون بنسك شديد . يقول يوحنا كسيان « ضعف الجسد لا يعوق نقاوة القلب ، بشرط أن الطعام الكثير الذى يتناول يتطلبه ضعف الجسد ، ولا يكون للتنعم » .

لقد رتبت الكنيسة فترات الصوم الانقطاعى ، لكن للكنيسة ايضا سلطان الحل الذى أعطى للآباء الكهنة من السيد المسيح ، ليحلوا انسانا من صوم معين أو يرتبوا صومه بطريقة معينة حسب قامته الروحية وقدرته الجسمية .

(٥) الصوم ونوع الطعام :

هناك صلة وثيقة بين طباع الانسان وصفاته ، ونوع الطعام الذى يتناوله . وهذا ماحدا بفيلسوف ألمانى الى أن يعرف الانسان بقوله **«الانسان هو ما يأكل»** . أى أننا نستطيع أن نعرف الانسان وطباعه وميوله من طعامه ... هذا ماحدا بالكنيسة الى تعليم أبنائها بضرورة تغيير نوع الطعام فى مدة الصوم .

فالى جانب فترة الانقطاع التى ينبغى على الصائم أن يمتنع فيها عن الطعام والشراب كلية ، فانه **يجب عليه أن يمتنع فى مدة الصوم عن أنواع خاصة من الأطعمة ، هى الأطعمة الحيوانية التى تتوالد بالشهوة ، وكل ماينتج عنها . والكنيسة الى جانب التقليد الرسولى الذى تسلمته فانها تستند فى ذلك الى قول الرب لحزقيال النبى « وخذ أنت لنفسك قمحا وشعيرا وفولا وعدسا ودخنا وكرسنة** وضعها فى وعاء واحد ، واصنعها لنفسك خبزا كعدد الأيام التى تتكىء فيها على جنبك » (حز ٤ : ٩) **يقول القديس ايرونيموس** فى رسالة الى عذراء تدعى يوستوخيوم « فى هرب ايليا من ايزابل ، عندما كان راقدا متعبا ووحيدا تحت شجرة بلوط ، أتى ملاك فأيقظه وقال له قم وكل . فنظر واذا عند رأسه كعكة وكوز ماء . ألم يستطع الله أن يرسل له خمرا طيبا وأطعمة مطهية بالزيت ولحوما مشوية ان كان اراد ؟ ... ودانيال أيضا كان يمكن أن تكون له أطعمة شهية مقدمة اليه من مائدة الملك ... من اجل هذا دعى « رجل الرغبات » لأنه رفض أن يأكل خبز الرغبة او يشرب خمر الشهوة » .

ان تغيير نوع الطعام فى مدة الصوم يعتبر أمراجوهريا ، يساعد على تهذيب النفس والحد من توقد شهواتها . ولا يمكن أن نصوم صوما انقطاعيا وبعد ذلك نتناول مالذ وطاب من الأطعمة . ان ذلك يجعل الانسان أكثر شراهة للطعام ، ويصبح فى هذه الحالة أشبه بالأسود التى كانوا يعمدون الى تجويعها

فترة ، حتى تكون أكثر شراهة وافتراسا حينما يلتون اليها انســانا مطلوب اعدامه ، على نحو ماكانوا يعملون فى العصور الأولى . على هذا الأساس يمتنع الصائم عن تناول الأطعمة الحيوانية التى تتوالد بطريق الشـــهوة . **أما السمك الذى يسمح بأكله فى بعض الأصـــوام فهو من الحيوانات التى تتكاثر بدون شهوة ، اذ أن عملية الاخصاب تتم خارج جسم الأنثى .**

(٦) الصـــوم ليس مضعفا للجسد :

لابد لنا ونحن نعالج هذه النقطة فى موضوع الصوم ، أن نتحدث أيضـــا عن أمر كثيرا مايشغل أذهان بعض المسيحيين ، وهو أن الأطعمة الصيامية تضعف الانسان جسميا ،وتجعله يجوع بسرعة نتيجة ضعف قيمتها الغذائية... **والحق أننا نجوع بسرعة لأننا جسدانيون . حواسنا مركزه فى أجســادنا . اذا مافرغت بطوننا نحس بفراغها بسرعة، لأنه ليس لنا مايشغلنا عنها .أما الانسان المشغول بالالهيات ، فانه لايحس بجوع الجسد سريعا ، لأن الجسد ليس هو موضع انتباهه واهتمامه . عندما تكون النفس شبعانة ،تستطيع أن تحمل الجسد معها** . ما أكثر ماننسى طعامنا عندما نكون مشغولين بموضوع مهم مركزة فيه عواطفنا واهتماماتنا ،دون أن نقصد صوما ... **«باسمك ارفع يدى فتشبع نفسى كما من شحم ودسم »** . وليس الفرح بالله هو وحده الذى يشبع النفس ، ويلهى الجسد عن الطعام ، وانما الحزن ايضا على خطايا أو ماشابه ذلك ...**«ملفوح كالعشب ويابس قلبى ،حتى سهوت عن أكل خبزى»** (مز ١٠٢ : ٤) .

النفس عندما تكون شبعانة بالله ترتفع عن الطعام . لماذا ؟ آنها غير متفرغة لأعمال الجسد . ولأن الجسد كذلك غير متفرغ هو أيضا للطعام ، لأن الروح جذبته الى العمل معها . ولأن الجســـد يتهذب بالعمل الروحانى ويقتنى نوعا من الاستحياء ، فيخزى من شهواته ،وهكذا تبطل ــ الى حين ــ شهوة البطن عنده .وايضا لأنه يشبع من طعام الروح كأنه «جسد روحانى» فى تلك الفترة بالذات . قال سليمان الحكيم « النفس الشبعانة تدوس العسل وللنفس الجـــائعة كل مر حلو » (أم ٢٧ : ٧) . لاحظ أنه قـــال « النفس الشبعانة » ولم يقل الجسد ...

اذن فشبع النفس يشبع الجسد معها ،ويأتى به الى نوع من الصوم الطبيعى الذى لاتغصب فيه ولا قسر ولا احساس بجوع . هو صـــوم عن الطعـــام الجسدانى ، وليس صوما بالمعنى المطلق . لأن فيه النفس تتغذى ، والجسد يتغذى معها بغذائها . أليس هذا عجبا أن يتغذى الجسد الهيولى بأشياء غير هيولية ؟! ومع ذلك فهذه حقيقة يؤيدها الواقع ، ويؤيدها الكتاب المقدس أيضا . ألم يقل الحكيم « الخبر الطيب يسمن العظام » (أم ١٥ : ٣٠) ؟!

مسكين اذن هو الانسان الذى يصوم جسده ، وفى نفس الوقت لايقدم للنفس غذاءها الالهى الذى يشاطرها الجسد اياه : هذا ينهكه الصوم ويهده . انظر الى يوئيل يقول فى حكمة « **قدسوا صوما ، نادوا باعتكاف** » (يؤ ٢ : ١٥) ، ومفروض أن الاعتكاف فرصة للصلاة ... الاثنان يتمشيان معا ـــ الصوم والاعتكاف ـــ ويحملان بعضهما البعض فى طريق الملكوت . ومن أجل هذا تكرر الكنيسة فى صوم الأربعين المقدسة فى ألحانها وفى قسمة القداس عبارة « الصوم والصلاة » .

عيبنا فى تقليدنا للقديسين أننا لا نأخذ الحق الذى عاشوا فيه كاملا ، وانما نأخذ جزء منه ونترك الباقى . وانصاف الحقائق ليست كلها حقائق . **انظر الى قديس كالأنبا بولا** . كيف كان يتغذى بنصف خبزة فى اليوم ويستمر هكذا عشرات السنوات . ومع ذلك لايقبض فى نصف أيامه ، وانما يرقد فى الرب وهو شيخ شبعان أياما !

والقديسون الذين كانوا يطوون الأيام صوما ، كيف كانوا يحتملون ذلك ؟ وكيف كانوا يجمعون بين الصوم والمطانيات (السجدات) العديدة جدا ؟! **الحق أنهم كانوا مسنودين من الناحية الأخرى** . حقيقى أن النعمة كانت تعينهم ، ولكن هل كانت النعمة تسير جميع القديسين بالمعجزات ؟ كلا . وانما نقول ان نعمة الله وضعت معونة دائمة تكاد تكون معونة طبيعية وفى نفس الوقت معجزية !! وهى أن الجسد فى عمله الروحى يقتات هو أيضا من طعام الروح . وتستطيع الروح أن تحمله وترفعه معها وتعطيه قوة أخرى بدلا من قوة الطعام ... هذا هو عين ماحدث مع دانيال والفتية الثلاثة حننيا وعزريا وميشائيل . فعلى الرغم من امتناعهم عن التنجس بأطايب الملك وخمر مشروبه واصرارهم على أكل القطانى (البقول) ، ففى نهاية المدة ـــ « ظهرت مناظرهم أحسن وأسمن لحما من كل الفتيان الآكلين من أطايب الملك » (دا ١ : ٨ ـــ ١٥) ... اذن فالأمر يحتاج الى ايمان فى صدق مواعيد الله ، وعمل روحانى يسندنا فى جهادنا الجسدى .

(٧) الصوم والتداريب الروحية :

كون القديسون حياتهم الروحية عن طريق التداريب « لذلك انا أيضا أدرب نفسى ليكون لى دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس» (أع ٢٤ : ١٦). **ويعتبر الصوم خير ممهد ومساعد للسلوك فى التداريب الروحية واتمامها بنجاح** . فالهدف من التداريب الروحية هو تعويد النفس على فضائل معينة. لكن اذا كان الجسد مشاغبا ، فمن الصعب النجاح فى أمثال هذه التداريب. ومن هنا كان الصوم ـــ الذى يقمع الجسد ويذلله **ويستعبده ويقلل من توقد**

حركاته ــ تدريبا هاما ، بل وممهدا للنجاح فى التــداريب الأخرى . **ويعتبر تدريب الصمت من خير التداريب التى يمكن أن يدرب الانســان نفسه عليها فى فترة الصـــوم . . .**

(٨) تلازم الصـــوم والصلاة :

قال رب المجد « هذا الجنس (الشـــيطان) لايمكن أن يخــرج بشىء الا بالصلاة والصوم » (مر ٩ : ٢٩) . **وفى هـــذا القول مايفيد وجوب تلازم الصوم والصلاة** . ونحن نلاحظ هذه الظاهرة واضحة فى أكثر من موضع فى الكتاب المقدس . قال كاتب سفر أعمـــال الرسل «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون ، قال الروح القـــدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمـــل الذى دعوتهما اليه . **فصاموا حينئذ وصلوا** ووضعوا عليهم الأيادى ثم أطلقوهما» (أع ١٣ : ٢ ، ٣). . . «وانتخبا (بولس وبرنابا) لهم قسوسا فى كل كنيسة ثم **صليا بأصوام** واستودعاهم للرب الذى كانوا قد آمنوا به» (أع ١٤ : ٢٣) . وقال القديس بولس موجهـــا كلامه للمتزوجين من الرجـــال والنســـــاء « لايسلب أحدكم الآخر الى أن يكون على موافقة الى حين ، لكى تتفرغوا **للصوم والصلاة . . .** » (١ كو ٧ : ٥) .

لقد شبه الآباء القديسون الصوم بحصن والصلاة بســـلاح يحارب به الانسان من داخل الحصن . قال القديس اغسطينوس «كما أن الهيكل الذى بناه سليمان أقام فيه مذبحين ، أحـــدهما من خارج حيث كانت تقدم عليــه ذبائح المحرقة ، والآخر من داخل حيث القدس ، وهو مذبح البخور ، هكذا يلزم الانسان الذى هو هيكل للروح القدس ، أن يكون فيه مذبحان . الواحد داخلى وهو القلب حيث يقدم عليه بخور الصلاة وعطرها كقوله تعـــالى اذا صليت فادخل مخدعك اى قلبك ، والمذبح الآخر خارجى حيث يقـــدم عليــه الجسد كذبيحة بواسطة الصوم وصنوف التقشف والنســـك » . وفى نفس هذا المعنى يقول الرسول الى أهل رومية « فأطلب اليكم أيها الاخـــوة برأفة الله **أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة** مرضية عند الله . . . »(رو١٢ : ١) .

قال صاحب نشيد الأناشيد « من هذه الطالعة من البرية ،كأعمدة من دخان ، معطرة بالمر واللبان . . . » (نش ٣ : ٦) . ان هذه الطالعـــة من البرية هى النفس التى خرجت من برية هـــــذا العالم منتصرة مظفرة بنعمة الفادى الذى أحبته . انها نفس معطرة بالمر اشـــارة الى الصوم ، واللبان اشارة الى الصلاة . . . لكن هل المر عطر ، حتى أن الـــروح قال عن تلك النفس انها معطرة بالمر ؟! نعم ان الصوم والنسك عطـــــر جميل يزيل عن النفس نتن الخطية ، ويكسبها رائحة المسيح الذكية . ان الصوم والصلاة فى حياتنا الروحية صنوان لا يفترقان . فاذا شبهنا الصوم بجمر النار ، فالصلاة

هى اللبان (البخور) . وكلاهما يكمل عمل الآخر ، وينتج عن اتحادهما عبيق رائحه بخور طيبة ، يفوح ويعطر النفس . . .

(٩) الصوم والصدقة :

أوضح رب المجد فى عظته على الجبل ، أركان العبادة المسيحية الثلاثة : الصلاة والصوم والصدقة . **وكما يقترن الصوم بالصلاة ، كذلك يقترن بالصدقة حتى ما يكون مقبولا** . وقد أوضح ذلك الرب نفسه فى حديثه الى اشعياء النبى عن الصوم المقبول بقوله « **أليس هذا صوما اختاره** . . . أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين الى بيتك . اذا رأيت عريانا أن تكسوه ، وأن تتغاضى عن لحمك » (اش ٥٨ : ٦، ٧) . . . وحينما تكلم الرب عن خطية سدوم ، ذكر الى جانب الشبع من الخبز (اهمال الصوم ، أنها « لم تشدد يد الفقير والمسكين » (حز ١٦ : ٤٩) . وقد أفردنا للصدقة موضوعا خاصا فى هذا الكتاب تحت اسم (العطاء) . . .

(١٠) الصوم والمعاشرات الزوجية :

ان كان الصوم عاملا هاما لقمع حركات الجسد وكبح جماح شهواته . وبالتالى لاكتساب الطهارة ، فانه من ناحية أخرى **يجب أن يكرم الصوم بالطهارة ــ طهارة الجسد . وفيما يختص بالمعاشرات الزوجية ، فالكنيسة فى مدة الأصوام تعتبرها فطرا ، والفطر يحل الصوم** . واذا كان الصائم يمتنع عن الطعام ، وهو ضرورى لقيام الحياة ، ليحقق لنفسه فوائد الصوم **الروحية ، فبالأولى يمتنع عن هذه المعاشرة ، وهى غير ضرورية لقيام الحياة** اذا قيست بالطعام .

والامتناع عن الاتصالات الجنسية يتمشى مع منطق الصوم ، ويطابق روح الزهد والتذلل اللائق به . ويساير كذلك حالة الصائم النفسية . وليس يفهم من ذلك أن المعاشرة الزوجية فعل نجس ، وانما هى فطر كما قلنا ، شأن الامتناع عنها شأن الامتناع عن الطعام ، لا على أنه نجس بل تعففا وزهدا . . . ويقول الوحى الالهى « **اضربوا بالبوق فى صهيون ، قدسوا صوما ، نادوا باعتكاف . . . ليخرج العريس من مخدعه ، والعروس من حجلتها** » (يؤ ٢ : ١٥ ، ١٦) . وليس خفيا أن الامتناع عن المعاشرات الزوجية فى الأصوام ينبغى أن يكون بموافقة الزوجين لئلا ينحرف أحدهما فيسبب خطية للآخر أو لنفسه . وهكذا نصح الرسول بولس (١ كو ٧ : ٥) .

نصائح وإرشادات

(١) تدريب الصوم تدريب شيق ، لكننا نؤكد عليك أن **تمارســـــه بمشورة أبيك الروحى** لكى يضع لك الحدود من ناحية فترة الانقطاع .

(٢) اعلم جيدا أننا **لا نريد بالصوم ، أن نضعف الجسد بل أن تذلله .** فالجسد وزنة يجب المحافظة عليها . واعلم أيضا أن العقل السليم فى الجسم السليم .

أن الله يدعونا أن نذلل الجســد لا أن نقتله ، ولذلك فالكنيسة تصرح **بعدم الانقطاع فى الصوم بالنسبة للعجائز والرضعان والمرضعات والحبالى والمرأة الناقص والمرضى والضعفاء وصغار السن ، والذين لهم حالات خاصة تمنعهم ، فيأكلون لا ترفها ، ولكن عن ضرورة .**

ان الجسد هو الدابة التى تعبر بك برية هذا العالم ، فلا تجعله دابة جموحة لئلا تتبعك وتطرحك أرضا ، ولا تقس عليه ، وتضعفه بزيـــادة لئــلا تعجز عن أن تكمل معك الطريق « ليـــكن كل شىء بلياقـــة وبحسب ترتيب » (١ كو ١٤ : ٤٠) .

(٣) ماكتب عن الصوم فى هذا الكتاب ، كتب للجميع . لأناس لهم قامات روحية مختلفة ، ولهم ظروف صحية متباينة . **فلا تحاول أن تطبق كل ماقرأته تطبيقيا روحيا دون مراعاة ظروفك الصحية ، وقامتك الروحية والجهد الذى تبذله فى عملك** وتذكر كلمات الرسول « فانى أقول بالنعمة المعطاة لى من هو بينكم لا يرتئى فوق ما ينبغى أن يرتئى . بـــل الى التعقل كمـــا قسم الله لكل واحد مقدار من الايمان » (رو ١٢ : ٣) .

ان الحياة الروحية ليست مجرد محاكاة ، بل الامر يحتاج الى تدرج وتدريب طويل . حســـنا أن تشتاق الى التمثل بالقديسين ، ولكن حســـنا أيضا التعقل فى كل شىء . لاتنظر اليهم فى نهاية حياتهم أو بعد أن يكونوا قد قطعوا شوطا كبيرا فى حياة الجهاد ، بل انظر اليهم فى بداية جهادهم وماثلهم .

(٤) **ان المريض أو ضعيف الجســـد له وضـــع خاص** . فالقديس برصنوفيوس يقول ردا على سؤال لتلميذ مريض من تلاميـــذه كان يتألم من

عدم قدرته على الصوم بحسب مفهومه النسكى **« اعلم أن الصوم قد وضع لاذلال الجسد فاذا كان الجسد مذلولا بمرض وصلنا الى الغاية التى لأجلها نصوم ... »**

(٥) **لكن أياك أن تتماحك أو تتملل بعدم القدرة على الصوم .** ولا تدع جسدك ، وهو قوى ، يخدعك ويتظاهر بالضعف . ولاتمتنع عن الصوم خشية ضعف جسدك ، فالعكس هو الصحيح . فالصوم يكسب الانسان قوة ونشاطا ويمنع أسبابا تقصر العمر ، فمظم النباتيين من المعمرين . والقديس ايرونيموس يرد على من يخشى هزال الجسد بقوله « خير لك أن تمرض معدتك ولا تمرض نفسك ، وأن ترتجف ركبتك ولا تتزعزع عفتك فاقمع جسدك واستعبده لئلا ترذل » . ويقول يوحنا كسيان « انه لأمر عجيب حقا . فبينما نهتم بصحتنا ونكثر من اعتنائنا بأنفسنا ومن تناول الطعام الشهى المفيد للصحة ، ونختار الشراب الصافى ، ونتنزه فى الهواء الطلق ، نجد أنفسنا فى النهاية معرضين للأمراض والأوجاع . مع أن القديسين الذين احتقروا أجسادهم وأماتوها بالعمل والصلاة الدائمة أكثر صحة وسلامة وبينما اجسادنا المعتنى بها تفسد وتنتن وتنبعث منها رائحة كريهة بعد الوفاة . اذ بأجساد هؤلاء القديسين المهملة عندهم والمزدرى بها جدا تبقى عطرة وتفوح منها روائح ذكية حتى بعد الوفاة » .

(٦) **لاتشته أطعمة معينة أثناء الصوم .** فهناك أطعمة كثيرة لذيذة الطعم ، لكن قيمتها الغذائية ضئيلة . وهناك أغذية عادية فى طعمها لكنها مفيدة جدا . لاتسع الى اللذة فى المأكولات ، بل الى ماهو مفيد لبنيان جسدك والمحافظة عليه . كثيرون يستخدمون فى زمن الصوم أطعمة لاتقل فى لذة طعمها ولا فى عددها عن أطعمة الفطر . **يجب أن يكون فى الصوم تقشف ونسك عامل جسدك معاملة الطبيب للمريض . لاتبح له مايؤذيه ولو طلبه بشدة وقدم له ماينفعه ولو لم يرض به ...**

(٧) **أقرن صومك الجسدى عن الأطعمة بصوم آخر ،** وذلك بأن تدرب حواسك لتصوم عن الخطية والشر فى مواقف معينة كالغضب والادانة والشهوة ... الخ .

(٨) **أقرن الصوم بالتامل متذكرا المناسبات التى تقترن بالصوم** فمثلا فى صوم الأربعين المقدسة ، تذكر سيدك فى صومه وهو القدوس البار وفى صوم يوم الأربعاء تذكر تآمر وتشاور رؤساء الكهنة لكى يهلكوه ، وخيانة يهوذا لسيده ، وحاسب ذاتك هل أنت تخونه ، وبكم تسلمه ؟ انك حينما تفعل الخطية تخونه ، أنت الذى تقدست بدمه وقطعت معه العهود فتذكر خياناتك واعدل عنها وفى صوم يوم الجمعة تذكر آلام المخلص ، وتأكد أنها

لأجلك ... تأمل فيما سببته خطيتك لاهلك ومخلصك وفاديك من آلام ، واتركها ، وهكذا ...

(٩) اذا أردت أن يكون صومك مقبولا وفعالا ،يجب عليك أنتقدمه خاليا من كل شر ومن كل رياء . فالكتبة والفريسيون كانوا يصومون ومع ذلك لم يقبل الرب صومهم لريائهم (لو ١٨ : ٩ ١٤) . وقد أوضح الرب أن صوم الأشرار مرفوض لديه « هكذا قال الرب لهذا الشعب . هكذا احبوا ان يجولوا . لم يمنعوا ارجلهم . فالرب لم يقبلهم . الآن يذكر اثمهم ، ويعاقب خطاياهم ... حين يصومون لااسمع صراخهم ، وحين يصعدون محرقة وتقدمة لا اقبلهم ، بل بالسيف والجوع والوباء انا افنيهم » (أر ١٤ : ١٠ — ١٢) **... ان البخور الممتزج بالأقذار تزول رائحته الذكية ، وتمتزج بها رائحه كريهة . هكذا الله لايسر بصوم تتقدمه الخطيئة وترافقه !!**

الأصوام فى الكنيسة القبطية

(١) اقدم وأهم الأصوام فى الكنيسة هى صوم الأربعين المقدسة وأسبوع الآلام والأربعاء والجمعة . وقد وردت فى قوانين الرسل وقوانين القديس باسيليوس الكبير ، وغيرها ... وقد كانت الكنيسة تتشدد كثيرا فى تنفيذ هذه الأصوام حتى أنها كانت تفرض عقوبات على من يفطر فيها بدون عذر تقبله . ونلاحظ أن هذه الأصوام الثلاثة تتعلق بمناسبات تختص بالسيد المسيح ذاته : فصوم الأربعين تذكار للأربعين يوما التى صامها الرب يسوع عنا ، ويوم الاربعاء تذكار للتآمر عليه ، ويوم الجمعة تذكار لصلبه . وأسبوع الآلام (البصخة) تذكار لآلامه ... كما نلاحظ أن الأربعين المقدسة كانت مستقلة عن أسبوع البصخة

(٢) وصوم الرسل هو بلا شك نظير هذه الأصوام فى الأقدمية اذ صامه الرسل أنفسهم . وكان مختلفا عنه فى أيامنا الحالية. فقد ورد فى الدسقولية انهم يعيدون اسبوعا لحلول الروح القدس ثم يصومون بعد ذلك أسبوعا لحلول الروح القدس ثم يصومون بعد ذلك أسبوعا أو اسبوعين ... أما فى أيامنا الحالية فصوم الرسل غير محدد بعدد أيام معينة لأن نهايته ثابتة وهى يوم ٥ أبيب (تذكار استشهاد الرسولين بطرس وبولس)، أما بدايته فهى غير محددة لارتباطها بيوم الخمسين الذى قد يتقدم او يتأخر فى سنة عن أخرى تبعا لموعد عيد القيامة . اما فى ايام الرسل فلم يكن هذا الصوم ينتهى قطعا فى ٥ أبيب لأن الرسولين لم يكونا قد استشهدا بعد .

(٣) باقى اصوام الكنيسة هى:

أ ــ **صوم الميلاد** ومدته ٤٣ يوما يبدأ من ١٦ هاتور (٢٥ نوفمبر) وينتهى بعيد الميلاد فى ٢٩ كيك (٧ يناير) .

ب ــ **صوم نينوى (يونان)** ومدته ثلاثة أيام . ويصام تذكارا لتوبةنينوى وهو يبدأ قبل الصوم الكبير بأسبوعين

جـ ــ **صوم السيدة العذراء ومدته خمسة عشر** يوما تنتهى بعيد صعود جسد العذراء مريم فى ١٦ مسرى .

د ــ **برمون الميلاد وبرمون الغطاس** . والبرمون هو اليوم السابق للعيد وكان يصام بدرجة تقشفية أكبر ، فيكون انقطاعيا طول اليوم استعدادا لتقبل النعمة التى ينالها المؤمنون فى مناسبة العيدين المقدسين .

(٤) **هذه الأصوام تختلف فى طقسها وفى فترة الانقطاع وفى نوع الأطعمة التى تؤكل خلالها** . فالصوم الكبير لايؤكل فيه السمك ، وكذلك كان الحال فى صوم يومى الأربعاء والجمعة . ويجرى فى هذا المجرى ايضا صوم نينوى ويوما البرمون . أما فى أيام البصخة (أسبوع الآلام) **فطقس الكنيسة** الأول هو الا يتناول الصائم سوى الخبز والملح بعد فترة الانقطاع وبالنسبة للضعفاء الذين كان يصرح لهم بالطعام كانت تمنع عنهم الأطعمة الحلوة المذاق . أما باقى الأصوام فيصرح فيها بأكل السمك .

(٥) **أما فترة الانقطاع فالأصل** فيها أن تكون الى الغروب بالنسبة الى الصوم الكبير وما يجرى مجراه ، والى الساعة التاسعة (الثالثة) بعد الظهر فى باقى الأصوام . ولكننا ننصح بأن يترك تحديد فترة الانقطاع الى مشورة أب الاعتراف وتوجيهه حسبما يراه من جهة صحة المعترف الجسدية وحياته الروحيه ...

(٦) **يمتنع عن الصوم الانقطاعى فى يومى السبت والأحد على مدار السنة** ، ما عدا يوم سبت الفرح حيث كان السيد المسيح فى القبر ويمتنع عن الصوم **اطلاقا خلال الخمسين يوما المقدسة** التى تعقب عيد القيامة وهذه هى الفترة الوحيدة التى يفطر فيها الأربعاء والجمعة . ولايكسر صوم الأربعاء والجمعة أيضا الا اذا اتفق مع ورود عيد سيدى كبير كالميلاد والغطاس (نلاحظ أن غالبية الأعيادالسيدية الكبرى لاتأتى فى يومى الأربعاء والجمعة) .

(٧) **نلاحظ أن المطانيات تتمشى مع الصوم** جنبا الى جنب من حيث أن اليوم الذى لايجوز فيه الصوم، لاتجوز فيه ايضا المطانيات ، مثل الأعياد السيدية الكبرى والخماسين والسبوت والآحاد . كما يجوز أيضا ممارسة المطانيات فى باقى أيام السنة .



العطاء

« طوبى لمن يتعطف على المسكين والفقير ،
فى يوم الشر ينجيه الرب » (مز ٤١ : ١)

+ كلمة عامة عن العطاء
+ الله يأمر بالعطاء
+ كيف نقدم العطاء .
+ العشور .
+ بعض اعتراضات على العطاء .
+ امثلة لذوى العطاء السخى .

كلمة عامة

المسيحية والعطاء قرينان ، وصنوان لايفترقان .... العطاء فى شتى صوره ومختلف نواحيه ، مبتدا فى عطاء المادة — وهو أدنى أنواع العطاء — الى عطاء النفس ، وهو اسماها جميعا ...

والعطاء (الصدقة) يؤلف مع الصلاة والصوم حبلا مثلوثا متينا لا ينقطع اذا ارتبطنا به ، أو ربطنا أنفسنا به ، ضمنا السلامة والنجاة ،كالحبل الذى يربط السفينة بمرساها . ولا عجب فى ذلك فالصلاة هى تعبدنا لله بأرواحنا ، والصوم هو تعبدنا له بأجسادنا ، والعطاء أو الصدقة هو تعبدنا أو أظهار حبنا له بمالنا ....

هذا ما فهمه المسيحيون الأول ، وما سارت عليه الكنيسة الأولى ولعلنا نجد هذا المبدأ واضحا فى كلمات القديس بولس فى حديثه الى قسوس افسس حينما قال لهم « متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال **مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ** » (أع ٢٠ : ٣٥) .

ونحن فى هذا الموضوع لا نتحدث عن العطاء بمعناه العام ، لكن نقصر حديثنا عن العطاء المادى أى الصدقة ، وان كنا قد استحسنا التعبير الأول (العطاء) .

فى هذا العصر المادى الذى نحيا فيه ، الذى يتكالب الناس فيه على كل ما هو مادى ، وعزفوا عن كل ما هو روحى فكرى ، وأصبحت المعايير المادية هى المعايير المتداولة ، وهبط مستوى القيم الروحية فى نظر الناس — فى هذا العصر نرى الناس وقد شح عطاؤهم أو انعدم نتيجة فتور حماسهم للدين ، بعكس ما كان يحدث فى فجر المسيحية وعصرها الرسولى حينما كان المؤمنون يبيعون ممتلكاتهم ويقدمونها للكنيسة لتتولى هى توزيعها على فقراء المؤمنين كل واحد كما يكون له احتياج .

أننا نعرف جيدا مدى الارهاق المادى الذى ينوء تحت وطأته متوسطو الدخل فى هذه الأيام ، فكم بالفقراء والمعدمين ! لكننا واثقون الى جانب ذلك من البركات الكثيرة التى أعدها الرب للرحومين ، ليس فى الدهر الآتى فحسب بل فى هذا الدهر ايضا .

المال اله كبير من آلهة هذا الدهر ، يتعبـد له كثيرون وقد اقاموا لـه تمثالا من ذهب فى قلوبهم حيث يتربع على عروشها ... لقد أضل كثيرين وقسى قلوبهم وغشى عيونهم وسدآذانهم ، فلم يعودوا قادرين على الاحساس بآلام الآخرين أو رؤية مذلتهم أو الاستماع الى أنينهم . **وقد بلغ هـذا الاله فى جبروته حدا ، حتى أنه أصبح فى نظر البعض معادلا لله ... بل هو الههم الوحيد . ورب المجـد العالم بأفكار قلوب البشر قال « لاتقدرون أن تخدموا** الله والمال » (لو ١٦ : ١٣) .. ولما قال للشـاب الغنـى الذى تقـدم اليه فى لهفة سـائلا عما يفعله ليرث الحياة الأبدية « يعوزك شىء واحد . اذهب بع كل مالك واعط الفقـراء فيـكون لك كنز فى السـماء » يقـول الأنجيلى « فاغتم على القول ومضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة » **وقد عقب السيد المسيح على هذا الحادث بقوله « يابنى ما أعسر دخول المتكلين على الأموال الى ملكوت الله . مرور جمـل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله » (مر ١٠ : ١٧ ــ ٢٥) .. وقال الرب يسوع أيضا « أنظـروا وتحفظوا من الطمع ، فانه متى كان لأحـد كثير فليست حياته من أمواله »** (لو ١٢ : ١٥) ... « كل واحد منكم لايترك جميع أمواله لايقدر أن يكون لى تلميذا » لو ١٤ : ٣٣) .

وهكذا نرى أن المال ومحبته والاتكال عليه والرغبة فى جمعه وتكويمه والاحتفاظ به ، انما تؤلف مرضا روحيا خطيرا يبعدنا عن الرب وعن عشرته . والمال له منطق يقنع به اتباعه ومريديه مثل « القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسـود ... الى آخـر الكلام . ونحن الآن نريد أن نقف على رأى الكتاب المقدس فى موضوع المال ....

قد يقول قائل ان رب المجد بكلامه لذلك الشاب الغنى ، « المتكلين على الأموال » ، ولم يقصد الأغنياء على الاطلاق ــ وهذا حق . فالـرب هو مصدر الغنى أيضا « الرب يفقر ويغنى » (١ صم ٢ : ٧) : « أيضـا كل انسان أعطاه الله غنى ومـالا وسـلطه عليه ... فهذا هـو عطيـة الله » (جا ٥ : ١٩) .

ان الكتاب المقدس يحفظ أسماء بعض الأغنياء من القديسين . ومنهم **ابراهيم** الذى قيل عنه أنه كان « غنيا جدا فى المواشى والفضـة والذهب » (تك ١٣ : ٢) ؛ **ولوط** ، الذى ذكر عن أملاكه أنها كانت كثيرة جدا (تـك ١٣ : ٥ ، ٦) . **واسحق** الذى بارك الرب زرعه حتى أصاب فى احـدى السنوات مائة ضعف ، وقال عنه الكتاب انه « كان يتزايد فى التعاظم حتى صار عظيما جـدا » (تك ٢٦ : ١٣) . **ويعوزنا الوقت أن تحدثنا عن يعقوب وابنه يوسف الذى باركه الرب وأنجحه** حتى صـار سيدا لكل بيت فرعون

ومتسلطا على كل أرض مصر (تك ٤٥ : ٨) ، **وكذلك داود** الذى شهد عنه الكتاب أنه « مـات بشيبة صالحة **وقد شبع أياما وغنى وكرامه »** (١ أى ٢٩ : ٢٨) ، **ويهو شافاط** (٢ أى ١٧ : ٥) ، **وخرقيا الذى ذكر** الكتاب أنه كان له « غنى وكرامة كثيرة جدا وعمل لنفسه خزائن للفضة والذهب والحجارة الكريمة والأطياب والأتراس وكل آنية ثمينة ... » (٢ أى ٣٢ : ٢٧) ، **وأيوب الذى** من كثرة مواشيه وغنمه ، كان أعظم كل بنى الشرق » (أى ١ : ٣) . **وأيضا يوسف الذى من الرامة** الذى اخذ جسد الرب يسوع ولفه بكتان نقى (مت ٢٧ : ٥٧) ، وزكا (لو ١٩ : ٢) ...

نعود الى حديث الرب يسوع مع الشاب الغنى وتعقبه بقوله « ما أعسر دخول المتكلين على الأموال الى ملكوت الله ... نريد أن نعرف مامعنى الاتكال على المال ، فهذا هو بيت القصيد .

الاتكال على المال :

هو الشعور بالطمأنية والارتياح لوجود المال . والاحساس بأنه قوة وقائية مدخرة للطوارىء والنوائب . ان الغنى ـ ولاشك ـ يعلم بحاجة الفقراء الى ما عنده من فائض عن حاجته . ولكن شعور الاطمئنان بالمال والاتكال عليه هو الذى يجعله يفضل الاحتفاظ به على اعطائه للمحتاجين **اذن فكل غنى يجمع المال لذاته ، أو يكنزه سواء لرفاهيته أو لاحتمالات الدهر حسب فكره ، ولا يحتسب نفسه مجرد أمين عليه لتوزيعه على الآخرين ، انما متكل على المال** ، ويتم فيه قول الرب : ان دخوله الى الملكوت ما أعسره !!

ان المال لايتدفق من السماء على الناس بغير حساب . انما يجمع الثروة من يحب المال ويهتم بجمعه . وان كنا قد ذكرنا بعض أمثلة لأغنياء قديسين لكن مجرد الرغبة فى الغنى تعد من أخطر التجارب التى يتعرض لها المرء ، وهى **كفيلة بهلاكه حسبما يقول الرسول « وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء ، فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك » (١ تى ٦ : ٩) ... « محبة المال أصل لكل الشرور ، الذى اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة . أما انت يا انسان الله فاهرب من هذا ... »** (١ تى ٦ : ١٠ ، ١١) . وقال الرب قديما لشعبه « احترز من أن تنسى الرب الهك ولاتحفظ وصاياه وأحكامه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم . **لئلا اذا أكلت وشبعت وبنيت بيوتا جيدة وسكنت . وكثرت بقرك وغنمك وكثرت لك الفضة والذهب وكثر كل مالك . يرتفع قلبك وتنسى الرب الهك »** (تث ٨ : ١١ ـ ١٤) ...

هذا هو الانسان كما يعرفه خالقه ... لاعجب اذن فى انحرافه وهلاك من يجرى وراء المادة ، ويسعى لجمعها بكل الطرق . وقد سبق رب المجد وقال

« لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم ايضا » (لو ١٢ : ٣٤) . بل انه فى العظة على الجبل سبق وقال **« لاتقدرون أن تخدموا الله والمال »** (مت ٦ : ٢٤) . فهل بعد هذا نستمر فى سعينا وكفاحنا من أجل جمع المال ونقول فى جرأة ردا على هذه الآية « لا ، اننا قادرون على خدمة الله والمال فلنحاكم ذواتنا ، ولنحكم على أنفسنا ، لأننا لو حكمنا على انفسنا لما حكم علينا .

وحتى الذين جمعوا ثرواتهم بطريق مشروع دون محبة المال، فان مجرد احتفاظهم بها لأنفسهم دون أن يفكروا فى أعواز الآخرين ، يتعارض مع ناموس المسيحية الملوكى ــ المحبة . مفروض فى المسيحى المؤمن أنه مات عن العالم ومحبته « لأننا لم ندخل العالم بشىء ، وواضح أننا لانقدر أن نخرج منه بشىء فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما » (١ تى ٦ : ٧) وواضح أن الرسول كتب كلماته هذه لجميع المؤمنين ، وليس لطائفة بذاتها ، فلم يكن بينهم رهبان فى تلك الأيام !! ومفروض فى المسيحى أيضا الا يعيش لذاته ، بل يحب قريبه كنفسه . فماذا وجد انسان يملك عشرات الأثواب يحفظها لنفسه والى جواره عديد من الرجال العرايا ، واغلق احشاءه دونهم ، فانه يتم فيه قول الرسول « واما من كان له معيشة العالم ، ونظر أخاه محتاجا ، واغلق احشاءه عنه ، فكيف تثبت محبة الله فيه » (١ و ٣ : ١٧) . . . « هلم الآن ايها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة » رنع ٥ : ١) . . . .

قال القديس ايرونيموس (جيروم) فى رسالة له الى عذراء من اشراف روما تدعى يوستخيوم « يجب أن تتجنبى خطية حب المال . . . يقول الرب ان لم تكونوا أمناء فى ماهو للغير ، فمن يعطيكم ما هو لكم . ذلك الذى هو للغير ، هو كتلة من الذهب أو الفضة . وما هو لكم هو الميراث الروحى الذى قيل عنه فى موضع آخر : فدية حياة رجل هى غناه (أم ١٣ : ٨) . . . ولكنك قد تقولين اذا ماشخت ومرضت فمن يعتنى بى ؟ اسمعى يسوع يقول، للرسل : لا تفكروا فى ماذا تأكلون ، ولا لجسدكم فى ماذا تلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس . أنظروا طيور السماء انها لاتبذر ولاتحصد ولاتجمع الى مخازن ، الا أن أباكم السماوى يقوتها (مت ٦ : ٢٥) واذا لم تجدى ملبسا ، فلتضعى الزنابق أمامك (مت ٦ : ٢٨) . اذا كنت جوعانة فستسمعين كم هم مغبوطون الفقراء والجياع من بين الناس اجعلى دائما على شفتيك تلك الكلمات : عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى هناك (أى ١ : ٢١) . . . لايمكن أن يترك الرب بارا يموت جوعا يقول المرتل كنت صغيرا والآن شخت ، الا اننى لم أجد بارا تخلى عنه أو نسلا له يلتمس خبزا (مز ٣٧ : ٢٥) . كان ايليا يقتات بواسطة غربان تخدمه . ارملة صرفة نفسها وابنها ، ذهبت جوعانة فى تلك الليلة على وشك الموت لكى تطعم النبى . وبأعجوبة ملىء كوار الدقيق وهذا الذى اتى ليطعم زودها

بالطعام ... اسمعي كلمات يعقوب في صلاته : ان كان الرب معي ، وحفظني في هذا الطريق الذي انا سائر فيه **وأعطاني خبزا لآكل وثيابا لألبس ....** يكون الرب لي الها » (تك ٢٨ : ٢٠) . **لقد صلى من اجل الضروريات فقط** على أنه بعد ذلك بعشرين سنة ، رجع الى أرض كنعان غنيا في **الممتلكات** ، غنيا أكثر في البنين . **لاتنتهي الأمثلة التي يزودنا بها الكتاب المقدس ليعلمنا أن نحذر من حب المال »** .

فضيلة الرحمة عامة :

حينما نتكلم عن العطاء أو الصدقة، لابد لنا ان نتحدث عن فضيلة الرحمة بصفة عامة . **فالصدقة وحدها — وفي حد ذاتها — لا تهم الله الا من حيث الدافع لتقديمها** « ان أعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة ، تحتقر احتقارا » (نش ٨ : ٧) . فالله الذي خلق العالم وكل مافيه ، كان ولاشك يستطيع أن يوفر الغنى والثراء لكل فرد من خليقته . كان ممكننا أن يكون الجميع أغنياء . **لكن الله لحكمة كبيرة سامية ، سمح أن تكون الفوارق بين الناس ، حيث تكون هناك فرص لعمل الخير ، واقتناء الفضائل مع ما يصحبها من بركات** . وسوف نرى أن كلا من الأغنياء والفقراء ، محتاجون بعضهم لبعض سواء بسواء .

كان الرب — منذ القديم — حريصا ان يلقن شعبه أصول الرحمة ، متمثلة في الرفق بالمساكين والغرباء والأرامل والأيتام . فأوصى شعبه قائلا « لاتظلم اجيرا مسكينا وفقيرا من أخوتك أو من الغرباء الذين في ارضك في أبوابك . في يومه تعطيه أجرته ، ولا تغرب عليها الشمس لأنه فقير ، واليها حامل نفسه ، لئلا يصرخ عليك الى الرب فتكون عليك خطية » (تث ٢٤ : ١٤ ، ١٥) . وقال أيضا « لا تعوج حكم الغريب واليتيم ، ولا تسترهن ثوب الأرملة . واذكر أنك كنت عبدا في مصر ، ففداك الرب الهك من هناك . لذلك انا أوصيك أن تعمل هذا الأمر » (تث ٢٤ : ١٧ ، ١٨) . وقال بلسان اشعياء النبي « تعلموا فعل الخير . اطلبوا الحق . انصفوا المظلوم . اقضوا لليتيم . حاموا عن الأرملة » (اش ١ : ١٧) . حتى أن داود النبي قال في اسلوب عميق « جميع عظامي تقول يارب من مثلك المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه والفقير والبائس من سالبه » (مز ٣٥ : ١٠) وقال بفم هوشع النبي « اني أريد رحمة لا ذبيحة ، ومعرفة الله أكثر من محرقات » (هو ٦ : ٦) . **وقال قديما لشعبه** « ست سنين تزرع أرضك وتجمع غلتها ، وأما في السابعة فتريحها **وتتركها ليأكل فقراء شعبك ، وفضلتهم تأكلها وحوش البرية** . كذلك تفعل بكرمك وزيتونك » (خر ٢٣ : ١٠ ، ١١) ... أترى الى هذه الوصية ، كيف أن الرب لا يهتم فقط بأولاده ، **ولكن حتى بوحوش البرية !! ..**

وفى العهد الجديد نرى هذه الفضيلة بوضوح فى شخصية رب المجد ، الذى دعانا أن نتشبه بأبينا السماوى فى رحمته « كونوا رحماء كما أن أباكم ايضا رحيم » (لو ٦ : ٣٦) ، والذى قال لليهود « اذهبوا وتعلموا ما هو ، انى أريد رحمة لا ذبيحة » (مت ٩ : ١٣) . **ولما جاع تلاميذه وابتداوا** بقطفون سنابل وياكلون فى السبت ، تذمر عليه الفريسيون ، فدافع عنهم ضاربا لهم المثل بداود الذى لما جاع دخل بيت الله واكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط . ثم أردف قائلا « فلو علمتم ما هو ، **انى أريد رحمة لا ذبيحة** لما حكمتم على الأبرياء» (مت ١٢ : ١-٧) . . . الى غير ذلك من اقواله وتعاليمه وأمثاله التى سوف نأتى عليها . وقد بين لنا يعقوب الرسول تدر الرحمة حينما قال « **لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة . والرحمة تفتخر على الحكم** » (يع ٢ : ١٣) .

وقد تحدث القديس يوحنا ذهبى الفم حديثا شيقا عن الرحمة قال «الرحمة تصعد الانسان الى علو شامخ وتسبب له دالة بليغة عند الله . فكما ان الملكة اذا آثرت الدخول الى الملك لا يجسر أحد من الحجاب أن يمنعها أو يسألها عن المكان الذى تريد الذهاب اليه ، بل كل رجال بلاط الملك يستقبلونها بابتهاج ، هكذا من يعمل الرحمة والصدقة يمثل أمام الملك وهو على عرشه بدون عائق ، لكون البارى يحب الرحمة حبا شديدا وهى تقف بالقرب منه . . . هذه الرحمة هى التى أقنعت البارى أن يصير انسانا لأجل خلاصنا ولهذا فان الآب السماوى يؤهل الذين يعملون الرحمة الى نعمة العطاء » . وقال ايضا **« الرحمة تتقدم الفضائل ولها القوة المطلقة . لانك اذا صمت مثلا وأنت عديم الرحمة فلا يفيدك تعب صيامك شيئا . . . وما لى أذكر الصوم ، بل ان حفظت الطهارة والبتولية التى لا يوازيها فى الشرف الباهر أعظم الفضائل الأخرى لأنك بها تشابه الملائكة . . . فسوف تقف خارج الخدر السماوى اذا لم تكن** متحليا بالرحمة . اما ترى العذارى البتولات (الجاهلات) كيف انهن يطردن من حضرة الختن السماوى لعدم اقتنائهن الرحمة بسريرة نقية !! » وقال أيضا ترى من اين تعرف العذارى الحكيمات العاقلات ؟ يعرفن من كونهن جمعن بين البتولية والرحمة . . . وفطن لصوت الختن السماوى القائل انى اريد رحمة لا ذبيحة » .

لمن نقدم عطاءنا :

لا يوجد وجه واحد للتوزيع نقدم اليه عطاءنا وننفق فيه صدقاتنا . لكنها لا تخرج فى مجموعها عن دائرة الكنيسة وأعضائها . وقبل أن نخوض فى هذه النقطة ، نرى من المفيد أن نناقش نقطة هامة ، لا شك أنها تجول بخواطر الكثيرين ، **الا هى مدى وجوب فحص حالة طالب الصدقة قبل اعطائها .**

وهنا يوجد وجهان لهذا الموضــوع . وجه فردى خــاص ، ووجــه كنسى عام .

بخصوص الناحية الفردية ، أوضح لنا السيد المسيح مبدءا هاما بقوله « كل من سألك فاعطه » (لو ٦ : ٣٩ ، مت ٥ : ٤٢) . والأمر صريح وواضح **اننا لسنا مسئولين عن فحص حالة من يسألنا (أى يطلب منا صدقة) . بل الأجر سيعطى لنا كاملا بحسب النية فى تقديم العطاء** « من يقبل نبيــا باسم نبى فأجر يأخذ . ومن يقبل بارا باسم بار فأجر بار يأخذ . ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ . فالحق اقول لكم أنه لايضيع اجره » (مت ١٠ : ٤١ - ٤٢) . والكلام واضــح فى ذاته ، وهو أنك اذا صنعت أحسانا الى انسان على أنه نبى أو بار أو تلميذ للرب فستأخذ أجــر هذا العمل كاملا حتى لو كان اولهم نبيا كذابا وثانيهما شريرا وثالثهمــا من الأخوة الكذبة !! **وحكمة السيد المسيح فى ذلك أن لا نقيم من أنفســنا قضاة نفحص شئون الناس الداخلية بل عبادا . وحتى نكون أيضا متشبهين بأبينــا السماوى** « فانه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » . ومما يؤكد ذلك أن الرب يســوع يختم هذا الـكلام بقــوله « فكونوا أنتم كاملين كما أن اباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٥ — ٤٨) .

جاء فى كتاب **الراعى لهرماس** (١) « **اصنعوا الخير ، ومن نتاج أعمالكم — التى يعطيها الرب لكم — أعطوا جميع المحتاجين فى بساطة، غير مترددين لمن تعطوا أو لا تعطوا . أعطوا الجميع ، فالله يريد أن عطاياه توزع على الكل . والذين يأخذون سيعطون حســابا لله ، لماذا ولأى سبب قد أخــذوا . من جهة المحتــاجين الذين اخذوا ســوف لا يدانون ، لكن أولئك الــذين اخذوا بتظاهر مزيف سيعاقبون . اذن فالذى يعطى غير مذنب ، لأنه كما اقتبــل من الرب ، هكذا أتم خدمته فى بساطة غير متردد لمن يحق العطـــاء ولمن لا يحق . . .** »

ويحفظ لنا كتاب بستان الرهبان قصة شيقة عن ناسك تصــدق بثوبه لفقير . وعنــدما نزل الى الريف ليبيع عمــل يديه رأى ذلك الثوب ترتديه امرأة زانية ، فحزن جدا وبكى . . . أراد الله أن يلقنه درسا ويريح أفكاره ، فظهر له ملاك الرب وقال له « لاتحزن ، **فمن** وقت أن تصــدقت بثوبك لذلك الفقير لبسه المسيح ، وأنت غير مسئول عما حدث بعد ذلك . . . »

---

(١) كتاب الراعى لهرماس كان أحد الكتب الشائعة جدا ، ان لم يكن أكثرها شيوعا فى الكنيسة المسيحية خلال القرون الثانى والثالث والرابع. وكان الراى الأرجح فى القرون الأولى أن هرماس كاتبه هو المذكور فى رسالة رومية . ومن أصحاب هذا الراى أوريجانوس وأوسابيوس وايرونيموس .

ما ذكرناه آنفا يوجب على أن أعطى من يسألنى دون فحص . ولكن **ماذا يحدث لو أن انسانا تقدم الى طالبا صدقة ، وأنا أعرف أن ذلك الانسان محتال أو أنه سينفقها فى أمر غير مشروع كالسكر مثلا ؟** فى هذه الحالة اذا تأكد لى خداع ذلك الانسان بالصورة التى أوضحناها ، فلى أن أمتنع عن اعطائه . فلا يمكن أن يكون السيد المسيح قد قصد بتلك الوصية **« كل من سألك فأعطه »** أن نساعد الناس على الشر !! .

ويجدر بنا الاشارة بأننا مطالبون بعمل الخير للجميع دون تفريق بين مؤمن وغير مؤمن . قال القديس بولس الرسول « فاذن حسبما لنا فرصة ، فلنعمل الخير للجميع ولا سيما لأهل الايمان » (غل ٦ : ١٠) . **يقول** القديس يوحنا ذهبى الفم « لسنا ملتزمين بالرحمة **والاعتناء بالقريبين منا** والمشاركين لنا فى الايمان فقط بل لغير المؤمنين ايضا ... **واذا** كان حسب أمر الناموس اذا رأيت حمارا ساقطا تقيمه من دون أن تعرف صاحبه . فاذا كان هذا بالحيوان واجبا ، فكم بالأحرى يجب أن تعتنى بالانسان ولا تفحص عنه » . ان السيد المسيح حينما تبعته الجموع فى البرية أطعمهم جميعا . وهكذا ليس من شأن الرحمة أن تفحص عن المستحقين وحدهم ، بل ان تعين عجز المقلين وتسد حاجة المحتاجين .

أما من الناحية الثانية ــ الكنسية أو العامة ــ فيلزمها التنظيم بما ينطوى عليه من فحص . ان النظام أمر ضرورى . قال الرسول بولس لكنيسة كورنثوس « وأما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا انتم أيضا . **فى كل أول اسبوع** ليضع كل واحد منكم عنده خازنا ما تيسر » (١ كو ١٦ : ١ ، ٢) . لاحظ ناحية التنظيم التى وضعها الرسول « فى كل أول أسبوع » . **فالمسيحية التى تحث على الرحمة تفرق بين المحتاج والكسول** . وقد أوضح القديس بولس هذه الحقيقة فى حديثه الى كنيسة تسالونيكى « وأنتم تعرفون كف يجب أن يتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ، ولا اكلنا خبزا مجانا من احد بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلا ونهارا لكى لا نثقل على أحد منكم . ليس لأن لا سلطان لنا ، بل لكى نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا . فاننا أيضا حين كنا عندكم اوصيناكم بهذا أنه ان كان احد لايريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا» (٢ تس ٣: ٧ ــ ١٤) .

أما عن وجوه صرف الصدقة والجهات التى يمكن ان نقدم لها عطاءنا ، فهى كثيرة بطبيعة الحال ، وليس من اليسير ان نحصيها . لكننا نستطيع أن نضعها تحت قسمين رئيسيين كبيرين : عطاء للخدمات الجسدية كاطعام جائع وكساء عريان أو الانفاق على مريض معوز أو ايواء غريب أو فك ضيقة انسان ... الخ ، وعطاء للخدمات الروحية كخدمات التعليم الدينى والوعظ فى القرى المحرومة مثلا ، أو تعليم الناشئة فى مدارس الأحد ، والانفاق على كتب ومطبوعات توزع مجانا او بقيمة تكاليفها رغبة فى خلاص النفوس .

ان عطاء المال لله يعتبر فى حد ذاته خدمة . **فقد يعجز البعض عن خدمة الله بأقوالهم اى بالوعظ والتعليم ، لكنهم يستطيعون أن يخدموا الله بأموالهم . لقد** ذكر الانجيل المقدس بعض النسوة اللاتى تبعن يسوع « وكن يخدمه من أموالهن » (لو ٨ : ٣) . وهكذا كل من يقدم عطاءه بقصد نشر الوعى الروحى .

ويدخل تحت القسم الثانى ـ بل يأتى فى مقدمتها دون شك ـ سد احتياجات الخدمة فى الكنيسة كالدقيق اللازم للقربان والخمر والزيت والبخور والشمع والستور وكتب القراءة وأوانى المذبح ... الخ . **وايضا العطايا التى يجب أن تقدم لخدام الدين خاصة فى البلاد والقرى الفقيرة باعتبارهم ليس لهم مورد آخر للرزق** ، لأنهم ممنوعون من الاشتغال بمهنة أخرى غير الخدمة ، حتى أن قوانين الرسل أوجبت القطع على كل أسقف أو قس أو شماس يتخذ لذاته عملا عالميا . **لقد كان بنو اسرائيل مكلفين بامر الرب بنفقة الخدمة فى الهيكل وبتقديم عشورهم للاويين ، وهكذا علم الرسل فى العهد الجديد .** والقديس بولس أوضح ذلك الى كنيسة كورنثوس « العلنا ليس لنا سلطان ان نأكل ونشرب ... من تجند قط بنفقة نفسه ، ومن يغرس كرما ومن ثمره لا يأكل . أو من يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل . العلى أتكلم بهذا كانسان ، ام ليس الناموس ايضا يقول هذا . فانه مكتوب فى ناموس موسى لا تكم ثورا دارسا . العل الله تهمه الثيران أم يقول مطلقا من اجلنا انه من اجلنا مكتوب لأنه ينبغى للحراث أن يحرث على الرجاء وللدارس أن يدرس على الرجاء أن يكون شريكا فى رجائه . ان كنا قد زرعنا لكم الروحيات أفعظيم ان حصدنا منكم الجسديات ... **ألستم تعلمون ان الذين يعملون فى الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون . الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح . هكذا أيضا أمر الرب أن الذين ينادون بالانجيل من الانجيل يعيشون »** (١ كو ٩ : ٤ ـ ١٤) .

عظمة الصدقة :

عظيمة هى فضيلة الصدقة ومستحقة كل اكرام ، حتى ان الرب الهنا لما اراد ان يعبر عن ذلك قال « **من يرحم الفقير يقرض الرب** وعن معروفه يجازيه » (ام ١٩ : ١٧) . ارايت كيف أن الرب يظهر ذاته بمظهر المقترض وهو مالك كل شيء لكى يرينا عظم هذه الفضيلة ويطمئن قلوب الرحماء والمحسنين . **وفى ذلك يقول ذهبى الفم** « من يرحم مسكينا يقرض الله . فاذا اقترض البارى تعالى منا يكون مديونا لنا . أفما ترضى أن يكون الله مديونا لك لا دائنا وانت تعلم أن المديون يوقر من اقرضه والدائن لا يستحى من المديون » !!

وهى تشفع ليس فى المؤمنين وحدهم بل وحتى فى غير المؤمنين ـ تفتح لهم

باب الايمان وتدخلهم الى حظيرة الخراف . هذا ما فعلته مع كرنيليوس قائد المئة الوثنى ، الذى وصفه الكتاب بأنه كان « يصنع حسنات كثيرة للشعب »، **فرأى** ملاك الرب فى رؤيا وقال له « ياكرنيليوس ... صلواتك **وصدقاتك صعدت تذكارا أمام الله** » وارشده الى القديس بطرس الرسول حيث نال على يديه نعمة العماد (اع ١٠) .

لقد أدرك قديسو الله عظم هذه الفضيلة فقال أيوب « اب أنا للفقراء » (اى ٢٩ : ١٦) . وقال سليمان الحكيم «من يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضا يصرخ ولا يستجاب » (أم ٢١ : ١٣) . **وقد أوضح السيد المسيح ذلك فى مثل الغنى الذى استوفى خيراته فى حياته ، ولم يلتفت الى لعازر** الذى كان « يشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى » . فالأول كان يتعذب والآخر كان يتعزى . وقد طلب الغنى من ابينا ابراهيم ان يرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لسانه (لو ١٦) . فهل فكر ذلك الغنى — وهو بعد فى الجسد — أنه سيحتاج الى لعازر ؟! لقد انقلب الحال . وهذا ما سيحدث فى الحياة الأخرى . ماذا كان عساه يفعل لو علم انه بمأكل بسيط يستطيع ان يتمتع بالراحة فى حضن ابراهيم !! لاشك ان ابرارا كثيرين كانوا فى حضن ابراهيم ، لكن ذلك الغنى لم يطلب سوى لعازر البلايا ، ذلك المسكين الذى إحتقره ولم يلتفت الى صراخه !!

وهذا ما أوضحه السيد المسيح أيضا فى مثل «وكيل الظلم» الذى امتدح حكمته وأوصانا قائلا « أصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى اذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية » (لو ١٦ : ٩) . ان هؤلاء الأصدقاء هم الفقراء الذين نتودد اليهم بالصدقات من المال الفانى . **فما أعظم هذه الفضيلة التى تستطيع أن نشترى بها المظال الأبدية !!** والرب يسوع أيضا يعلمنا أنه اذا صنعنا وليمة فلا ندعو أصدقاءنا ولا اخوتنا ولا أقرباءنا ولا الجيران الأغنياء ... « بل اذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجدع ، والعرج ، العمى ، فيكون لك الطوبى ... لأنك تكافأ فى قيامة الأبرار » (لو ١٤ : ١٢ — ١٤) .

وليس أدل على عظم هذه الفضيلة واحتياجنا الى التحلى بها مما اعلمنا به رب المجد من أن أعمال الرحمة والصدقة من مؤهلات الدخول الى ملكوت السموات وذلك حينما صور المشهد الأخير يوم الدينونة الرهيب ممتدحا الصديقين بقوله « تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لأنى جعت فاطعمتونى . عطشت فسقيتمونى . كنت غريبا فآويتمونى عريانا فكسوتمونى . مريضا فزرتمونى . محبوسا فاتيتم الى ... الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » (مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) ... ارأيت يا أخانا كيف أن الصدقة حينما تكرم وتراعى تكون

شفيعا للانسان وسببا فى تمتعه بالمجد الأبدى ؟ ارايت كيف أن **رب المجد يسمى الفقراء « اخوته الأصاغر »** ويعتبر أن أى عمل يقدم لهم كأنه قدم له شخصيا . أرايت سمو هذه الفضيلة . فاحترس اذن يا أخانا لئلا تكون مدققا فى نواحى كثيرة فى حياتك الروحية . ولكن متغافلا عن أعمال الرحمة والعطاء فتخسر الجعالة وتفقد المسيح . انظر يا أخى الى أخوتك الفقراء نظرة مشبعة بالمحبة والرحمة وصدق مواعيد الله ، فترى المسيح فيهم ، **ولا تشابه الأشرار ، فقد كان احتجاجهم عن تقصيرهم فى عمل الرحمة ، انهم** لم يروا يسوع المسيح جائعا ، أو عطشانا أو غريبا أو عريانا ... **قال القديس يوحنا ذهبى الفم « الفقير يمد يده متسولا ولكن الله هو الذى يقبل صدقتك »** .

لقد فهم القديسون سمو هذه الفضيلة واقتدارها ومن ثم توسلوا الى الآخرين بقبول عطائهم . هذا ما أورده معلمنا بولس فى رسالته عن اهل مكدونية القديسين بخصوص العطاء « **ملتمسين منا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التى للقديسين** » (٢ كو ٨ : ٤) .. **انت تظن حينما تقدم شيئا للفقير أنك تصنع معه احسانا ، لكن الواقع انه يتيح لك فرصة نوال بركة عظيمة** . هذا ما فعله المكدونيون مع بولس حينما التمسوا منه بطلبة كثيرة ان يقبل عطاءهم ، لأنهم تيقنوا من البركة العظيمة التى تنتظرهم .

الا فلتعلم يا اخانا أن غنى هذا العالم وثروته وعملته المتداولة لا تصلح للتعامل بها فى السماء الا بتحويلها عن طريق الفقراء . والمظال الأبدية التى سوف نستريح بها انما تقام بأيدى المساكين والمعوزين ...

أما آباء الكنيسة وقديسوها ، الذين وقفوا على سمو هذه الفضيلة واقتدارها ، فقد ترنموا بعظمتها وفاعليتها :

قال القديس كبريانوس الأسقف والشهيد من آباء القرن الثالث الميلادى « يتكلم الروح القدس فى الأسفار المقدسة قائلا **بالصدقة والايمان تتطهر الذنوب** (أم ١٦ : ٦) ... وبالاضافة الى ذلك يقول ثانية **كما أن الماء تطفىء النار ، كذلك الصدقة تخمد الذنوب** (سيراخ ٣ : ٣٠) . وهنا ايضا يظهر الأمر ويتضح . فكما أن بماء جرن النجاة (المعمودية) تطفأ نار جهنم ، كذلك بالصدقات وأعمال البر يخمد لهيب الذنوب . ولأنه فى المعمودية يوهب محو الذنوب مرة واحدة للجميع ، فان العمل المستمر الذى بلا انقطاع ـ تابعا مثال المعمودية ـ يهب رحمة الله مرة أخرى . والرب يعلم ذلك فى الانجيل . لأنه حينما أظهر التلاميذ على أنهم يأكلون بدون غسل أيديهم أولا ، أجاب قائلا: الذى صنع الخارج صنع الداخل ايضا . بل اعطوا ما عندكم صدقة وهو ذا

كل شيء يكون نقيا لكم (لو ١١ : ٤٠ ، ٤١) ... وروفائيل الملاك يشهد بذلك ويحث على أن الصدقة يجب أن تعطى باختيار وبسخاء قائلا : الصلاة جيدة مع الصوم والصدقة ، **لأن الصدقة تنجى من الموت وتطهر من الذنوب** (طوبيا ١٢ : ٨ ، ٩) . **انه يشير الى ان صلواتنا وأصوامنا هما اقل نفعا ما لم يعانا بالصدقة ... وبعد أن قلق الملك نبوخذ نصر بحلم مزعج اعطاه دانيال — لينجو من الشرور — علاجا به يفوز بالمعونة الالهية قائلا : فارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين لعله يطال اطمئنانك** (دا ٤ : ٢٧) » .

ويقول القديس باسيليوس الكبير « من أجل أنك لم ترحم الآخرين فلا يصنع بك رحمة أيضا . ولأنك اغلقت باب بيتك ازاء المساكين فلا يفتح لك الله باب ملكوته ، وكما أنك أمسكت بالخبز عن البائسين حينما كانوا يطلبونه منك هكذا يمسك الله عنك الحياة الأبدية التى تطلبها . أنكم ستحصدون ما قد زرعتم . فان كنتم قد زرعتم المرارة فستحصدون المرارة . وان زرعتم القساوة فلا تحصدون سوى الأتعاب القاسية والعذابات الهائلة . **وان كنتم هربتم من الرحمة فالرحمة تهرب منكم . وان رذلتم الفقراء فيرذلكم ذاك الذى صار فقيرا حبا بكم ...** » .

اما القديس يوحنا ذهبى الفم فيقول « ليتنا لا نطفىء مصابيحنا بل نحتفظ بها مضاءة بأعمال الصدقة لأنه هكذا يحفظ ضوء هذه النار . ابتنا نجمع الزيت فى آنيتنا ونحن بعد فى هذا العالم لأننا لا يمكننا ان نشتريه بعد رحيلنا الى ذلك المكان الآخر . ولا يمكننا أن نحصل عليه فى اى مكان سوى أيدى المساكين . لنجمعه بكثرة ههنا ان رغبنا فى الدخول الى مكان العرس ، واذا لم نفعل علينا ان نبقى خارجه . **لأنه من المستحيل ، من المستحيل ، حتى أن اتممنا عشرة آلاف من الأفعال الحميدة أن ندخل الى الملكوت بدون فعل الصدقة** » ... ويقول أيضا معلقا على قول الرب انى أريد رحمة لا ذبيحة « الرب يفضل الرحمة على الذبيحة لسبب معقول . فان ذاك مذبح مائت وكل ما يوضع عليه سيصبح مأكلا للنار وينتهى الى رماد ويختلط دخانه بالهواء . اما هنا (الرحمة) فلا يوجد شيء مثل ذلك لأن الأثمار التى تحملها تختلف . ان كلمات الرسول بولس توضح كنوز الرحمة للمساكين فيما كتب للكورنثيين ... هلم بنا يا أحبائى اذن نقدم ذبائح يومية على هذا المذبح ، **لأن هذه الذبيحة (الصدقة) لهى اعظم من الصلاة والصوم وامور كثيرة غيرها ...** » .

اما القديس اغسطينوس فيقول « يجب الا نكتفى بالصلاة بل نقدم صدقات أيضا ... اكسر خبزك للجوعان وادخل المساكين ومن لا مأوى لهم الى بيتك ، واذا رأيت عريانا اكسه ... فانك بذلك **تقدم صلاتك فى ثقة**

وتجعل لها جناحين . . . » . أما **القديس يوحنا التبايسى** (الأسيوطى) فيقول **« محب الفقراء يكون كمن له شفيع فى بيت الحاكم . ومن يفتح بابه للمعوزين يمسك فى يده مفتاح باب الله »** .

بعض بركات العطـــاء :

اذا كانت فضيلة الصدقة عظيمة كالنحو الذى ذكرناه ، فلا شــك أن **بركات الرب لمقدميها عظيمة للغاية** .

+ راينا فيم مضى كيف أن عمل الرحمة والصدقة يورث فاعله السماء (١) . قال المرتل « مغبوط هو الرجل الــذى يتراف ويقرض ويدبر أموره بالحق . **لأنه لا يتزعزع الى الدهر** . . . **فرق أعطى المساكين بره يدوم الى الأبد قرنه ينتصب بالمجد »** (مز ١١٢ : ٥ — ٩ ، ٢ كو ٩ : ٩) . قال القديس يوحنا **الأسيوطى** « محب الفقراء يكون كمن له شفيع فى بيت الحــاكم . ومن يفتح بابه للمعوزين يمسك فى يده مفتاح باب الله » .

+ **والأمر ليس متعلقا بالحياة الأخرى وحــدها ، ولكنه متعلق بحيــاتنا فى هذا الدهر أيضا** . فنحن نعلم من الكتاب المقدس ومن خبراتنا الخاصـــة والعامة أن مفعول الصدقة لن يسقط ابدا حتى لو مرت السنون والأعوام . بل انه يتقدم الانسان ليكون له عضدا ونصــيرا فى أوقات الشـــدة . وهكذا **يقول سليمان الحكيم « ارم خبزك على وجه المياه فانك تجده بعد أيام كثيرة »** (جا ١١ : ١) .

+ **والصدقة تنجى وتخلص من الشرور والأمراض** . وما أروع ما قــاله داود النبى فى هذا الصدد **« طوبى لمن يتعطف على المســكين والفقير ، فى يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويحييه ، ويجعله فى الأرض مغبوطا، ولا يسلمه الى أيدى أعدائه الرب يعينه على سرير وجعه. رتبت مضجعه كله فى مرضه »** (مز ٤١ : ١ — ٣) .

+ **وهى تنجى من الضيقات بل وترد غضب الله** . فقد ورد فى كتـــاب بستان الرهبان قصة عن احد الاباء ، انه فى زمان مجــاعة تصــدق بثلاث خبزات ، كانت كل ما عنده . وكان يتوقع أن يموت جوعا بعد أن تصـــدق

---

(١) هذا الكلام بالنسبة للمؤمنين . أما بالنسبة للانسان الذى لم يدخل من باب الايمان ، فحتى لو قدم كل ثروته فانه لا يستطيع أن يشترى بها الملكوت. لكننا نتكلم عن المؤمنين الذين يقدمون أعمالا حسنة مكماين ايمـــانهم الحى ، ومظهرين حبهم للرب .

بها . ولكنه مع ذلك أتم الوصية بشجاعة . فجاءه صوت من السماء **يعلن له** أنه لا يكون فى مدة حياته غلاء من أجل صدقته .

+ **وهى تنجى من الخطية** . يقول يشوع بن سيراخ « النار الملتهبة يطفئها الماء ، وكذلك **الصدقة تخمد الذنوب** (١) » (سى ٣ : ٣٠) . **قال دانيال النبى للملك نبوخذ نصر « فارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة »** (دا ٤ : ٢٧) . ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم « متى داهمتك خسارة أم أصابك حزن أم مرض أم سرقة أم ظلم أم مصيبة من المصائب الداهمة ، فاعط عنها صدقة واشكر الله الذى امتحنك بهذه التجربة ، وستعاين فيض النعمة التى تتقاطر عليك من لدن البارى » . **قال القديس اغسطينوس «ومع أن جميع آثامنا قد غفرت فى جرن التجديد (المعمودية) ، فاننا سنقع فى ضيقات هائلة ... الصدقات والصلوات تطهر من الذنوب »** .

+ **وهى تنجى حتى من الموت** كما قال طوبيت البار فى وصيته الى طوبيا ابنه (طوبيت ٤ : ١١) . ويحفظ لنا التاريخ المعاصر قصة عجيبة . فقد كان فى جيلنا هذا أحد الصيارف بمدينة ادفو بصعيد مصر محسنا جدا ، وكان يحيا حياة تقوية مقدسة ، وقد بارك الرب كل ما عنده نتيجة ذلك . كان ينفق على أربعمائة عائلة ويقدم لها المساعدات . ومن مظاهر تقواه انه ــ لما تقدمت به السن وانحنى ظهره ــ كان يرفض الذهاب الى بيت الله راكبا عربته الخاصة . وكان يقول « كيف اذهب الى بيت الله راكبا » ؟ وهكذا كان يذهب ماشيا على قدميه على الرغم من بعد المسافة بين منزله والكنيسة . مرض هذا الانسان مرض الموت وهو فى سن التسعين ، وعاده اطباء كثيرون ، وكان تقريرهم انه يعانى من مرض الشيخوخة ــ ولا فائدة . شحب لون وجهه ، ولم يعد فيه ما يدل على الحياة سوى نسمات خافتة تتردد فى صدره . وقد أبلغ الأطباء ابنه الاكبر ــ وكان آنذاك شيخا فى الخامسة والسبعين من عمره ــ بأنه لا فائدة . بل حددوا موعد وفاته . بل اكثر من هذا ، لقد اقدم احدهم وحرر شهادة الوفاة . وهكذا رتبت الاسرة لجنازته واعدوا كل شىء . حضر المعزون وتجمع الاقارب ، والكل يتوقع انتقال الرجل بعد دقائق . وبينما الناس فى قياساتهم المادية ــ اذا بمعجزة قد حدثت . **فقد ظهر ملاك الرب للرجل البار وقال له « من اجل قلبك الرحيم والعائلات التى تعولها ، قال الرب انه منحك خمس عشرة سنة كالسنين التى منحها الرب لحزقيا ملك يهوذا »** . ولما دخل ابنه الاكبر اليه وجده جالسا

---

(١) رحمة الفقراء تساعد على استجلاب رحمة الله ، طبقا لقوله « طوبى للرحماء فانهم يرحمون » . ولكن لا مغفرة طبعا بدون توبة . فالذى يرحم غيره يرحمه الله بنعمة تساعده على التوبة لينال مغفرة لخطاياه .

معافى وقد استحـــال وجهه الشــاحب الى وجه يجرى فيه الدم والحياة . وهكذا مجد الجميع الرب وعظموا عمل الرحــمة . وفعلا عاش ذلك الرجل خمس عشرة سنة بعد ذلك الحادث ... **قال القــديس يوحنـــا ذهبى الفم « الانسان المحكوم عليه بالموت الا يدفع كل أمواله لينجو ؟ وأنت ألا تدفـــع شيئا لتنجو من الموت الأبدى ؟! »** .

+ **ومن يعطى المسكين ويرحمه لا يحتاج هو ولا ذريته** كما قال داود فى المزمور « الشرير يقترض ولا يفى ، أما الصديق فيترأف ويعطى ... **كنت فتى والآن شخت ولم أر صديقا تخلى عنه ولا ذرية له تلتمس خبزا . اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة »** (مز ٣٧ : ٢١ — ٢٦) . وقـــال الحكيم « من يعطى الفقير لا يحتـــاج ، ولمن يحجب عنه عينيه لعنــــات كثيرة » (أم ٢٨ : ٢٧) .

+ **ومن بركات العطاء بركة الغنى المادى** . قال الحكيم « أكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلاتك فتمتلىء خـــزائنك شــبعا وتفيض معـــاصرك مسطارا » (أم ٣ : ٩ ، ١٠) . وقال « الصالح العين هو يبارك لأنه يعطى من خبزه للفقير » (أم ٢٢ : ٩) (انظر ملا ٣ : ١٠ ، ١١) .. **والواقع ان المكافأة من جنس العمل « اعطوا تعطوا . كيلا جيدا ملبدا مهزوزا فائضـــا يعطون فى أحضـــانكم . لأنه بنفس الكيـــل الــذى به تكيلون يــكال لكم »** (لو ٦ : ٣٨) . وليس أدل على ذلك من **أرملة صرفة صيداء التى آوت ايليا فى زمن القحط** . فلقد استفادت تلك الأرملة استفادة كبيرة باطعام رجل الله ، اذ ظلت البركة فى بيتها الى ان أعطى الرب مطرا على الأرض ، بل فوق كـــل هذا اعاد النبى الحياة الى ابنها (١ مل ١٧) . **ويشبه القديس اغسطينوس يد الفقير بأرض جيدة تأتى بأثمار كثيرة . ويقول القــديس باسيليوس الكبير « ان الخير الذى يفعل بالقريب يرتد الى فاعله** ... ان الأمر يحدث فى خيرات الأرض ، كما يحدث فى مياه الآبار التى تزداد نقاوة وغزارة بمقدار ما يؤخـــذ منها . أما اذا لم يؤخذ منها فانها تفسد » .

+ **ويكفى شعور المعطى بالسعادة الداخلية** ، انه اسعف ملهوفا أو اغاث منكوبا أو أراح انسانا بائسا أو كان سببا فى اطعام نفس جائعـــة أو ادخال السرور الى قلب كسير ... كل هذا يضفى على الانسان سعادة مجيدة ويشيع فى قلبه بهجة وغبطة . **قال الفيلسوف سنيكا « لايمكن أن تعيش سعيدا اذا عشت لنفسك فقط »** .

+ ومن الناحية العملية فان من يفك ضيقة انسان متضايق لايعدم انسانا يفك ضيقته فى ساعة شدة وضيق . ومن أسعف محتاجا أو نظر الى بائس فسوف يسخر له الله أناسا يرحمونه دون أن يدرى .

+ **وهناك بركات كثيرة ذكرها الرب لحافظى وصاياه ومنها فضـــيلة الصدقة** (انظر لا ٢٦ : ٣ — ١٣ ، تث ٢٨ : ١ — ١٤) .

الدائم بالعطاء

فى العهـــد القــديم :

منذ أن كانت هناك شريعة مكتوبة ، والله قد أعطى وصـــايا صريحــة بالعطاء للفقراء والمحتاجين. قال لشعبه بلسان موسى النبى «ست سنين تزرع ارضك وتجمع غلتها ، وأما السابعة فتريحها **وتتركها ليأكل فقراء شعبك** ، وفضلتهم تأكلها وحوش البرية كذلك تفعل بكرمك وزيتـــونك » (خر ٢٣ : ١٠ ، ١١) . وقال أيضا « اذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده » (لا ٢٥ : ٣٥) . وجاء فى سفر التثنية «ان كان فيك فقير أحد من اخوتك فى أحد أبوابك ، فى أرضـــك التى يعطيك الرب الهك ، فـــلا تقس قلبـــك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير ، بل افتح يدك له ... أعطه ولا يســـوء قلبك عندما تعطيه ، لأنه بسبب هذا الأمر يباركك الرب الهك . **لذلك أنـــا أوصيك قائلا : «افتح يديك لأخيك المسكين والفقير فى أرضك»** (تث ١٥ : ٧ — ١١) . وجاء أيضـــا فى نفس هذا السفر « اذا حصــــدت حصيدك فى حقلك ونسيت حزمة فى الحقل فلا ترجع لتأخذها . للغريب واليتيم والأرملة تكون ، لــكى يبارك الرب الهك فى كل عمـــل يديك . واذا خبطت زيتـــونك فلا تراجع الأغصان وراءك . للغريب واليتيم والأرملة يـــكون . اذا قطفت كرمك فـــلا تغلله وراءك . للغريب واليتيم والأرمـــلة يكـــون » (تث ٢٤ : ١٩ — ٢١) .

وتكلم الرب بلسان أشعياء النبى عن الصوم المقبول لديه تعالى قال «**أن تكسر للجائع خبزك ، وأن تدخل المســـاكين التـــائهين الى بيتك . اذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك** . حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعا ويصير برك أمامك ، ومجد الرب يجمع ساقتك . حينئذ تدعو فيجيب الرب . تستغيث فيقول هأنذا » (اش ٥٨ : ٧ — ٩) . وقد **أوصى طوبيت** ابنه طوبيا قائلا « **تصـــــدق من مالك ولا تحـــول وجهك عن الفقير فيكون أن الله لا يصرف وجهه عنك . كن رحوما حسبما تستطيع ...** فانه يكون لك كنز احسان ليوم الاحتياج ، **لأن الصدقات تنجى من الخطيــة والموت ، وتنقذ النفس من الذهاب الى الظلمة** . الصـــدقة تكون لصانعها هدية مقبولة عند الله العلى » (طوبيت ٤ : ٧ — ١٢) .

ولم يكتف الرب باعطاء هذه الوصايا لشعبه ليعتنوا بالفقراء ، بل توعد من يغفل عنهم أو يظلمهم بعقوبات صارمة . ويكفى أن نعرف من ضمن الأمـــور التى استوجبت سدوم بسببها الحرق بنار وكبريت ، أنها لم تشدد يد الفقير

والمسكين (حز ١٦ : ٤٩) . وقال بلســان موسى النبى « لا تظلم أجيرا مسكينا وفقيرا من اخوتك أو من الغــرباء الذين فى أرضــك فى أبوابك . فى يومه تعطيه أجرته ، ولا تغرب عليه الشمس **لأنه فقير واليها حامل نفسه. لئلا يصرخ عليك الى الرب فتكون عليك خطية** » (تث ٢٤ : ١٤ ، ١٥) . وقد لاحظ ذلك داود النبى فقال « قد علمت أن الرب يجرى حكما للمســاكين وحقا للبائسين » (مز ١٤٠ : ١٢) . كما قال أيضا « التفت (الرب) الى صلاة المضطر ولم يرذل دعاءهم » (مز ١٠٢ : ١٧) .

بل أكثر من هذا نجد أن الرب من عطفه على الفقراء ، أقام نفسه أبا لليتامى وقاضيا للأرامل ، يعتنى بهم ويقضى حوائجهم ويقتص من ظالميهم اذ ليس لهم انسان يعتنى بهم . قال داود النبى **« أبو اليتامى وقاضى الأرامل الله فى مسكن قدسه »** (مز ٦٨ : ٥) . وقال أيضا « الرب يحفظ الغرباء ، يعضد اليتيم والأرملة » (مز ١٤٦ : ٩) . كما قال « تميل اذنك لحق اليتيم والمنسحق لكى لا يعود أيضا يرعبهم انسان من الأرض » (مز ١٠ : ١٧، ١٨). وقد أكد يشوع ابن سيراخ نفس هذا المعنى فقال **« كن لليتامى كأب ولأمهم كأنك رجلها ، فتكون كابن العلى ، وهو يحبك أكثر مما تحبك أمك »** (سيراخ ٤ : ١٠) . ولما وبخ أعظم مواليد النساء الجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه وحثهم على أن يصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، سألوه عن كنه هذه الثمار وعما يفعلونه فكان جوابه عليهم « من له ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا (لو ٣ : ٧ ــ ١١) .

فى العهــــد الجــديد :

ما أكثر ماقاله رب المجد خاصا بالصدقة والحدب على الفقراء: « بيعوا مالكم واعطوا صدقة . اعملوا لكم أكياسا لاتفنى . وكنزا لاينفذ فى السموات حيث لا يقرب سارق ولا يبلى سوس . لأنه حيث يكون كنزكم هنــاك يكون قلبكم أيضا » (لو ١٢ : ٣٣ ، ٣٤) ... « **اعطوا ماعندكم صدقة** فهوذا كل شىء يكون نقيا لكم » (لو ١١ : ٤١) ... « أحبوا أعــداءكم **واحســنوا واقرضوا وأنتم لا ترجون شيئا** فيكون أجركم عظيما وتــكونوا بنى العلى . فانه منعم على غير الشاكرين والأشرار . **فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضــا رحيم »** (لو ٦ : ٣٥ ، ٣٦) . **وبعد أن أورد مثل الغنى الــذى أخصبت كورته ، الذى نعته الله بالغباء ، قال « وهكذا الذى يكنز لنفسه وليس هو غنيا لله »** (لو ١٢ ، ١٦ ــ ٢١) ... **وفى مثل الغنى ولعازر** ــ وقد أشرنا اليه قبلا ــ أوضح الرب أن خطية ذلك الغنى كانت أنه « يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفها » ، بينما تغافل عن لعازر المسكين الذى « طرح عند بابه مضروبا بالقروح ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى » (لو ١٦ : ١٩ ــ ٣١) ... والقديس لوقا الذى أورد هذا المثل فى

انجيله مهد له بقوله « وكان الفريسيون أيضا يسمعون هذا كله وهم محبون للمال فاستهزأوا به فقال لهم ... » (لو ١٦ : ١٤) .

وقد انعكست تعاليم الرب يسوع عن الصدقة على رسله وتلاميذه ، فوضح ذلك في كتاباتهم . فقال القديس بولس الرسول في خطبة وداعية الى قسوس افسس « متذكرين كلمات الرب يسوع انه قال مغبوط هو العطاء اكثر من الأخذ » (اع ٢٠ : ٣٥) . وكتب الى تيموثاوس في الرسالة قائلا له « أوص الأغنياء في الدهر الحاضر ... ان يكونوا اسخياء في العطاء كرماء في التوزيع ، مدخرين لأنفسهم أساسا حسنا للمستقبل ، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية » (١ تي ٦ : ١٧ — ١٩) . وفي خاتمة رسالته الى العبرانيين قال لهم « لتثبت المحبة الأخوية . لا تنسوا اضافة الغرباء لأن بها اضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون . اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم ، والمذلين كأنكم أيضا في الجسد » ... ولا شك أن المحبة الأخوية لاتظهر الا بالأعمال الايجابية ، ومنها أعمال الرحمة التي ذكر من بينها الرسول اضافة الغرباء . وقد حث المؤمنين على مشاركة المتضايقين والمذلولين احساسهم . ومما يوضح أن غرض الرسول كان حث المؤمنين على اعمال الرحمة ، ما ذكره بعد ذلك مباشرة « لتكن سيرتكم خالية من محبة المال » (عب ١٣ : ١ — ٥) .

اما يعقوب الرسول، فقد تحدث طويلا ، وفي روعة، عن اعمال الرحمة، وقد لخص ذلك في قوله « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه ، افتقاد اليتامى والارامل في ضيقتهم ، وحفظ الانسان نفسه بلا دنس من العالم » (يع ١ : ٢٧) ... لاحظ أنه قدم عمل الرحمة على حفظ الانسان نفسه بلا دنس !! ونفس هذا الرسول حمل على اولئك الذين كتب اليهم رسالته لأنهم أهانوا الفقير (يع ٢ : ٦) .

العطاء في الكنيسة الأولى :

ان الايمان بيسوع المسيح ربنا والامتلاء من روحه القدوس جعل المؤمنين يشعرون أن لهم « قلبا واحدا ونفسا واحدا » (اع ٤ : ٣٢) . وانهم اعضاء معا في أخوية مختارة ، بل اعضاء في جسد واحد . لذلك لم يكن أمرا غريبا أن يحسوا باحساس بعضهم ، ولم يكن سوى العدل ان فضلة البعض يجب أن تنتقل لتخفف احتياجات الآخرين « هكذا لم يكن أحد يقول ان شيئا من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركا » (أع ٤ : ٣٢) .

ويصف كاتب سفر الأعمال ماكانت عليه الكنيسة فيقول « ونعمة عظيمة كانت على جميعهم اذ لم يكن فيهم احد محتاجا ، لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات

ويضعونها عنـــد ارجل الرسل . فكان يوزع على كل واحد كمـــا يكون له احتياج » (اع ٤ : ٣٣ ــ ٣٥) ، (انظر ايضا اع ٢ : ٤٤ : ٤٥) .

ولما كثر عدد المؤمنين وكثرت معه الهبات والتبرعات ، وجد الرسل انه ليس حسنا أن يتركوا كلمة الله ويخدموا موائد .. وهكذا اقاموا طبقة خاصة من الخدام (الشمامسة) ليقوموا بهذه المهمة حتى لايغفل عن احد فى الخدمة اليومية (اع ٦ : ١ ــ ٨) . **هكذا كان العطاء ظاهرا فى كنيسة المسيح منذ تاسيسها كامر أساسى فى خدمتهم** . ولا يمكن ان يجهل كل دارس لتـــاريخ الكنيسة مدى تأثير العطاء فى تاريخها المبكر .

وقد اهتم القديس بولس الرسول فى رحلاته الكرازية بخدمة الفقراء وقال فى رســـالته الى اهل غلاطية عن ذلك « وهذا عينـــه كنت اعتنيت ان افعله » (غل ٢ : ١٠) . وفى مدينة قيصرية ــ حيث كان القديس بولس مقبوضـــا عليه ــ وقف يدافع عن نفسه امام الوالى قائلا « وبعـــد سنين كثيرة جئت اصنع صدقات لأمتى وقرابين » (اع ٢٤ : ١٧) . وفى رسالته الى العبرانيين، بعد ان حدثهم عن الصلاة والتسبيح ، استدرك مذكرا اياهم بأعمال الرحمة بقوله « ولكن لا تنســـوا فعل الخير والتوزيع لأن بذبائح مثل هذه يسر الله » (عب ١٣ : ١٦) (انظر فى ٤ : ١٧ ــ ١٩) .

من هم المطالبون بالعطـــاء :

ليس الأغنياء وحدهم هم المطالبون بالعطاء ، بل الجميع دون تمييز حتى رجال الدين الذين يقبلون العطاء من الناس . يقول الرسول « فاذن **حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير »** (غل ٦ : ١٠) . ويقول فى موضع ثان عن المسيحيين فى مكدونية « ثم نعرفكم أيها الاخوة نعمة الله المعطاة فى كنائس مكدونية . **انه فى اختبار ضيقة شديدة فاض وفور فرحهم وفقرهم العميق لغنى سخائهم، لأنهم اعطوا حسب الطاقة ، انا أشهد وفوق الطاقة »** (٢ كو ٨ : ١ ــ ٣) .. فعلى الرغم من ان فقرهم كان عميقا لكن سخاءهم كان وافرا .

ومن خير الأمثلة التى أوردها الكتاب مثل الأرملة التى دفعت الفلسين ــ كل معيشتها ــ ومدحها الرب ، وقال انها دفعت أكثر من الأغنياء لأنهـــا دفعت من اعوازها . **يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « ان الكلام عن الصدقة أيها الأخوة لا يشمل الأغنياء والعظماء فقط ، بل الفقراء والمساكين ايضا ، لأن فيه نفعا عظيماً وخلاصا للجميع . ولو كان احـــد يعتمد فى معيشته على التسول فاليه ينتهى الخطاب عن الصدقة ، ويكون موافقا له جـــدا . وذلك يعلمنا بانه لا يوجد احد محتاجا وفقيرا بهذا المقـــدار حتى انه لا يوجد لــــديه من حطام الدنيا ما يساوى فلسين !! »** .

كيف نقدم العطاء ؟

حينما جلس السيد المسيح امام خزانة العطاء فى الهيكل ، كان ينظر « كيف يلقى الجمع نحاسا فى الخزانة » (مر ١٢ : ٤١) . **فالله لايهمه مقدار ما نقدمه أو نوعه ، لكن يهمه اكثر ما يهمه مشاعرنا ونحن نقدم تقدماتنا ونعطى عطاءنا . لقد قدم كل من قايين وهابيل قربانا لله لكن الرب نظر الى هابيل وقربانه . ولكن الى قايين وقربانه لم ينظر « (تك ٤ : ٤ ، ٥) . وهكذا يظهر بوضوح أن الله نظر الى المعطى قبلما ينظر الى العطية ذاتها !!**

لقد تكلمنا عن هذه النقطة باسهاب فى موضوع « كيف » فى هذا الكتاب ... **والآن نعود ونسائل انفسنا ، كيف نقدم عطاءنا ؟**

(١) وفاء لدين :

حينما نقدم عطاءنا لله يجب الا نشعر أننا متفضلون ، بل نشعر أننا نقدم لله جزءا مما أعطاه ايانا . قال داود بعد أن جمع الكثير من الذهب والفضة لبناء بيت الله **« لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك »** (١ أى ٢٩ : ١٤) . لنذكر أننا نسدد دينا فى أعناقنا للرب ــ جزءا يسيرا من هذا الدين . **لقد أعطانا الله الكل فهل لا نعطيه جزءا من هذا الكل ؟** ... ان عطية الله لنا ليست قاصرة على النواحى المادية فحسب ، بل تمتد الى ما هو اسمى من ذلك بكثير ــ الفداء العظيم ، الذى صنعه لنا ابن الله الوحيد ،حينما قدم ذاته ذبيحة كفارة عنا « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلاعيب ولا دنس دم المسيح » (١ بط ١ : ١٨ ، ١٩) . وعندما تكلم بولس الرسول عن عطاء المكدونيين ، لفت النظر ووجه الأنظار الى عطية الله العظمى ــ الى تنازل المسيح الفائق والى سخائه الذى امامه يتضاءل عطاء المكدونيين « فانكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من اجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) ... انه لا يجب علينا فقط ان نقدم عطايانا لله بل أن نصلى الى الله كى يقبل تقدماتنا . **انه متى قبل الفقير صدقتك فقد صنع معك احسانا .** وقد عبر معلمنا بولس عن ذلك بقوله «لأن اهل مكدونية واخائية استحسنوا ان يصنعوا توزيعا لفقراء القديسين الذين فى أورشليم ... فأطلب اليكم أيها الاخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح ان تجاهدوا معى فى الصلوات من اجلى الى الله ... **لكى تكون خدمتى لأجل اورشليم مقبولة عند القديسين »** (رو ١٥ : ٢٧ ــ ٣١) .

(٢) بروح المحبـــة :

المحبة فى كل أمر وكل فضيلة وكل ممارسة هى بمثابة الروح للجسد . اذا فارقت الروح الجسد يصير لتوه جثة هامدة ، سرعان ما تصبح جيفة نتنة . **هكذا كل فضيلة تخلو من روح المحبـــة هى مرفوضـــة لدى الله . أن** المسيحية تسمو بمشاعرنا لكى نحس بآلام الآخــرين « فرحا مــع الفرحين وبكاء مع الباكين » . لقد قيل عن الرب انه « يرثى لضـــعفاتنا » (عب ٤ : ١٥) . **والمؤمن الذى تخلو حياته من المحبة الأخوية يبرهن على أنه ليس تلميذا للرب الذى قال « بهذا يعرف الجميع انكــم تلاميذى أن كان لكم حب بعضـــا لبعض »** (يو ١٣ : ٣٥) . ولاتعتبر محبة أن ترى أخاك محتاجا وتغلق أحشاءك دونه **« وأما من كان له معيشة العالم ونظر اخاه محتاجا وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه . يا أولادى لانحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق »** (١ يو ٣ : ١٧ ، ١٨) ... علينا أن نتشبه بأبينا السماوى الذى صنع قديما لوالدينا الأولين أقمصة وألبسهما بعد أن تعريا من ثوب النعمة (تك ٣ : ٢١) . يؤيد هذا قول معلمنا بولس الرسول **« ان أطعمت أموالى وأســـلمت جســـدى حتى أحترق ولكن ليس لى محبة فلا أنتفع شـــيئا »** (١ كو ١٣ : ٣) .

وكما قدمنا ، أن الرب لحكمة سامية مقدسة سمح بالفوارق المادية بين الناس حتى يعطى للبشر فرصة التدريب على الفضائل واكتسابها . ولا شك أن المحبة تأتى فى مقدمة الفضائل التى يريدنا الرب أن نقتنيها ونرتبط بها . وحينما أنظر فى حب الى اخوتى المساكين أتحرك بالشفقة نحوهم لأن فى هذه الحالة انظر اليهم لا كمساكين بل كأخوة بل تربطنا سويا المحبـــة التى يدعوها الرسول « رباط الكمال » . أما من جهة العطاء الذى نقدمه للرب فواضح أنه **ان لم يكن صادرا عن قلب مفعم بالحب فهو مرفوض بلا شك** « ان اعطى **الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا »** (نش ٨ : ٧) .

(٣) باختيــــــار :

يجب الا يكون العطاء بسبب الخجل أو بدافع الالحاح ، أو من اجـــل شخص ، بل باختيار ... **« ليس عن حزن أو اضطرار »** (٢ كو ٩ : ٧) . **وقد** ذكر الرســـول بولس عن المكدونيين أنهم أعطوا **« من تلقـــاء أنفسهم »** (٢ كو ٨ : ٣) .

(٤) فى انـــكار ذات :

وثمة نقطة أخرى حمل السيد المسيح عليها لأنها كانت آفـــة اليهود فى عصره ، تلك هى حب الظهور والمجد العالمى ومديح الآخرين . ومبدأ انــــكار

الذات (١) من المبادىء الهامة التى اهتم رب المجد ان يعلمنا اياها ، ويسير عليه المسيحيون الأصليون ، حتى أن معلمنا بولس يثبت هذا المبدأ فى اذهان الكولوسيين فيقول لهم « **وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس . عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث** » (كو ٣ : ٢٣ ، ٢٤) . هذا من الناحية العامة .

أما بخصوص العطاء والصدقة فقد قال الرب يسوع « احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم ، والا فليس لكم اجر عند ابيكم الذى فى السموات . **فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق** كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس . الحق اقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم . **وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعله يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء** . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ١ — ٤) . ووصية السيد بأن « لاتعرف شمالك ما تفعله يمينك » كناية عن رغبة الرب فى شدة انكارنا لذواتنا . **انه لا يقصد** الا يرانا احد . فحتى لو رآنا كل الناس ونحن لا نقصد الى حب الظهور ومديح الاخرين ، فان ذلك لا يؤثر فى قبول الرب لعطايانا . **يقول القديس**

نقبل النعمة وشركة الخدمة التى للقديسين . وليس كما رجونا **بل اعطوا انفسهم أولا للرب** ولنا بمشيئة الله » (٢ كو ٨ : ١ — ٥) .

وبالاضافة الى عبارات الرسول التى وردت فى هذه الآيات عن السخاء، **فان الرسول قد كشف سر هذا السخاء فى عبارته « بل اعطوا انفسهم اولا للرب »** . هذا هو سر السخاء . **فالانسان الذى أعطى ذاته كلها لله ، هل يضن بأشياء مادية تافهة** ... وهل يتعذر ويعسر ويصعب على من اعطى الكل — اى ذاته — أن يعطى الجزء ، اى المادة ؟! اننا نلاحظ هذه الظاهرة واضحة فى حياة الكنيسة والمؤمنين . فالانسان الذى أعطى ذاته بالفعل للرب — ولا اقصد التكريس الاسمى — لا يضن عليه بمال أو بوقت او بجهد أو بولد ... الخ . يوجد قوم يعطون فى الظاهر اشياء كثيرة نسبيا — لغرض أو لآخر — لكن القلب من الداخل لا يكون مستقيما او مكرسا . ومن أمثلة هؤلاء حنانيا وسفيره اللذان ورد ذكرهما فى سفر الأعمال (اع ٥) .

نعود الى السخاء فى العطاء فنقول انه كان شيمة المؤمنين الحقيقيين فى الكنيسة الأولى . فبعد أن أورد الرسول بولس عبارته السابقة يقول **« من يزرع بالشح فبالشح ايضا يحصد ، ومن يزرع بالبركات فبالبركات ايضا يحصد »** (٢ كو ٩ : ٦) . **والقديس كبريانوس الأسقف والشهيد** بعدما استعرض قصة الأرملة التى ألقت الفلسين فى الخزانة ومدحها الرب ، يقول **« مغبوطة جدا ومكرمة المرأة التى استحقت — حتى قبل يوم الدينونة — أن تمدح بصوت القاضى ! فليخجل الأغنياء لشحهم وعدم ايمانهم . الأرملة المحتاجة فى دخلها ، وجدت غنية فى أعمالها** . وعلى الرغم من ان كل شىء يقدم ، يوزع على الأرامل والأيتام ، فمع ذلك أعطت الذى منه ينبغى أن تأخذ ... » .

(٦) بفرح وسرور :

يدل السرور على صدق النية وحسن الطوية ، وعلى ما يكنه القلب من مودة أخوية يتشجع بها المحتاج لأن يأخذ . وهكذا يقول الرسول « كل واحد كما ينوى بقلبه ، ليس عن حزن أو اضطرار ، **لأن المعطى المسرور يحبه الله »** (٢ كو ٩ : ٧) . **والقديس يوحنا ذهبى الفم بعد أن استعرض قصة اضافة أبينا ابراهيم للثلاثة رجال يقول** « لنعجب من فعل أبى الآباء ابراهيم الذى كان فى داره ثلثمائة وثمانية عشر مولى ، ولم يأمر احدا منهم أن يذهب الى القطيع ، بل هو بنفسه عانى أمر خدمتهم ، اذ كان هرما نحيفا ، لكنه أسرع عاجلا نحو الماشية واخذ العجل . فانظر ولا تخجل مستحيا أن تخدم المسكين بيديك وانت رجل معتبر . واذا كان السيد المسيح خالقك لا يستحى من أن يمد يده ويتناول الصدقة المعطاة للمساكين ، فكيف

أنت أيها الحيوان الناطق تستحى أن تمد يدك وتعطيه جزءا يسيرا من الفضة أو كسرة من الزاد ... **الأولى بنا الا نأنف من خدمة المساكين وراحتهم لأن أيدينا تتقدس بواسطة خدمتهم . واذا رفعناها وقت الصلاة بنظرها البارى مباركة ، فيتحنن علينا ويعطينا سؤلنا تاما »** .

ونود أن نشير هنا الى نوع من الناس يعنفون السائل أو الفقير بعد ان يعطونه صدقة . ان يعقوب الرسول يقول لمثل هؤلاء « **أما أنتم فأهنتم** الفقير » (يع ٢ : ٦) . **يقول القديس يوحنا ذهبى الفم** « ان الرحوم هو الانسان العظيم والرجل الكريم ، الفاعل الخير ببشاشة واشتياق من غير تقطيب ولا حزن ... ولا يحصل له الارتياح فى العطاء ، الا اذا ظن فى فكره الصالح انه لا يعطى بل يأخذ ، وقاس فى عقله انه هو الكاسب الرابح ، وانه هو المحسن اليه ولا يعد ما يعطيه خسارة وذاهب سدى » .

(٧) من ربح حلال :

نصت قوانين الكنيسة ــ كما جاء فى الباب الخامس عشر من الدسقولية ــ الا نقبل تقدمات الأشرار وغير المؤمنين ، واذا اضطرت الكنيسة الى قبولها فلتشترى بها خشبا أو حطبا للحريق كناية عن أنها تستحق الحرق . انها اهانة كبيرة لله أن نقدم له تقدمات من ربح غير مشروع أو نتيجة فعل الشر كأموال الزناة مثلا . واذا كان داود النبى قال « **زيت الخاطىء لايدهن رأسى** » ، فكم ينبغى أن يكون الوضع بالنسبة لله !!

قال الرب قديما بلسان ملاخى النبى « تقولون بم احتقرنا اسمك ... ان قربتم الأعمى ذبيحة أفليس ذلك شرا . وان قربتم الأعرج والسقيم افليس ذلك شرا . قربه لواليك افيرضى عليك او يرفع وجهك ... ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم » (ملا ١ : ٦ ــ ١٠) .

والقديس يوحنا ذهبى الفم ، بعد أن تحدث عن الصدقة ، وأظهر انها أعظم من الصلاة والصوم وأمور كثيرة غيرهما ، قال « بشرط أن تكون من ربح حلال وأتعاب حقيقية . وتكون خالية من الطمع والاغتصاب والعنف ... ان التقدمات غير الطاهرة تغضب الله أكثر مما تسره . لذا علينا أن نحترس كل الاحتراس لئلا عوض أن نخدمه نهينه ... واذا كان قايين ــ لأنه لم يقدم أحسن ماعنده من التقدمات نال عقابا كبيرا جدا ، فماذا عساه يصيبنا أن نحن قدمنا شيئا حصلنا عليه باغتصاب وطمع ...!!»

... **ويقول القديس اغسطينوس** فى تعليقه على قول الرب اقتنوا لكم أصدقاء بمال الظلم « أعطوا صدقات من أعمالكم الصالحة . اعطوا مما تملكونه بالبر لأنكم لا تستطيعون أن تقدموا رشوة للمسيح قاضيكم ، حتى لا يستمع اليكم معا مع الفقراء الذين أؤتمنتم عليهم من قبله ... »

العشـــور

عصر ما قبل الشريعـــة :

موضوع العشور موضوع قديم ، لا نستطيع أن نحدد مبـــداه . كان يمارسه رجال الله حتى قبل عهد الناموس . فنحن نقرأ عن ابراهيم — الذى عاش قبل موسى — انه وهو راجع من كسرة الملوك **أعطى العشور من كـل شىء الى ملكى صادق كاهن الله العلى الذى منه اقتبل بركة** (تك ١٤ : ٢٠) . وجدير بالملاحظة أن ابراهيم قدم العشور لملكى صـــادق باعتباره كاهن الله العلى ، وليس باعتباره صديقا . وقد أشار القديس بولس الى هذا الحادث فى رسالته الى العبرانيين ، وكان قصده اثبات أفضـــلية الكهنوت الملـــكى صـــادقى عن الكهنوت اللاوى « هنـــا أناس مائتون (يقصـــد اللاويين يأخذون عشرا ، وأما هناك فالمشهود له بأنه حى (أى المسيح) » (انظر عب ٧ : ١ — ١٠) .

ويعقوب أب الآباء أيضا — الذى عاش قبل موسى — بعد الرؤيا التى رآها (السلم المنصوب الى السماء) ، وبعد أن باركه الرب وأزال خوفه ، نذر نذرا قائلا « **ان كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى أنا سائر فيه ... وكل ما تعطينى فانى أعشره لك** » (تك ٢٨ : ٢٠ — ٢٢) .

عصر الشريعـــة :

ولما اقبل عصر الشريعة ، ظهرت العشور بصورة الوصية فى ناموس موسى . لقد كان أمر الرب الى شعبه أن يعشروا كل مصادر دخلهم «تعشيرا تعشر كل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة ... عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك لـــكى تتعلم أن تتقى الرب الهك كـل الأيام » (تث ١٤ : ٢٢ ، ٢٣) ... **وكانت العشور بهذه الصورة نوعا من تكريم الرب ، واشعارا لبنى اسرائيـــل بأن الله هو مالك الأرض ، ومعطى كل ثمارها وخيراتها ، أما هم فلم يكونوا سوى زراعها ومســـتاجريها** . من أجل هذا كان لزاما عليهم أن يقـــدموا له الشـــكر والاكرام من أجـــل كثرة خيراته . قال الحكيم « اكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلتك ، فتمتلىء خزائنك شبعا وتفيض معاصرك مسطارا » (أم ٣ : ٩ ، ١٠) . ونحن نقرأ فى العهد القديم عن اكثر من نوع من العشـــور :

(١) **العشر الأول** الذى كانت تطلبه الشريعة من اليهود هو لله «قدس للرب » (لا ٢٧ : ٣٠) . وهذا العشر لا يفك ولا يفدى ولا يبدل . وان فكه انسان يزيد عليه خمسه ، وان ابدله يكون هو وبديله قدسا لايفك (لا ٢٧ :

٣١ ــ ٣٣) . وهو بذلك لا يجوز استخدامه فى أى شىء لأنه موقوف للرب. ويبدو أن الشريعة كانت تنص على ان هذا العشر الذى هو خاص بالله ، يكون من نصيب اللاويين (خدام الله) الذين لا نصيب لهم مع سائر اخوتهم (عد ١٨ : ٢٠ ، ٢١) . قال الرب لهارون « لاتنال نصيبا فى أرضهم ، ولا يكون لك قسم فى وسطهم . أنا قسمك ونصيبك فى وسط بنى اسرائيل . وأما بنو لاوى فانى قد أعطيتهم كل عشر فى اسرائيل ميراثا عوض خدمتهم التى يخدمونها ،خدمة خيمةالاجتماع ... انعشور بنىاسرائيل التىيرفعونها للرب رفيعة قد أعطيتها للاويين نصيبا ، لذلك قلت لهم فى وسط بنى اسرائيل لا ينالون نصيبا » (عد ١٨ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤) .

(ب) **وقد ذكر عشر للاحتفال بالمواسم والأعياد** يمكن أن يفدى أو يفك (تث ١٤ : ٢٢ ــ ٢٧) .

(جـ) **ونكر عشر للفقراء والمساكين والغرباء** مرة كل ثلاث سنين (تث ١٤ : ٢٨ ، ٢٩) .

(د) **ونكر عشر لبيت الله** (انظر تث ١٢ : ٥ ، ٦ ، ١١ ونح ١٠ : ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ و١٣ : ١١ ، ١٢ وعا ٤ : ٤ وملا ٣ : ١٠) . اذ لما اقام الله عبادة منظمة بين اليهود ، تطلبت تلك العبادة نفقات كانت تسد من العشور لذلك قال فى (ملا ٣ : ١٠) « هاتوا جميع العشور الى الخزانة (اى خزنة بيت الرب) ليكون فى بيتى طعام » أى طعام للكهنة واللاويين وخدام بيت الله ، ومن يلجأ فى طلب الحاجة الى بيت الله . ونقرا عن نحميا أنه طالب باحضار العشور والتقدمات والنذور وغيرها الى بيت الرب عندما أهملت من الشعب . لذا يقول « فخاصمت الولاة وقلت لماذا ترك بيت الله » (نح ١٣ : ١١) .

والى جانب وصايا الرب بتقديم العشور ، نقرأ عن مواعيده وبركاته لمقدميها . والحق أن فى كل مواعيد الله بالبركات لبنى البشر ، قد لا نجد فى الكتاب المقدس أقوى من الوعد ببركات دفع العشور . فى هذه الوصية يضع الله نفسه تحت التجربة والاختبار **« هاتوا جميع العشور ... وجربونى بهذا قال رب الجنود . ان كنت لا افتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع »** (ملا ٣ : ١٠) ، ومع أنه مكتوب « لاتجرب الرب الهك (تث ٦ : ١٦ ومت ٤ : ٧) ، لكن الله يقول فى هذا الموضع **«جربونى»** . وهل بعد هذا نشك فى أمانة الله ، وهل الأمر يحتاج أن نضعه تحت الاختبار والتجربة . ولا شك أن القصد من هذه التجربة ، ليس اثبات أمانة الله ، بل تثبيت ثقتنا نحن فى صدق مواعيده ... « أفيض عليكم بركة حتى لا توسع » أى لا تجدون مكانا يسعها . « أفتح لكم كوى السموات » . وماذا عن كوى السموات التى فتحها الله قديما زمان نوح فأغرق العالم . فكم يكون الموقف اذا فتحت كوى السموات ، لكن للخير والبركة !!

وبعد ذلك يتابع الرب مواعيده بسبب وفاء العشور فيقول « وانتهر من أجلكم الآكل فلا يفسد لكم ثمر الأرض ، ولا يعقر لكم الكرم فى الحقل قال رب الجنود . ويطوبكم كل الأمم لأنكم تكونون أرض مسرة قال رب الجنود » (ملا ٣ : ١١ ، ١٢) ... انها بركات عميقة تحتاج الى وقفات تأملية طويلة ...

والأمر ليس قاصرا على الناحية الايجابية ، ناحية البركة ... **بل هناك لعنة على المتنعين عن دفع العشور ، الذين يدعوهم الرب سالبيه** . والرب فى تعجب، يقول « أيسلب الانسان الله . فانكم سلبتمونى . **فقلتم بم سلبناك فى العشور والتقدمة** . قد لعنتم لعنا واياى أنتم سالبون ... » (ملا ٣ : ٨ ، ٩) .

العهد الجديد :

لقد اعلن السيد المسيح انه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمله (مت ٥ : ١٧) . وصية العشور من الوصايا التى لم تبطل بالعهد الجديد ، من حيث انها لم تكن رمزا لشىء من أشياء العهد الجديد . فهى ـــ كما ذكرنا ـــ لشكر الله واكرامه ، وهى بذلك أمر يجب أن يبقى ويستمر ، بل يظهر فى صورة أسمى وأروع فى ظل بركات العهد الجديد ، وبنوية الروح ... وفى حديث السيد المسيح عن العشور ما يفيد انه يؤيده ، قال « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم **تعشرون** النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان . **كان ينبغى ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك »** (مت ٢٣ : ٢٣ ، لو ١١ : ٣٢) .

هذا عن العشور عامة . **لكن السيد المسيح أعلن أنه « ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسين لن تدخلوا ملكوت السموات** (مت ٥ : ٢٠) ... ومعلوم أن العشور كانت من ضمن بر هؤلاء الكتبة والفريسيين التى يتباهون بها بدليل ما أورده الرب يسوع عن الفريسى الذى صعد الى الهيكل ليصلى ، وأخذ يعدد نواحى بره أمام الله « أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كلما اقتنيه» (لو ١٨ : ١٢) ... ولقد قدم لوقا الانجيلى الذى أورد هذا المثل بقوله « وقال (يسوع) لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار » . فالعشور كانت من ضمن بر هؤلاء الكتبة والفريسيين ... **وبهذا أوضح الرب يسوع مبدأ العطاء فى** العهد الجديد ... وهو مبدأ تجاوز العشور كحد أدنى الى حد بيع كل **شىء واعطائه صدقة « بيعوا مالكم واعطوا صدقة »** (لو ١٢ : ٣٣) ... **« اعطوا ما عندكم صدقة ، فهو ذا كل شىء يكون** نقيا لكم » (لو ١١ : ٤١) ...

وقد أشار رسل ربنا يسوع المسيح فى الدسقولية ، الى ما فرضته

شريعة العهد القديم بخصوص العطاء ، وثبتوه وجعلوه واجبا على المسيحيين بقولهم « كل ما قيل أولا » ، سموه الآن أيضا : **العشور** والبكور وعشور الخلاص تقررت منذ القدم ليسوع المسيح — رئيس الكهنة الحقيقى — ذاك الذى أول اسمه هو **العشرة** (١) ، ولخدامه » . **وقد اشارت قوانين الرسل الى العشور**. ففى الكتاب الثانى فصل ٢٥ نقرأ عن «**تقدمات العشور وباكورات** الثمار التى تقدم كأمر الله ليتصرف فيها الأسقف باعتباره رجل الله » (أنظر الكتاب السابع فصل ٣٠ والكتاب الثامن فصل ٣٠ التى تنظم صرف العشور) . وهكذا حفظت كنيسة العهد الجديد نظام العشور كحد أدنى ...

حقيقة أننا لا نقرأ عن نظام ثابت للعطاء فى كتب العهد الجديد . وكان العطاء حرا واختياريا ، ولم تحدد قيم معينة لدفعها للكنيسة . ولم يحدد قدر معين من الدخل كما كانت العشور فى العهد القديم . ويتضح ذلك من قصة حنانيا « اليس وهو باق كان يبقى لك . ولما بيع الم يكن فى سلطانك » (أع ٥ : ٤) ... بدون أى اجبار أو الزام ، **لكنه الالزام نتيجة الاحساس الداخلى** . وحينما تكلم معلمنا بولس الى كنيسة كورنثوس أن يشاركوا فى احتياجات قديسى أورشليم ، كان حريصا أن يستحثهم خلال ضمائرهم . ليس على سبيل الأمر بل ببساطة كمعاونة ، لكى يبرهنوا على اخلاص حبهم (١ كو ١٦ : ١ — ٣) . هكذا سارت الكنيسة الأولى على هذا المبدأ « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » (أع ٢٠ : ٣٥) .

وهانحن نعرض لأقوال بعض آباء الكنيسة فى عصورها الأولى عن العطاء والعشور :

فى القرن الأول : لسنا نعرف شهادة واحدة عن دفع العشور ، لكن كان يوجد بيع الممتلكات كلها وتقديمها للرسل لتوزيعها على المحتاجين « وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن أحد يقول ان شيئا من امواله له ، بل كان عندهم كل شىء مشتركا ... **لم يكن فيهم احد محتاجا لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل** ، فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج » (أع ٤ : ٣٢ — ٣٥) ... وحينما حدث جمع فى انطاكية لفقراء اليهودية ، دفع كل انسان « **حسبما تيسر** » (أع ١١ : ٢٩).

وفى كنيستى غلاطية وكورنثوس أوصى الرسول بولس ان يدفع كل واحد « ماتيسر » (١ كو ١٦ : ١ ، ٢) . وفى الرسالتين الى تيموثاوس حيث تناول

---

(١) اشارة الى أن أول اسم يسوع باليونانية هو حرف « يوتا » ويساوى عشرة .

بولس الرسول معالجة موضوع مالية الكنيسة ، لا توجد اشارة للعشور او اى نسبة محددة تدفع . . .

فى القرن الثانى : استمرت فورة الايمان والحب ، واستمر معها السخاء فى العطاء . وكان المؤمنون يشعرون أن فى ربط نسبة معينة للعطاء ، تقييد لروح المحبة المسيحية الحرة . والقديس ايريناوس — من آباء هذا القرن — يقول « ان ربنا اتى لكى يمد ويوسع الناموس ، وعوض الأوامر القاطعة جعل المبادىء ، ولذلك فبدل لاتزن أوصى الناس الا يشتهوا ، وبدل لا تقتل، لاتغضب **وبدل دفع العشور ، أن يوزع الانسان كل أمواله على الفقراء .** وهكذا ازاح المسيح قيود العبودية » . ويعود القديس ايريناوس ويقابل بين عبودية الناموس الموسوى وبين حرية بنوية المسيحيين فيقول **« ولهذا السبب ، بينما كانوا (اليهود) يعتبرون عشور ممتلكاتهم امرا مخصصا لله ، فعلى عكس ذلك ، أولئك الذين نالوا الحرية جعلوا فى خدمة الله كل مالهم ، بفرح وحرية ، معطين ليس اقل ، بل بقدر ما كان لهم رجاء عظيم » .**

فى القرن الثالث : **العلامة أوريجانوس فى دفاعه عن تقديم باكورة الثمار ،** يذكر العشور أيضا ، ليس كواجب على المسيحيين، بل كحد ادنى سيزيد عنه **المسيحيون .** وبعد أن أورد ما جاء فى (مت ٢٣ : ٢٣) « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولاتتركوا تلك» . قال « ولكن ان قلتم ان السيد المسيح كان يقول هذا للفريسيين وليس للتلاميذ فاسمعوه ثانية يقول للتلاميذ ، ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ٥ : ٢٠) . اذن فما أراد أن يعمله الفريسيون أراد أن يتممه التلاميذ أكثر كثيرا ، وبوفرة أكثر . وما لم يرغب أن يعمله التلاميذ ، لم يوص ولا الفريسيين أن يعملوه . كيف اذن يزيد برنا عن بر الكتبة والفريسيين ، اذا كانوا لا يجرؤون على أن يذوقوا ثمار ارضهم قبل أن يقدموا أوائلها للكهنة ، وأن يفصلوا عشورهم للاويين . أما أنا فبينما لاأفعل شيئا من هذه أسىء استعمال ثمار الأرض هكذا ، حتى أن الكهنة لا يعرفون شيئا عنها ، واللاويون يجهلونها، والمذبح المقدس لم يرها !» فى عظته الحادية عشر على سفر العدد) .

والقديس كبريانوس ناح على الاقلال من تقديم الصدقات ، قال « اذن لقد كانوا يبيعون بيوتا وممتلكات ، لكننا الآن لا ندفع من ميراثنا حتى العشور . وحينما يأمرنا الرب أن نبيع ، نشترى بالأحرى ونتوسع » .

فى القرن الرابع : يقول القديس أمبروسيوس فى العظة ٣٤ « لقد احتفظ الله بالعشر لنفسه ، وليس من حق أى انسان أن يستبقى ما احتفظ به الرب.

لنفسه . لقد اعطاك تسعة اجزاء واستبقى لذاته الجزء العاشر . واذا كنت سوف لا تعطى الله **الجـــزء** العاشر ، فسوف يأخذ منك التسعة اجزاء » . ويقول فى عظة يوم عيد الصعود « المسيحى الصالح يدفع العشور سنويا حتى تعطى للمساكين » .

والقديس يوحنا ذهبى الفم : فى العظة الرابعة على أفسس (الاصحاح الثانى) يقول « ان اليهود دفعوا عشرين بينما الآن ، لفت أحدهم نظره فى دهشة ، فلان وفلان يدفعان العشور ! اليس هـــذا مخجلا ؟ ! اذا كان من الخطر أن تهمل العشور فى ظل الناموس ، فكم يكون الخطر الآن !» .

فى القرن الخامس : يقول القديس ايرونيموس فى شرحه (ملاخى ٣) « ما قلناه عن العشور وباكورات الثمار التى منذ القديم كانت تعطى من الشعب للكهنة واللاويين ، هذا سارت عليه شعوب الكنيسة الذين أوصوا أن يبيعوا كل ما لهم ويعطوا المساكين ويتبعوا الرب المخلص .. ان كنا غير مستعدين لأن نفعل ذلك ، فلا أقل من أن نشابه تعليم اليهود الأول بأن نعطى جزءا من الكل للفقير ، ونعطى الكهنة واللاويين الاكرام الواجب . واذا لـــم يقبل أى واحد ذلك ، فانه يكون مجرما بسلب الله وخداعه » .

والقديس اغسطينوس فى تفسيره للمزمور ١٤٦ يقـــول « لذلك افصلوا شيئا أولا وخصصوا نسبة معينة . . . خصصوا جزءا كبيرا من دخلكم . هــل تدفعون العشور ؟ افصلوا العشور ولو أنها ضئيلة جدا . . . » . وفى العظة ٤٨ بعد أن ذكر أن الضرائب المتزايدة فى عصره فرضت عليهم لأنهم لا يعطون الله الأشياء التى له ، قال **« ان أسلافنا زادت ثروتهم من كل نوع لنفس هذا السبب لقد اعتادوا أن يدفعوا العشور وأن يدفعوا الضريبة لقيصر . اما الآن نجد عكس ذلك فلأن التكريس لله قد توقف ، فان بالوعة الصرف قد اتسعت . لم نكن على استعداد للمساهمة فى العشور مع الله ، والآن كل شىء قد سلب ،** يجب أن تؤدى الصدقات تبعا للقياس والكمية كما ورد فى (طوبيت ٤ : ٨) « فان كان مالك كثيرا فليكن ما تعطى كثيرا ، أو قليلا فقليلا عن طيب قلب » .

والآن بعد أن عرضنا لأقوال بعض آبـــاء الكنيسة فى القرون الخمسة الأولى للمسيحية ، نقول ان السيد المسيح يعلمنـــا بأنه يجب علينا أن نعطى أكثر من العشور ، التى هى الحد المعين فى شريعة العهد القديم . . . مفروض فى عهد النعمة أن يزيد برنا عن الكتبة والفريسيين . المسيحية التى تقدم لنـــا المحبة فى أروع صورها ، تطالبنا بالعطاء بقدر الطاقة فهو مظهر من مظـــاهر الحب . . . ولكن بسبب قلة المحبة وضعف الايمان لا مناص من أن نتمســك بالعشور كحد أدنـــى لا يجوز الاقلال عنه . . .

بعض اعتراضات على العطاء

قد يحجم البعض عن تقديم عشور دخولهم للرب — على الرغم من أنها الحد الادنى للعطاء — **بحجة كثرة مصروفاته وأعبائه المالية وتمشيا مع** الحكمة الشيطانية القائلة « مايحتاجه البيت يحرم على الكنيسة » ... **وقد يحجم فريق ثان عن العطاء بقصد الادخار للمستقبل** لأن ظروف الحياة تتطلب ذلك فضلا عن ان الدهر لايؤمن ... **وهناك فريق ثالث لا يرغبون فى العطاء اصلا ، وان أعطوا ، يقدمون شيئا تافها لا يتناسب مع دخلهم** . كأن يكتفى انسان بالقروش المعدودة التى يضعها فى صندوق أو طبق الكنيسة ، على الرغم من أن عشور دخله تربو على ذلك كثيرا . وحجة هذا الفريق اعتراضات يسوقونها ضد بعض رجال الدين ومسلكهم ازاء المادة . وان هو سئل : « ولماذا لا تعطى الفقراء ؟ » فيجيب بأن جلهم ، ان لم يكونوا جميعا ، أدعياء فقر ومحترفين ... ! وقس على ذلك باقى الاعتراضات المعروفة ...

الاعتراض الأول :

وهو الخاص بكثرة أعباء الحياة ... وهو مردود عليه بوعود الله الكثيرة والعجيبة التى ذكرناها قبلا لذوى العطاء السخى . واذا كان الله قد وعد بأن كأس الماء البارد لا يضيع اجره ، فكم يكون أجر من يطعم الرب ويكسوه فى شخص الجائع والعريان !! **ان مشكلة عصرنا الحالى هو مشكلة الايمان . فالناس يحبون بعقولهم فقط ، دون أن يتيحوا للايمان فرصة أن يعمل فيهم** . انسان دخله الشهرى أربعون جنيها مثلا ، يجلس ويحسب مصروفاته بالأرقام والأعداد ... وتكون النتيجة أن الرب لا يتبقى له شىء . وهذا خطأ شنيع يقع فيه كثيرون . **ان عطاءهم يكون مما يفضل عنهم ، وليس من أعوازهم** . ان سر امتداح الرب يسوع للأرملة التى دفعت الفلسين « أن **الجميع من فضلتهم** ألقوا . وأما هذه **فمن أعوازها** ألقت ... » (مر ١٢ : ٤٤) . نحن نتعلم أن الرب يسوع هو الألف والياء ، البداية والنهاية ... وعلى هذا النحو يجب أن نتصرف ، **فنجعل الرب الأول فى عطائنا** وفى كل شىء ...

ما أحرانا — فى هذا المقام — أن نتذكر كلمات رجل الله ايليا لأرملة صرفة صيداء حينما اعتذرت أن تقدم له كسرة خبز ، وقالت انها لا تملك سوى ملء كف من الدقيق وقليل من الزيت ستعملها كعكة تأكل منها هى وابنها **ثم يموتان** . لقد كان جواب رجل الله على كلامها **« لا تخافى . ادخلى واعملى كقولك . ولكن اعملى لى منها كعكة صغيرة أولا ... ثم أعملى لك ولابنك أخيرا »** (١ مل ١٧ : ١١ — ١٣) ... **ايليا رجل الله أولا ، ثم هى وابنها أخيرا** ... **الرب أولا وأنت وأولادك أخيرا . هذا هو سر البركة ، أن يكون الله أولا** . وهذا هو عين ما حدث ... لم يفرغ ملء كف الدقيق ، ولم ينقص قليل الزيت حتى أعطى الرب مطرا على الارض ... لم يكن رجل الله ايليا أنانيا حين طلب لذاته **أولا** ،

لكنه كان موقنا من بركات الرب التى ستحل بتلك الأرملة نتيجة عملها هذا . ويجب الا تغيب عن بالنا أن اكرام الأرملة لايليا واستضافتها له ، لم يكن أمرا متعلقا به ، بقدرما كان موجها للرب ذاته ، باعتبار ايليا خادمه « من يكرمكم يكرمنى » . . .

الاعتراض الثانى (الادخار) :

قلنا ان فريقا من المؤمنين يقبضون أيديهم عن العطاء بقصد الادخار لمواجهة ظروف الحياة وطوارئها . **ويهمنا ان نبين الراى السليم فى موضوع الادخار** . . . ولكى يتضح لنا الأمر فى هذا المقام يحسن أن**نقسم الادخار الى نوعين رئيسيين :**

(أ) **ادخار لمجرد كنز المال** بحيث يدخر الانسان ما يفيض عن حاجته دون أن تقابل هذا الادخار أية فكرة عن موضوع صرف معين لازم وأساسى . **وهذا الأمر تنهى عنه المسيحية وتعتبره محبة المال** ، وينطبق عليه قول الرب « لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض » .

(ب) وهناك نوع آخر نطاق عليه اسم الادخار تجوزا . وهو جمع قدر معين من المال لصرفه دفعة واحدة فى موضوع أساسى وهام ولازم ، لن يتمكن من الحصول عليه دفعة واحدة . فمن الناحية الشكلية ، مثل هذا الشخص يعتبر انه يدخر مالا . ومن الناحية العملية الحقيقية ، هذا المال ليس مكنوزا ، وانما هو مصروف قبل أن يجمع أى تقابله ناحية صرف معين تنتظره حتى يكمل . **ومثل هذا النوع يمكن أن تجيزه المسيحية ، لأنه ليس محبة للمال أو كنز له .** مثال ذلك ، الأب الذى له أبناء وبنات يتلقون العلم فى المعاهد . هذا لا يعتبر كانزا للمال اذا جمع المصروفات التى يلزم دفعها فى أول العام الدراسى لكى لايتعطل أولاده عن الدراسة . ومثال ذلك أيضا الذى يدخر جزءا من المال لحساب زواج ابنته . فهو ليس كانزا للمال لأنه فى غالبية الأحوال يصرف هذا المال المدخر ويستدين فوقه ليكمل المصروفات المستحقة . . .**من أجل هذا لا يخطىء المسيحى ان هو عد العدة للضروريات وادخر لها ، بشرط ألا يكون ذلك بصورة خالية من الايمان والاتكال على الرب ، وبشرط الا يكون ادخاره مما يتنافى مع الحب المسيحى الذى يوجب عليه عدم اغفال مشاعر اخوته وأعوازهم ، وبشرط أن يكون أمينا فى تقديم عطائه لله ، وهو العشور كحد أدنى كما ذكرنا . . .**

نخلص من ذلك ، أنه ليس هناك مانع من مثل هذا الادخار بشرط الا يكون ذلك من اجل حب المال ذاته ، بل من اجل مقابلة مصروفات ضرورية وبشرط الا يكون ادخارا من اجل الكماليات ، وبشرط ألا يكون ذلك على حساب واجبنا نحو الله . . . وبشرط الا يتنافى مع ايماننا بالله وعنايته بنا وبأولادنا خصوصا وأن الرب يسوع أوصانا قائلا « لا تهتموا للغد ، لأن الغد يهتم بما

لنفسه » (مت ٦ : ٣٤) . **قال القديس كبريانوس** الأسقف والشهيد « تنازل للرب عن ثروتك التى تحفظها لورثتك . اجعله الوصى على أطفالك ، اجعله ربهم وحاميهم بجلاله الأقدس ضد كل أضرار العالم ... » .

أما الاعتراض الثالث ، فهذا ما تناولناه ، حينما تحدثنا عمن نقدم لهم عطاءنا ...

أمثلة لذوى العطاء السخى

أورد لنا الكتاب المقدس أمثلة عديدة لكثير من رجال الله الذين أحبوا الرب فأحبوا الرحمة . **ومن هؤلاء أيوب الصديق** الذى كان « أعظم كل بنى المشرق » (أى ١ : ٣) ورغم ثرائه ، فقد كان رحوما . نلمس ذلك من أقواله « لأنى انقذت المسكين المستغيث واليتيم ولا معين لـه . بركة الهالك حلت على ، وجعلت قلب الأرملة يسر ... كنت عيونا للعمى وأرجلا للعرج أب أنا للفقراء ... » (أى ٢٩ : ١٢ — ١٦) ... « ان كنت منعت المساكين عن مرادهم ، أو افنيت عينى الأرملة أو أكلت لقمتى وحدى فما أكل منها اليتيم . ان كنت رأيت هالكا لعدم اللبس أو فقيرا بلا كسوة ... فلتسقط عضدى من كتفى ، ولتنكسر ذراعى من قصبتها » (أى ٣١ : ١٦ — ٢٢) ...

وثمة شخصية أخرى من العصر الرسولى ، هى طابيثا التى شهد عنها الكتاب المقدس **أنها** « كانت ممتلئة أعمالا صالحة واحسانات كانت تعملها » وقد شفعت لها أعمال الرحمة التى كانت تعملها ، فأقامها القديس بطرس الرسول بعد موتها (أع ٩ : ٣٦ — ٤١) ...

وتاريخ الكنيسة ملىء بشخصيات الرحومين ، الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة ... **لكننا نتحدث عن ثلاث شخصيات من رجال الدين والعلمانيين :**

القديس بطرس العابد :

بدأ حياته عشارا قاسيا فى معاملته . شديدا فى شحه وبخله ، حتى لقبوه بالذى لا رحمة فيه . قصده فقير ذات يوم يسأل صدقة ، فلم يجبه الى طلبه. لكن السائل استمر فى الحاحة . واتفق أن وصل غلامه يحمل خبزا . فأخذ خبزة والقاها فى وجه الفقير ، مريدا ضربه وليس بقصد الرحمة ... لكن ذلك الفقير انحنى نحو الخبزة وأخذها وانصرف ... أراد الرب أن يغير قلب ذلك الرجل ، ويحطم تمثال الذهب الذى نصبه فى قلبه . فرأى بطرس هذا فى تلك الليلة حلما ، وكأنه فى يوم الدينونة واقف للمحاكمة أمام الملائكة . **ولم توجد له حسنات سوى تلك الخبزة التى قد ضرب بها ذلك الرجل الفقير** ... استيقظ من نومه مذعورا مرتجفا ، وأخذ يفكر فى ذلك الحلم ومعه أخذ يلوم نفسه على عدم رحمتها ... وكان ذلك سببا فى أن تحول شحه وبخلة

الى رحمة بالغة ، **حتى أنه بعد توزيع ثروته على الفقراء لم يجد شيئا يتصدق به الا ثوبه الذى يرتديه فباعه وتصدق بثمنه** ... وقيل انه لما لم يبق له شيء ترك بلده ومضى فباع نفسه عبدا وتصدق بالثمن على الفقراء .

ولما اشتهر أمره وذاعت فضيلته قصد برية شيهيت وأمضى بقية حياته فى عبادة ونسك أهلته فى النهاية الى أن يعرف ساعة انتقاله من العالم ... وتعيد له كنيستنا بتذكار نياحته فى الخامس والعشرين من شهر طوبة من كل عام ...

الأرخن المعلم ابراهيم الجوهرى :

رغم أنه بلغ أعلى المراتب ـ رئاسة الدواوين ـ فى حكومة الأتراك والمماليك ، غير انه كان متواضعا للغاية ، محبا ...**ومن اهم الفضائل التى تميز بها الرحمة والاحسان** . وذكر أنه كان يقسم دخله الى ثلاثة أقسام ، ثلثاها للفقراء والانفاق على الكتب ونسخها ووقفها ، وترميم ما تهدم من الكنائس والأديرة . وابتاع أملاكا كثيرة ووقفها على هذه الأماكن المقدسة . وكان يرسل التقدمات سنويا الى الأديرة ...

من جهة رحمته وحبه للاحسان ، فانه كان يتمم وصية سيده « كل من سألك فاعطه » (لو ٦ : ٣٠) ، وخصوصا من كان يسأله على اسم المسيح ، وكان فى احسانه وحسن معاملته لا يفرق بين مسيحى وغير مسيحى ...

حدث مرة أن فقيرا أراد اختبار سخائه المفرط الذى سمع عنه ، فتعقبه ذات صباح وهو فى طريقة الى عمله يطلب منه احسانا على اسم المسيح ، فكان يعطيه . ثم كان هذا الفقير ـ بعد ان يأخذ منه ـ يذهب الى شارع آخر ويعترض طريقه مظهرا نفسه لكى يعرفه أنه هو الذى أخذ أولا ، لكنه حينما كان يطلب كان يعطيه. **وهكذا حتى بلغت عدد المرات التى يسأله فيها هذا الفقير ثمانى عشرة مرة** ، وكان فى كل مرة يعطيه . ولم يحدث أن تضايق ابراهيم الجوهرى من كثرة السؤال ، بل ما حدث هو العكس ، اذ ان الرجل السائل ـ من فرط دهشته ـ صاح قائلا له « طوباك ياجوهرى الرب معك » . **فأجابه فى وداعه « لا تتعجب . انت تطالبنى بالمال المودع عندى . اننى امين عليه والأمين ينبغى الا يحزن » ! !**

وكان يعمل الولائم للفقراء بالكنائس . ففى يوم كان فى كنيسة الست بربارة بمصر القديمة ولاحظ أن الخدم قد قصروا فى خدمة الفقراء ، فوبخهم حدا قائلا « لا تكسروا قلب الفقراء الضعفاء ، بل طيبوا خاطرهم . فالمسيح أمرنا ان نضيف من لا يستطيع ان يكافئنا » .

وبلغ من احسان هذا الرجل وتعلقه بفضيلة الرحمة ، أنه تصدق وهو فى قبره !! حدث أن جاء أحد الفقراء يبحث عن المعلم ابراهيم فى منزله بعد أن توفى ، ولم يكن قد سمع بنبأ وفاته . فلما أعلموه بوفاته ودلوه على مكان قبره ، توجه الرجل الى القبر وجلس هناك وصار يبكى حتى نام ، فرأى المعلم ابراهيم

الجوهرى فى حلم يقول له « لا تبك . انا لى فى ذمة فـلان الفلانى الزيات فى بولاق عشرة بندقى (عملة فى ذلك الوقت) ، فاذهب وسلم عليه من قبلـى واطلبها منه » . وتكرر ظهور الحلم ثلاث مرات . تعجب الرجل ، لكنه ازاء هذا التأكيد ، قـام وذهب فى خجل . ووقف امـام الدكان يقدم رجلا ويؤخر اخرى . فلمـا رآه الزيات متحيرا ، سأله عن غرضه ، فقص عليه القصة ، فاعترف الرجل بالمبلغ وسلمه لذلك الفقير الذى مجد الله .

وحدث بعد وفـاة ابراهيم الجوهرى أن بعض الأشرار وشـوا بابنته المدعوة دميانة للوالى بأنها تحفظ أموال أبيها ... ولمـا كانت الحالة فى البلاد سيئة للغاية ، استدعاها الوالى واستفسر منها عن الأمر . لم تعارض دميانة ، بـل سكتت وطلبت مهلة لاحضار متعلقات أبيها . ثم ذهبت وأحضرت معهـا ما أمكنها أن تعرفهم من الفقراء والمساكين الذين كان يتصدق عليهم والدها ، واذا بهم يؤلفون جيشا كبيرا !! اخذتهم **وقصدت الوالى وقالت له « ان أموال أبى مودعة فى بطون هؤلاء » واشارت الى الفقراء** . فلما عرف الوالى الحقيقة صرفها وذكر والدها المحسن بالخير .

هذا طرف من حياة رجل البر والاحسان الأرخن ابراهيم الجوهرى الذى رقد فى الرب فى سنة١٧٩٥ (وفى رواية أخرى سنة ١٧٩٦) ، ورثاه الأنبـا يوساب أسقف جرجا رثاءا مؤثرا جـاء فيه « ... اجتمعوا ونوحوا أيهـا الكهنة خدام الرب ، والبسوا مسوحا على الذى كان دائما يفتقد الكنـائس بالمحرقات والقرابين ... » .

الأنبا ابرام أسقف الفيوم :

الرجل الذائع الصيت ، قديس القرن العشرين ، الراعى الصالح ، صانع المعجزات ... **ذلك الرجل ، وان كانت شخصيته متعددة الجوانب ، لكن من أهم ما اشتهر به فرط احسانه** . كان الرجل رحوما محسنا ، تميز بالرحمة الفائقة فى كل مركز شغله . عين وكيلا لمطرانية المنيـا فحول دار المطرانية الى مأوى للغرباء وملجأ للأيتام والمساكين ... أسندت اليه رئاسة الدير المحرق ففتح باب الدير على مصراعيه للفقراء والمعوزين والأرامل . غير أن عدو الخير أثار الرهبان ضده فصاحوا الصيحة القديمة التى صاحها يهـوذا « ما هذا الاتلاف ؟ ! » واتهموه بتبديد أموال الدير !! ومازالوا فى صخبهم حتى عزلـوه عن الرئاسة وطردوا الفقراء الذين كان يعولهم ويعطف عليهم ...

وبرسامته أسقفا على الفيوم سنة ١٨٨١ تناهى فى عمل الرحمة حتى أنه كان يعطى كل ما يملك ... ذهب اليه ذات مرة فقير معدم يشكو اليه ضـيق ذات اليد فى ظرف هو فى حاجة شديدة الى المال لينفق على زوجته التى وضعت حديثا ، فأعطاه جنيها هو كل ما كان يملكه فى ذلك الوقت . ولمـا خرج الرجل الفقير قابله الوكيل ورأى أن معه جنيها . فأخذه منه واستبدله بريال . فرجع

المسكين للقديس وأعلمه بالخبر . فاستدعى الوكيل ووبخه على قساوة قلبه وعدم ايمانه ، وأمره برد الجنيه للرجل وأن لا يأخذ منه الريال ويعطيه أيضـــا لحافا لأن الوقت كان شتاء . احتج الوكيل بحاجة الأسقفية الى هذا المبلغ . فأجاب رجل الله « الرب يرسل » .وفعلا ، بعد خروج الرجل بقليل اســتلم القديس خطابا من أحد المؤمنين به حوالة بمبلغ عشرة جنيهات وحافظة سكة حديد بعشرة أرادب قمح .

وجاءته ذات مرة امراة فقيرة ، ولم يكن عنده نقود . ولكن احــدهم قد أعطاه شالا لم يستعمله . فتأسف لعدم وجود نقود معه وقال للمراة « خذى هذا الشال وبيعيه واقضى حاجتك » . فأخذته وذهبت الى السوق لتبيعه ، فرآهـــا الرجل صاحب الشـــال فاشتراه منها ورده للأسقف . ولكن قبل أن يظهره ، سأله « لماذا لم تتغط بالشال ياأبانا والدنيا برد » أجابه «الشـــال فوق ياولدى » ويقصــــد به انه عند يسوع . وعندئذ أظهر الرجل الشـــال ودفعه اليه . فقـــال له الأسقف « ربما تكون ظلمتها يابنى .. » فأجابـــه « لا يا أبى بل أعطيتها ثمنه » .

وما أكثر ما كتب ، وما نسمعه حتى الآن عن ذلك القديس الذى ضرب المثل عاليا فى حياة النسك والتجرد ومحبة الفقراء ... الرب يعطينا أن نتشبه به ، وينفعنا بمقبول شفاعته وصلواته عنـــا .



رجل العطاء والبر « الأنبا ابرآم »

القراءات الروحية

+ مادة هذه القراءات
+ هدف القراءة
+ فوائد القراءة الروحية
+ كيف تقرأ
+ وقت القراءة وكميتها

هناك أنواع كثيرة من القراءات الدينية . ولكننا نخص هنا نوعا معينا منها هو **القراءات الروحية ، اى القراءات التى تهدف الى الهاب الروح بمحبة الله ، والى تقويم الشخصية وتنقية النفس والجسد من أدناسهما .**

مادة هذه القراءات

توجد ثلاثة مصادر أساسية للقراءات الروحية وهى :

(أ) **الكتاب المقدس بعهديه** ، وما يلحق به من كتب تفسير وتأملات ووعظ وسير قديسى الكتاب .

(ب) **أقوال الآباء ، والكتب النسكية** ، ونظائرها الخاصة بالفضائل وسيرة الروح . ويستحسن أن تقرأ بنظام ، أعنى أن يقدم منها لكل حالة الدسم الذى يناسبها .

(جـ) **سير القديسين:** سواء أكانوا قديسى البرية أو العالم ، الشهداء أو المتوحدين أو الخدام أو أبطال الايمان أو قادة الفكر المسيحى ... الخ . وهذا النوع يعطى أمثلة حية للفضائل المسيحية فى أعلى صورها . **وفيه قال ماراسحق « شهية جدا هى أخبار القديسين فى مسامع الودعاء ، كشرب الماء للغروس الجدد » .**

هدف القراءة

ينبغى للانسان أن يعرف هدفه من القراءة ويتذكره باستمرار ، حتى لاينحرف عنه الى غاية أخرى . فمثلا قراءة الكتاب المقدس لها صور شتى تتنوع من شخص الى آخر : **هناك قراءة هدفها الالمام بالكتاب ومعرفة محتوياته وقصصه وأخباره ووصاياه وشخصياته ... وهناك قراءة أخرى التأمل** ، حيث يقف الانسان عند آية معينة أو خبر ما متخذا ذلك مادة لتأمله الخاص واشباع روحه ، وما يتبع ذلك من تطبيق على حالته الخاصة والخروج بفائدة روحية ما .

وهذان النوعان من القراءة يدخلان فى موضوعنا . وهما يختلفان عن النوع الثالث المميز من القراءة ، وهو قراءة الكتاب المقدس لدراسته والتعمق فى معرفته . وهى قراءة فيها امعان للفكر وتدقيق فى المعلومات . لا تقف عند مجرد المعلومات العامة ، وانما تبحث بحثا عميقا قد يتطرق الى التدقيق

الشديد فى معرفة معنى كلمة معينة بالذات بالاستعانة بالقواميس المختلفة أو لرجوع الى الترجمات القديمة ومقارنتها ببعضها البعض واستخلاص نتائج من ذلك . كمـــا تعنى هذه الدراسة بمقدمات الأسفار ، وجغرافيـــة الكتاب المقدس ، وما فى الكتاب من رموز ونبوءات وماوراء ذلك من دلالات . وتعنى أيضا بالتعرض لتفسير الآيات العسرة الفهم ، وحـــل مشاكل الكتاب وخاصة ما يبدو من تناقض بين آيات وآيات أخرى ، أو ما يبدو من تناقض بين بعض الآيات وعلوم البشر من فلسفة وطبيعة وفلك وتاريخ وجولوجيا وانثروبولوجى ... الـــخ .

وكل هذا نافع ومفيد ولازم ، ولكنه ليس موضوعنا الذى نعرض لـــه الآن . لأننا بصدد تأمـــل الروح لا نشاط العقـــل .

فوائد القراءات الروحية

(أ ، ب) **القراءة بوجه عام تجمع العقل من تشتته ، وتقتاده من طياشته فى افـــكار وموضوعات كثيرة الى التركيز فى موضوع القراءة .** وحسبما يتغير موضوع القراءة يتغير تبعا لـــه نوع الأفكار التى تتركز فى العقـــل . ولذلك **يقول ماراسحق** « ان كان ذكر الفضلاء يجدد فينـــا شهوة الفضيلة اذا مـــا تفاوضنا معهم بأفكارنا ، فهكذا أيضا ذكر الفسقة يجدد فى ضميرنا الشـــهوة السمجة اذا ما ذكرناهم ، لأن ذكر كل واحد من هذين يرسم فى عقلنا افـــراز افعالهم » . **وهكذا فان القراءة الروحية لا تكتفى فقط بأن تجمع العقـــل من جولانه فى الماديات والعالميات ، وانما أيضا ترفعه الى عالم الروح ، وتفتح أمامه أبواب الالهيات ليذوق ما أطيب الرب .**

فهى بهذا ذات فائدتين احداهما سلبية والأخرى ايجابية :

(أ) فالسلبية هى منع أفكار معينة عن العقل ، سواء الأفكار الشريرة او الأفـــكار الزائلة الباطلة . ولذا تستخدم القراءة الروحية أحيانا كســـلاح للعفة وطرد الأفكار النجسة، وكسلاح لطرد أفكار الغضب وتسكين النفس . . .

(ب) **أما الفائدة الايجابية فهى السمو بالفكر الى الالهيات .** ولهذا الأمر تدرجاته الروحية العديدة التي تصل بالانسان الى حالات سامية جدا بدوام ارتبـــاط فكره بالله . . .

(ج) **والقراءة الروحية هى باب يدخل منه الانسان الى حرارة النفس .** فالنفس التى بردت حرارتهـــا الروحية لانشغالها بالماديات ، **أو لاحتكاكهـــا** بالخطية وتأثرها بأوساط شريرة ، **أو لتفكيرها فيمـــا لا يليق ، أو لتغربها عن**

الروحيات مدة طويلة ، **هذه النفس تعود اليها حرارتها تدريجيا بالقراءة الروحية التى تنتشلها من عالمها المادى الى حيث ذكر الله وقديسيه .** فتعود النفس وتتذكر طبيعتها النقية ، وتشتاق الى هذا السمو ، وتشعلها الحرارة بحب الله وقديسيه والرغبة فى محاكاة ما تقرأ من سير جميلة وفضائل عالية فى الكتاب المقدس أو أخبار القديسين .

ومن طبيعة الحرارة التى تتولد فى النفس من القراءة ، انها تقتل كل ما يحارب النفس فى ذلك الوقت من ملل او ضجر أو توان او كسل ، وتجعل الفضائل سهلة وخفيفة فى عينى القارىء ، وتوجد فى قلبه استعدادا لها ، وتنخسه حاثة اياه على البدء بالعمل . فيجد الانسان قلبه كما لو كان فى نار متقدة يريد أن يضم الفضائل كلها الى حضنه . ووقتئذ تتضاءل الشهوات العالمية أمام عينيه ويشعر باحتقار لها أو اشمئزاز منها أو تختفى كلية من ذاكرته .

(د) **هذه القراءة المولدة للحرارة فالشوق فالرغبة فى المحاكاة ، هى بهذا الوضع مادة للتدريبات الروحية .** فكلما قرأ الانسان عن فضيلة ما — سواء أكانت هذه القراءة عن فلسفة الفضيلة أو خواصها أو سموها أو درجاتها أو مظاهرها فى سير القديسين — فان رغبته فى محاكاتها تجعله يبدأ بتدريب نفسه عليها . وهكذا تنتقل الفضيلة — بالقراءة — من الكتاب الذى تحدث عنها الى كراسة التدريبات الخاصة بالقارىء ، وتتحول منها الى جزء من حياته . **وهكذا قيل ان من يتقدم الى باب القراءة الروحية تنفتح امامه أبواب الفضائل .**

(هـ) **والذى يقرأ عن وصايا الله وشرائعه وعن الفضائل فى تنوع صورها ، يجد فى القراءة مرآة سليمة ينظر فيها الى نفسه ، أو يجد فيها ميزانا يزن به شخصيته وأعماله . وبهذا تكون القراءة مادة لمحاسبة النفس وما يتبعها من أعمال التوبة ،** اذ يحاسب الانسان نفسه مفتشا فيها ليرى هل توجد فيها تلك الفضائل التى قرأ عنها أم هى محرومة منها بعيدة عنها .

(و) وكلما يقرأ الانسان سير الأنبياء والرسل والقديسين ، وكلما ينظر الى المستويات العالية التى ارتقوا اليها فى تعب وجهاد ومثابرة وصبر ، وكلما يضع هذه المستويات فى كفة ميزان ونفسه فى الكفة الأخرى ، حينئذ يشعر بصغر قيمته وضآلة شأنه ، ويرى مهما كان فى حالة روحية نشطة — انه مجرد مبتدىء فى الطريق لم يخط فيه بعد أية خطوة ذات قيمة . **وهكذا تقتاده القراءة الى التواضع الحقيقى المبنى على معرفة سليمة للنفس** وما هو مطلوب منها الوصول اليه . **وكلما تزداد قراءته يزداد اتضاعه ، لأنه يتذكر قول الرب ان « الذى يعرف أكثر يطالب بأكثر » .**

(ز) **والقراءة الروحية هى أيضا مادة للصلاة .** ويختلف نوع الصــلاة باختلاف نوع القراءة . **فهناك قراءة تشعر الانسان بخطاياه ونقائصه** ، فيحنى هامته فى استحياء وانسحاق وندم ، معترفا أمام الله بذنوبه وآثامه الكثيرة طالبا منه الرحمة والمغفرة . **وقراءة أخرى تبسط أمامه الفضائل فى جمالها وسموها** ، فيصلى فى لجاجة والحاح طالبا من الله عونا ونعمة ليستطيع أن يسير فى طريق الآباء ويقــوى على محاكاتهم . **وثمة قراءة ثالثــة تحرك فى القارىء محبة الآخرين** فيرفع يديه الى فوق طالبا من أجلهم . **وهناك قراءة تعرض امام الانسان صــفات الله الجميلة وعظمته التى لا تحد** ، فيسجد فى خشوع ممجدا الله ومباركا اياه من أجل هذه الصفات التى لا ينطق بهــا ، شاعرا بعدم استحقاقه للتحدث مع اله على هذه الدرجة من المجد ... **وهناك قراءة اخــرى تلهب القلب بمحبة الله** ، فيلهج باسم الله وهــو لا يدرى ماذا **يقول** ، وبين الحين والآخر تخرج — لا من فمه فقط بل من كل جوارحه — عبارات الشكر والاعتراف بالجميل ... وهكذا دواليك ...

وكما أن القراءة تكون دافعا للصلاة ، كذلك تكون أيضا مادة للصلاة . وفى ذلك قــال ماراسحق « ان النفس تعــان من القــراءة اذا ما مثلت فى الصلاة ... وتستنير فى الصلاة من القراءة » . وفسر ذلك بقوله فى موضع آخر « عندما يدنو الانسان الى الصلاة ، فان تذكار القراءة يلهبه بأفهــام الكلام الصحيح الذى قيل عن الله تعالى فيما كان يتلوه (يقرأه) قبلا » .

(ح) **وكما أن القراءة مادة للصــلاة ، فهى أيضا مادة للتــأمل** . فأنت قد تقرأ آية أو فصلا من الكتاب المقــدس لتتخذ ذلك موضــوعا لتــأملك او هذيذك الشخصى . أو انت قــد تقرأ قصــة من قصص الآباء وتتــأمل مقدار النعمة التى أعطاها الله لهذا الأب ، أو تتأمل مظاهر الحب الذى ربط بين هذا المخلوق وخالقه ، أو يسبح عقلك فى سلم الفضائل الذى صــعد به القديس درجه فدرجة الى الله ...

أوقد تقرأ فصلا من الكتاب وتختزنه فى عقلك ليفيــدك فى تأمل مقبل . وكما أن الانسان الفاسد من كنز قلبه الشرير يخرج الشرور ، مستعيدا الى ذاكرته ما قد سبق فارتكز فى عقله من قراءات لمجــلات فاســدة أو قصص مثيرة أو موضوعات نجسة ، ويتأمل فى ذلك كله لتلتذ حواسه الجسدية بملاذ شهوانية ترضيه ، كذلك أيضا الانسان القديس يقرأ الموضوعات الروحية السامية ويكتنزها فى عقله ، ثم يعود فيجترها وتغتذى بها روحه ، ويجد فيها مادة للتأمل فى خلواته وفى صــلواته ، تفيض على أفكاره ينبــوعا عذبا من الروحيات السامية .

(ط) **والقراءة الروحية هى مرشد فى الطريق الى الله :** تعرف الانسان

مشيئة الله وتكشف ارادته المقدسة وتنير سبله . لذلك قال المرنم « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » (مز ١١٨) . يقرأ الانسان كلام الله وسير الآباء الذين امتلأوا من روحه القدوس ، فيكتسب جانبا كبيرا من المعرفة السليمة النافعة ، وتنكشف أمامه طرق الحياة الطاهرة والسلوك السليم والتصرفات الحسنة ، وتعطيه القراءة نوعا من الافراز والتمييز والحكمة ، وان كان ذلك يكمل بالخبرة والممارسة .

(ى) **وللقراءة فوائد أخرى تتنوع بتنوع المناسبات والأسباب الداعية اليها** . فهناك انسان حزين النفس مر القلب متعب بالتجارب والضيقات ، يلجأ الى القراءة منتقيا فصولا معينة منها لتعزيه وتقويه ، وتعرض أمامه معونة الله فى ظروف مماثلة ، أو تصرفات الآباء فى حالات أشد ، أو تشرح له حكمة الله فى السماح بالتجارب ، فتفرح نفسه وتزول كآبتها . أو هناك انسان أخطأ الى الله خطية شنيعة ، فأزعجه الشيطان وقربه الى اليأس ،يقرأ عن التوبه والتائبين وقبول الله لهم ، فيدخل الرجاء الى قلبه ويتشدد ويعود فيقترب الى الله فى غير قنوط . أو شخص ثالث صلى كثيرا من اجل موضوع خاص ولم ير لصلاته أثرا ، فظن أن الله قد رفض طلبه ، أو رفضه هو شخصيا ولم يعد يسمع له ، يقرأ هذا كتابا روحيا أو فصلا من الكتاب المقدس يتصل بهذا الموضوع ، فيطيب قلبه ويتأكد أن الله قد سمع وقد استجاب ، ولكنه سيرسل حله النافع فى الوقت المناسب المفيد وبطريقته الخاصة الصالحة ... الخ

(ك) **والقراءة الروحية بالاضافة الى كل هذا ــ هى مقوية للذهن ومنشطة للفكر ، لأن الفكرة تلد فكرة أو أفكارا كما هو معروف** . والذى يقرأ كثيرا بتأمل ، ما يلبث أن تتمرن حواسه الروحية على التفكير الروحى ، حتى أنه يستطيع فيما بعد أن يجد مجالا للتأمل الروحى فى غير ما ذكرنا أولا من مواد القراءات . فأى كتاب يتناوله طالما كان موضوعه مهذبا ــ أيا كان نوعه ــ ، يمكنه ــ اذا قراه بطريقة روحية ــ أن يخرج منه بفائدة . وقد يجد أيضا مجالا للتأمل فى كل شىء يقع تحت حواسه ، لأنه قد تدرب بالقراءة الروحية .

(ل) **وأخيرا ، فان القراءة الروحية هى وسيلة نافعة لقضاء الوقت وشغل الذهن بما هو مفيد** . هى معينة على الوحدة ، تقتل الضجر وتبعد الفكر الشرير ، وهى معينة على السهر ومشجعة عليه .

□□

كيف نقرأ ؟

(ا) **ابدأ القراءة بالصلاة :** حتى لا تكون معتمدا على فهمك البشرى الذى يخطىء ، بل بالحرى اطلب تدخل روح الله لارشادك . صل ان استطعت صلاة طويلة قبل ان تقرأ شيئا روحيا . **اشرح لله ضعفك وقصور فهمك وعجز عقلك البشرى المحدود عن الوصول الى اعماق الكلمات الالهية التى قال عنها داود النبى « لكل كمال رأيت منتهى ، واما وصاياك فواسعة جدا »** (مز ١١٨) . واطلب من الله ان يفتح عقلك لتفهم ، ويفتح قلبك لتقبل ما تفهمه ، ويكسر اغلال ارادتك لتقوى على تنفيذ ما تقبله . لذلك **قال ماراسحق محذرا** « لا تدن من اقوال الأسرار الموجودة فى الكتب خلوا من الصلاة والتماس معونة الله تعالى . وقل : جد على باحساس القوة الموجودة فيها » . واعتقد أن الصلاة هى مفتاح الأفهام الحقيقية الموجودة فى الكتب الالهية .

(ب) **ادخل نفسك فى موضوع القراءة واعتبره درسا خاصا موجها لك :** والذى تقدر على عمله اعمله بمشورة وافراز . والذى لاتقدر عليه ، احزن من أجله فى قلبك ، وارث لضعفك ، واتخذه وسيلة للاتضاع ، واعرض اشتياقك اليه على الله ، واطلب شفاعة القديسين الذين نبغوا فيه ، واحفظه فى زاوية امينة فى ذاكرتك فربما تحتاج اليه فيما بعد فى ملء الزمان عندما يهبك الله ظروفا أخرى مناسبة ومقدرات أخرى مساعدة .

(ج) **فى أثناء التأمل تجنب قراءات المشاكل والتعقيد الفكرى** . اعبر عليها فى هدوء . ليس هذا هو وقتها .

(د) **بالنسبة للمبتدئين ليست كل أسفار الكتاب المقدس تصلح مادة للتأمل . بل ابدأ تأملك أولا فى الأسفار التاريخية** . واقرأ فيها عن صفات الله الجميلة ، واختيار الله لقديسيه ومعاملته لهم ، وتصرفات القديسين مع الله ، وتصرفاتهم مع غيرهم من الناس . . . ثم بعد ذلك يأتى دور الأسفار التعليمية . . .

(هـ) **اعرف أن القراءة هى مجرد وسيلة الى غاية ، وليست غاية فى حد ذاتها . فاذا ما اوصلتك القراءة الى هدفك ، اتركها وانشغل بهذا الهدف الذى من أجله قرأت** . القراءة هى مجرد عود ثقاب يشعل النفس فتلتهب بحب الله . فاذا ما التهبت النفس لا تنشغل بعد بعود الثقاب ، وانما أوقد سراجك من هذه النار المقدسة واخرج به مع العذارى الحكيمات للقاء العريس . اترك القراءة الى حين واعمل عمل الروح الذى أثارته فيك سواء أكان تأملا أو صلاة أو محاسبة للنفس أو بكاء على خطاياك أو تفكيرا فى تدريب روحى . . . **واياك أن تهمل هذه الحرارة وتستمر فى القراءة ، لئلا تبرد منك وتطلبها فلا تجدها . . .**

وقت القراءة وكميتها

❊ يحتاج الانسان بلا شك الى قراءة التأمل لانها العنصر الأساسى الذى ينشط القلب والفكر وينمى فى النعمة . ولكن هذه القراءة التأملية التى قد تتركز فى بضع آيات قليلة ، لا يمكن أن يكتفى بها الانسان ، والا فان عشرات السنوات ستمر عليه دون أن يكمل قراءة الكتاب المقدس . بينما هو محتاج أيضا ولا شك الى معرفة والمام بالكتاب لأسباب روحية كثيرة منها أن هذه المعرفة تساعده أيضا على تقوية التأمل . لأنه اذ يربط آيات تأمله الحاضر بآيات أخرى يذكرها من قراءات سابقة ، فانه يحصل على طريق هذا الترابط على فوائد اكبر تلقى نورا اكثر على الموضوع ، وتنمى موهبة التأمل .

فماذا يفعل ؟ وأى القراءتين يختار ؟ واذا كانت هناك قراءة ثالثة هدفها الدراسة والتعمق والبحث ، والوقت لا يكفى لجمع هذا كله معا ، **فماذا يكون الحل ؟**

❊ الحل بسيط وهو احدى الطرق الآتية :

(أ) **اما أن يجمع القراءتين معا :** فيقرأ بضعة اصحاحات بالتتابع ، ولكنه لا يجعلها موضوعا لتأمله ، لأن وقته — كشخص منشغل — لا يكفيه طبعا للتأمل فى هذا كله . وانما يكفيه للتأمل بضع آيات منها فقط أو فكرة عامة واحدة . ومثل هذا الشخص المنشغل ليس بكثير عليه أن يخصص لهذا الأمر فى الابتداء مقدار نصف ساعة يوميا أو أكثر من هذا بقليل ، منها ثلث ساعة للقراءة وعشر دقائق للتأمل . ثم يتمرن على ازادة هذا الوقت حسب طاقته واحتياجه . . .

(ب) **واما أن توزع أنواع القراءات على الأيام المختلفة** ، ويحاسب القارىء نفسه بجدول أسبوعى وليس بجدول يومى ، وانما يكفى أن يسجل كل يوم ما حصله فيه . وهذا الجدول الأسبوعى اكثر فائدة ، لأنه يسمح القارىء بقدر أوفر من الحرية ، على أن تكون النتيجة الختامية جامعة ليس فيها اهمال لأحد العناصر .

(جـ) **واما ان تكون قراءة التأمل ثابتة لكل ايام الأسبوع** ، تأخذ الوقت المخصص كله . واما قراءة المعرفة فتضاف فى بعض أيام الأسبوع حسبما يسمح الله بوقت ، على أن يراعى أن تكون كميتها الأسبوعية كافية .

(د) **وعلى الشخص أن ينتهز الفرص** . فاذا وجد لديه وقتا متسعا فى أى يوم ، أو كانت لديه عطلة طويلة فى فترة من السنة ، ينتهز ذلك **ويقرأ**

بدون تحديد للكمية على قدر ما يستطيع فى الكتاب المقدس ويدرسه أيضا . ويجعل هذه بالنسبة اليه فترات تخزين وتعويض ، تنفعه عندما تضغط عليه المشغوليات فى أوقات أخرى .

* **وعلى أية الحالات يجب أن تختار للقراءة الوقت المناسب ، فلا تعط لله نفـاية وقتك** ، الوقت الذى تكون فيه متعبا أو ملولا أو متضايقا أو مشغولا ، والا فانك تعرض نفسك لعدم الاستفادة من القراءة كما يجب ، أو تعرض نفسك للاحساس بأن هذه القراءة الروحية حمل ثقيل عليك . . .



الكتاب المقدس

« فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة ، القــادرة ان تخلص نفوسكم » (يع ١ : ٢١)

+ كتــاب الله
+ بركات الكتــاب
+ الكلمة فى حياة رجال الله
+ مركز الكتاب المقدس بين قراءاتنا
+ لماذا ندرس الكتاب المقدس
+ كيف ندرس كلمة الله
+ طرق لدراسة الكتاب
+ الكنيسة القبطية والكتاب

كتاب الله

على الرغم من تزايد المطبوعات والكتب التى تصدر كل يوم ، وتقدم المعرفة الانسانية ، فالكتاب المقدس مايزال الكتاب الأول بينها على الاطلاق ، فهو بحق كتاب الله وكتاب الكتب . . .

وتسميته « بالكتاب المقدس » ليست من وضع البشر ، بل هى تسمية الروح القدس كاتب الكتاب « انك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالايمان الذى فى المسيح يسوع » **(٢ تى ٣:١٥)** . . . **« انجيل الله** الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى **الكتب المقدسة »** (رو ١ : ١ ، ٢) . . . وهذه التسمية تفرق ـ ولا شك ـ بين رسالة الله **« الكتاب المقدس »** وبين الكتب الأخرى التى يؤلفها الانسان فى شتى فروع المعرفة . . .

الكتاب المقدس هو كتاب الله من أوله الى آخره . **فهو وان كان يضم** بين دفتيه أسفارا (كتبا) كثيرة ، بعضها ينسب الى كتاب **معينين كموسى** وداود وسليمان ومتى ولوقا وبولس ، لكنها ليست من كتاباتهم الخاصة . . . **ان كاتب الكتاب من أوله الى آخره هو الروح القدس** ـ روح الله « عالمين هذا أولا أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ، **بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس »** (٢ بط ١ : ٢١) . . . ويقول بولس الرسول **« كل الكتاب هو موحى به من الله »** (٢ تى ٣ : ١٦) . . . وكل الذين كرسوا جهودهم لمقاومة الكتاب، وأخذوا يدرسونه بغية الوصول الى وسيلة للنيل منه، اما أنه جذبهم بشباكه، واما انه حطمهم !!

والكتاب المقدس عهدان : العهد القديم والعهد الجديد . وكلمة عهد معناها ميثاق بين الله والناس . . . وسميا أيضا عهدا **لأن كلا منهما** ختم بالدم . العهد القديم بدم الذبائح الحيوانية ، والعهد الجديد بدم المسيح .

وحدة الكتاب وهدفه :

الكتاب المقدس كتاب عجيب حقا . . . انه يحوى ٧٣ **سفرا (٤٦ تؤلف** العهد القديم ، ٢٧ تؤلف العهد الجديد) ، استغرقت كتابتها **نحو ١٥٠٠ سنة،** واشترك فى هذا العمل نحو أربعين كاتبا متباينين فى الثقافة . . . **فمنهم الملك** كداود وسليمان ، وراعى الغنم كعاموس، والكاهن كزكريا ، **والنبى كصموئيل**

واشعياء ، والمشرع كموسى ، والقائد كيشوع ، وصياد السمك كبطرس ويوحنا ، والفيلسوف كبولس ، والطبيب كلوقا ... وكتب فى أماكن متفرقة: برية سيناء ، برية اليهودية ، مغارة عدلام ، سجن روما ، جزيرة بطمس ، قصور جبل صهيون ، ضفاف أنهار بابل ، أورشليم بعد اعادة بنائها ... **ومع كل هذا التباين فى شخصيات الكتاب وأماكن وأزمنة كتابتهم ، فان أسفاره الثلاثة والسبعين تؤلف كتابا واحدا** ... واحدا فى الروح والموضوع والهدف ... **ولا عجب فى ذلك :**

(۱) **فالمحور الذى يدور عليه الكتاب من أوله الى آخره هو « يسوع المسيح ابن الله »** . ففى بداءة الكتاب المقدس نجده معلنا أنه هو الذى يسحق راس الحية « ابليس » (تك ۳ : ١٥) ... وفى نهاية الكتاب (سفر الرؤيا) نقرا عنه أنه آت سريعا وأجرته معه ليجازى كل واحد كما يكون عمله (رؤ ٢٢ : ١٢) . **وقد أكد الرب يسوع هذه الحقيقة** حينما قال لليهود عن كتبهم المقدسة « وهى التى تشهد لى » (يو ٥ : ٣٩) ... وفى مساء يوم قيامته فسر لتلميذى عمواس الأمور المختصة به فى « كتب موسى والأنبياء » (لو ٢٤ : ٢٧) . وعاد وأكد هذه الحقيقة لتلاميذه مجتمعين قبيل صعوده بقوله « هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وانا بعد معكم ، انه لابد أن يتم **جميع ماهو مكتوب عنى فى ناموس موسى والانبياء والمزامير** » (لو ٢٤ : ٤٤) .

(۲) **أما لب الكتاب فهو طريقة الله مع الناس** ... اقترابه منهم بمقتضى نعمته المجانية واحياء رجائهم فيه ... ان قصة الله فى كل الكتاب هى الاقتراب من الانسان المختبىء حيث هو ليعلن له ذاته ويحيى فيه الرجاء . لقد نادى الرب آدم بعد أن أخطأ وقال له « أين أنت » (تك ۳ : ۹) ... الانسان يختبىء من الله فى كل مكان وفى كل عمل ، والله يبحث عنه ويظهر له طريق الخلاص ...

ان الله فى الكتاب المقدس غيره فى كتب الديانات الأخرى . ففى الديانات الأخرى نرى الانسان يسعى نحو الله ، أما فى المسيحية فالله يسعى نحو الانسان وهذا هو جمال المسيحية. فالانسان الناقص الخاطىء المحاط بالضعف من كل جانب يستحيل عليه أن يصل بذاته الى الله القدوس الذى بلا شر ، الساكن فى نور لا يدنىَ منه ... !!

(۳) **والكتاب المقدس يعلمنا أن نعمة الله لا تأتينا بطريق مباشر ، بل دائما عن طريق وسيط** ... انه يعلمنا أنه – لنوال الغفران عن الخطايا – لابد من عمل التكفير والوساطة : وليست المسألة ان الله يتغاضى عن الخطية وكفى ... وتسرى هذه الفكرة فى الكتاب كله من أوله الى آخره . **ومن هنا**

نجد العهد القديم مليئا بالنبوات عن المسيا (المسيح) « الاله الواحد الوسيط بين الله والناس » (١ تى ٢ : ٥) ... والأناجيل تظهره حاضرا عاملا والرسائل تنظر اليه بايمان ومعرفة وتتوقع مجيئه الثانى ، وسفر الرؤيا يتحدث عن سلطانه وملكه اللانهائى ...

الكتاب الخالد :

يمتاز الكتاب المقدس بتأثيره العميق فى نفوس قارئيه الذين يتقدمون اليه بايمان واتضاع . لقد حمل ، ومازال يحمل كثيرين من قارئيه على ترك خطاياهم مهما كانت مستعصية وثقيلة ... ان الكتاب بالنسبة للمؤمنين الحقيقيين كشمشون بكل قوته ، وبالنسبة للمكابرين ولغير المؤمنين كشمشون نفسه لكن بعد أن حلق شعره وفقد قوته !!

وعلى الرغم من انه قد ترجم الى نحو ٨٥٠ لغة ، لكنه لم يفقد قوته وفاعليته وتأثيره ، وذلك راجع الى أن سر قوته ليست فى بلاغته اللفظية وأسلوبه الأخاذ ، بل فى الروح الذى تحويه كلماته ... قال الرب يسوع « الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) ... لقد استطاع ان يجذب ملايين القلوب الى الله بعد أن حركها الى التوبة ، وادخل اليها الفرح والسلام وملأها بالرجاء . ولا عجب فى ذلك فهو كتاب حى قوى فعال فى نفوس من يقرأونه بايمان ...

قال فولتير المفكر الفرنسى فى القرن الثامن عشر ان اثنى عشر رجلا وضعوا أسس المسيحية وانه بمفرده يتقدم لدحضها ، وان الكتاب المقدس سيعتبر كتابا منسيا خلال مائة عام ... وها قد مضت عشرات الأعوام بعد المائة عام ولم يحدث شيء مما توقعه فولتير ، بل حدث العكس . **فالنقد العلمى الذى وجه بشدة الى الكتاب فى القرنين الثامن والتاسع عشر ، تحول الى دراسة أدق للكتاب المقدس وتاريخه وكل ما يتعلق به ... وخرج الكتاب من هذه الأزمة ـ أزمة العصر الحديث ـ أرسخ مما تصور النقاد ..** فلقد ساعدت علوم الآثار والمكتشفات الحديثة والدراسات اللغوية وغيرها على كشف رصانة الكتاب وصدق رواياته بطريقة لم يكن يتوقعها العلماء ... **نعم سيظل الكتاب المقدس كتابا خالدا لا يسقط حرف واحد من كلامه** اتماما لقول رب المجد « الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (مت٥ : ١٨) ... « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول » (مر ١٣ : ٣١) (انظر رؤيا ٢٢ : ١٨ ـ ١٩) .

بركات الكتاب

لكلام الله بركات لا تحصى ... **لم نقرأ عن انسان عاش عيشة القداسة الا وكان للكتاب المقدس النصيب الأكبر فى تكوين حياته الروحية** . ولم نسمع عن خادم أمين أو مبشر ناجح أو بطل مجاهد من أبطال الايمان الا وكان الكتاب هو سر نجاحه ومصدر الهامه وسنده وقوته ... لقد أمر الله قديما ان يوضع **لوحا العهد المدونة عليهما الوصايا العشر المكتوبة بأصبع الله فى تابوت العهد** حيث تحفظ أيضا قسط المن ... ولا شك أن هذا كان اشارة لطيفة الى ان قلب المؤمن المحفوظة فيه كلمة الله هو الذى يسكنه الرب يسوع المن الحقيقى النازل من السماء ، حياة لكل العالم ...

كلنا نعلم انه بسبب المعصية الاولى نفى البشر جميعا من الفردوس ـ وطنهم الأول ـ الى عالمنا الذى نحيا فيه ، والمشبه بأنه دار غربة ، **نحن** كلنا غرباء فيها ... ودار الغربة هذه تعمها الظلمة من كل جانب . والبشر جميعا فى حالة حرب دائمة مع اعدائهم القدامى « أجناد الشر الروحية فى السماويات » ... ولقد أوضح الرب فى كتابه المقدس أن العون الأول لنا فى غربتنا وفى حربنا ضد أعدائنا هو كلام الله ... **وهذه الفكرة واضحة تمام الوضوح فى الكتاب كله ... فهو :**

(١) بشارة رجاء وعزاء :

ان البشر جميعا محكوم عليهم بالموت وفاء عصيانهم وتعديهم . **والكتاب المقدس يظهر أمامنا كمبشر ... مبشر بالحياة والحرية ، مبشر بالبنوة والعتق من العبودية ، مبشر بزوال لعنة الناموس وحلول بركات الصليب والقيامة ، مبشر بالحياة الفضلى والشركة الالهية** ... فما أجملها رسالة ، تلك التى يقوم بها الكتاب « ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام ، المبشرين بالخيرات » (رو ١٠ : ١٥) .

لقد كان اليهود يحتفلون كل خمسين سنة بما يسمى « سنة اليوبيل » ... كانوا يحتفلون بها احتفالا رائعا بمقتضى الشريعة ... وكانت حينما تضرب الأبواق معلنة بدء سنة اليوبيل ، كان الفرح يجد طريقه الى قلوب كثيرة كسيرة ... فالفقير الذى باع بيته أو حقله من جراء ضيق ذات اليد كان يسترده ، والفقير الذى باع ذاته عبدا كان يحرر (لا ٢٥) ... من أجل ذلك طوب المرنم « الشعب العارفين الهتاف » (مز ٨٩ : ١٥) ، والمقصود بالهتاف ، صوت الأبواق المعلنة حلول سنة اليوبيل ...

والكتاب المقدس هو البوق الالهى الذى يبشرنا بحلول « سـنة الرب المقبولة » (لو ٤ : ١٩) لكى نسترد بيتنا السماوى الذى خسرناه بالخطية وفقدناه بالمعصية ، ونستعيد حريتنا بعد أن استعبدنا أنفسنا لسلطان الخطية فوقعنا فى قبضة أبليس ...

وليس الكتاب المقدس مبشرا بالخلاص والحرية الروحيـة فقط ، لكنه عامل قوى من عوامل تقوية الرجاء ورفع الروح المعنـوية ... فمن أمضى أسلحة أعدائنا الروحيين ، اشاعة روح الضعف والهزيمة والاستسلام بين شعب الله . والكتاب المقدس ينقض هذه الدعايات الخبيثة ليحل محلها الايمان والاتكال الكامل على الرب ، والثقة فى رجاء خلاصه ، وأنه سيأتى بقوة ولو فى الهزيع الأخير من الليل لكل منتظريه ...

هكذا نقرأ **كلمات موسى لشعبه حينما تملكهم الخوف والفزع « لاتخافوا.** قفوا وانظـروا خلاص الرب ... الرب يقـاتل عنكم وأنتم تصـمتون » (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) ... ونقرأ بعد ذلك عن **صنيع الرب مع شعبه فى البرية المقفرة خلال أربعين عاما** ، عالهم خلالها بطعام الملائكة وسقاهم من صخرة صماء ... حفظ ثيابهم ونعالهم فلم يقرب منها البلى ... اعطاهم الغلبة على شعوب تفوقهم عـددا وعدة ... **هكذا نقرأ عن أعمـال الرب العظيمة مع كل خائفيـه فى كل زمان ومكان ، وعن مواعيـده الكثيرة لهم** « ... لأنه تعلق بى أنجيه . أرفعه لأنه عرف اسمى . يدعونى فأستجيب له معه أنا فى الشدة أنقـذه وأمجده . طول الأيـام أشـبعه وأريه خلاصى (مز ٩١ : ١٤ — ١٦) ... **نقرأ كلمات رب المجد** « ها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) ... **نقرأ عن اختبارات بولس** « ان كان الله **معنا** فمن علينا » (رو ٨ : ٣١) ... « استطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) ... **نقرأ أيضا عن حب الرب للخطاة وعطفه عليهم ، فحينئذ لا نيأس بل نتشدد ونتشجع .**

ضيقات الحياة ، ما اكثرها وما أعنفها ، فبسببها يعثر كثيرون ويرتدون (مت ٢٤ : ١٠) : **لقد أعطانا الرب كتابه ليكون معينـا لنا فى غربة هـذا الدهر ، ورفيقا أمينا ، ومعزيا وفيا قويا ... نجـده قريبـا منا فى كـل الأوقات ، ونستطيع أن نجلس معه نسـتمع اليه ما شئنا من وقت . حينما تتكاثر علينا الضيقات ، فليس افضل من كلمة الله تعزينا وتشجعنا** ... أما الناس فليس فى كلامهم الخاص عزاء حقيقى ، بل هم كمـا وصفهم أيوب فى بلواه « معزون متعبون » (أى ١٦ : ٢) ...

لقد كان كلام الله هو موضع تعزية جميع رجال الله . فيقول داود «أذكر

لعبدك كلامك الذى جعلتنى عليه أتكل . **هذا الذى عـــزانى فى مذلتى ... نذكرت أحـــكامك منذ الدهر فتعزيت** ... لو لم تكن شريعتك لذتى لهلـــكت حينئذ فى مذلتى » (مز ١١٩ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٩٢) ... ويوضح القديس بولس الأمر فيقول « كل ماسبق فكتب ، كتب لأجل تعليمنا ، **حتى بالصـــبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء »** (رو ١٥ : ٤) ... **وقد طلب الى المؤمنين أن يجعلوا من الكتاب معزيا لهم فيقول « عزوا بعضكم بعضا بهذا الكلام »** (١ تس ٤ : ١٨) ... وموضع التعزية فى كلام الله لا يرجع فقط الى مافيه من قصص رجال الله واحتمالهم وصبرهم وصنيع الرب معهم ، أو ما يتضمنه من معان مقبولة ... **بل يرجع الى أن كلام الكتب المقدسة ، كتب بالروح القدس « المعزى »** (يو ١٤ : ٢٦) ...

(٢) نور وهداية :

ولعل من أولى بركات كلمة الله أنها تحرك القلوب للتوبة ، سواء عن طريق سماعها أو قراءتها ... فقد كانت **كلمات بطرس الرسول** القليلة التى جاءت فى شكل عظة القاها فى يوم الخمسين ، سببا فى نخس قلوب ثلاثة آلاف نفس آمنت للمسيح (أع ٢) ... وكانت كلمات بولس الرســول ــ وهو سجين ــ سببا فى تأثر ، بل ارتعاب فيلكس الوالى ، وان كان ــ للاسف ــ أضاع الفرصة وصرف بولس قائلا « أما الآن فاذهب ومتى حصلت على وقت استدعيك » (أع ٢٤ : ٢٥) ... **وكانت قراءة وزير كنداكة الحبشى لسفر** أشعياء وما صحبه من شرح القديس فيلبس سببا فى ايمانه (أع ٨) ... **لقد قال الرب قديمـــا بلسان أرميا النبى « أليست هكذا كلمتى كنـــار ... وكمطرقة تحطم الصخر »** (أر ٢٣ : ٢٩) ... **فكما أن النار تحمى الحديد وتجعله لينا ، هكذا كلمة الله تلين القلوب القاسية ، وكما أن المطارق تحطم الصخر ، هكذا كلمة الله تفعل فعلها فى القلوب التى تحجرت بالخطيـــة ، وتسحقها بقوتها ...**

والانسان باعتباره غريبا فى الأرض ، يحتاج الى من يرشـــده ويقوده ويأخذ بيده . أن كلمة الله كعمود النور الذى كان يتقدم بنى اسرائيل ... وهكذا ترافقنا كلمة الله حتى ندخل ــ لا أورشليم الأرضية بل السماوية ... انها كالنجم الذى هدى المجوس وظل يتقدمهم حتى جاء « ووقف فوق حيث كان الصبى » (مت ٢ : ٩) ... هكذا كلمة الله ايضـــا تتقـــدمنا وتقودنا وتوصلنا الى حيث يسوع ... انها لا تخطىء أبدا ، ولا تضـــل من يتبعها **... ومن هنا كانت كلمـــات المرتل « غـــريب انا فى الأرض . لا تخف عنى وصاياك »** (مز ١١٩ : ١٩) ... وهذا ما يشير الى أن وصايا الله **خير** مرشد للنفس فى غربتها ...

انها تحذرنا عندما نحيد عن الطريق القويم « أذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة هذه هى الطريق اسلكوا فيها ، حينما تميلون الى اليمين وحينما تميلون الى اليسار » (اش ٣٠ : ٢١) . هى تعلمنا وترشدنا « لأن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا ، حتى بالصبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء» (رو ١٥ : ٤) ... « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر . لكى يكون انسان الله كاملا متأهب لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ : ١٦ ، ١٧) . **لاغرابة اذن ان وجدنا رجال الله يتحدثون عن الشريعة كنور وسراج ،** فيقول داود النبى والملك « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » (مز ١١٩ : ١٠٥) . وقال سليمان الحكيم « لأن الوصية مصباح والشريعة نور » (أم ٦ : ٢٣) ... والقديس بطرس يشير الى كلام الأنبياء يقول « وعندنا الكلمة النبوية ... التى تفعلون حسنا ان انتبهتم اليها **كما الى سراج منير فى موضع مظلم** ، الى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم » (٢ بط ١ : ١٦ – ١٩) .

من أجل هذا فان كنيستنا – تعبيرا عن هذه الحقيقة – توقد الشموع وقت قراءة الانجيل ... قال القديس ايرونيموس (جيروم) من أباء القرن الرابع المسيحى « ان الشموع التى توقد وقت قراءة الانجيل كالعادة المألوفة فى كنائس الشرق ، ليست لتبديد الظلام ، بل لاظهار الفرح بالانجيل ، كما كانت مصابيح الحكيمات مضيئة ، ليظهر تحت شكل النور ما قاله المرتل : سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى . وقول الحكيم : الوصية مصباح والشريعة نور » .

(٣) سلاح وعون :

كلمة الله قوة جبارة لا يستطيع أن يدرك عظم قدرها الا كل من عاش بها وفيها واختبرها ... ان السيد المسيح الذى ترك لنا مثالا لكى نتبع خطواته (١ بط ٢ : ٢١) استخدم هذا السلاح فى حربه مع ابليس الذى تقدم ليجربه ... لقد كان فى كل جولة يرشقه بسهم الهى من كلمات الرب قائلا له « مكتوب ... » (مت ٤) ... مغبوط هو الانسان الذى يحفظ كلمة الله ، فان الكلمة تتحول فيه الى قوة ... مغبوط هو الرجل الذى يملأ جعبته بأسهام الروحية التى هى كلمة الله ... حينئذ لا يخشى من ملاقاة أعدائه ، على نحو ما فعل الفتى داود بجليات الجبار ...

لقد وصف **الرسول بولس** كلمة الله بأنها **« حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين ، وخارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ، ومميزة أفكار القلب ونياته »** (عب ٤ : ١٢) ... تدخل الكلمة الى أعماق القلب فتكشف ما فى النفس من نوازع شريرة وأفكار اثيمة ، ثم تعمل عملها

فتستأصل من النفس الشر لأنها أمضى من السيف ذى الحدين ... **اما سبب قوة الكلمة – فعلى حد تعبير القديس اثناسيوس الرسولى – ان الرب كائن فى كلماته ..؟**

حينما أوصى معلمنا بولس مؤمنى كنيسة افسس ان يلبسوا « سلاح الله الكامل » لكى يقدروا أن يثبتوا ضد مكايد ابليس ، ذكر أنواعا من هذه الأسلحة ... فتكلم عن درع البر ، وترس الايمان ، وخوذة الخلاص ... وهذه كلها – مع كونها اسلحة تستخدم فى وقت القتال – لكنها أسلحة سلبية أى للوقاية ... **ثم تقدم الرسول وتحدث عن سلاح ايجابى قوى « سيف الروح الذى هو كلمة الله »** (أف ٦ : ١٠ – ١٧) ... ان كلمة الله كالسيف للمقاتل ، به يصرع عدوه ...

ليس يخفى ما لكلمة الله منقوة فى جهادنا الروحى، اذ لها قدرة على رد النفس الى طريق الكمال « ناموس الرب كامل يرد النفس » (مز١٩ : ٧) ... **ولها القدرة أيضا على تنقيتنا من نقائصنا** كما قال الرب يسوع « أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذى كلمتكم به » (يو ١٥ : ٣) ... **بل انها تقدس النفس** « قدسهم فى حقك . كلامك هو حق » (يو ١٧ : ٧) ... **وبالجملة فانها تبنى حياتنا الروحية** « والآن استودعكم يا اخوتى لله **ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم** وتعطيكم ميراثا مع جميع المقدسين » (أع ٢٠ : ٣٢) ... **وهى أيضا قادرة على خلاصنا** « فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة **القادرة أن تخلص نفوسكم » (يع ١ : ٢١) .**

وكلمة الله منطقة للذهن . فعندما يشرد الفكر بعيدا عن الله ، ويبدأ فى الانزلاق الى مهاوى الرذيلة ، تعمل الكلمة عملها وتتقدم لتعطى يقظة وانتباه للفكر . ولذا يقول القديس بطرس « منطقوا احقاء ذهنكم صاحين » (١ بط ١ : ١٣) ... ويقول معلمنا بولس « فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق » (أف ٦ : ١٤) .. **وما الحق الا كلمة الله « كلامك هو حق »** (يو ١٧ : ١٧) .

بعد أن آلت قيادة الشعب الى **يشوع بن نون** عقب انتقال موسى النبى، بدأ الله عمله معه بقوله **« لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه نهارا وليلا لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه . لأنك** حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح » (يش ١ : ٨) ... وواضح من كلمات الرب **هذه** أنها أمر صريح بعدم مبارحة كلماته لأفواهنا ... والسبب « لكى تتحفظ للعمل » ... أما النتيجة « حينئذ تصلح طريقك ، وحينئذ تفلح » ...

وثمة اختبار جميل يحدثنا عنه المرنم فى مطلع المزامير « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ... **لكن فى ناموس الرب مسرته ، وفى**

ناموسه يلهج نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه ، التى تعطى ثمرها فى أوانه ، وورقها لا يذبل ، وكل ما يصنع ينجح » (مز ١:١—٣) ... ما أروع اختبار المرتل ، وما أروع التشبيه الذى أورده عن النفس التى جعلت مسرتها فى كلمة الرب ... ان مجارى الانهار التى اشار اليها المرنم هى عمل **الروح** القدس فى المؤمن (يو ٧ : ٣٨ ، ٣٩) ... الروح القدس الذى كتب **الكتاب** ...

(٤) مقياس للكمال والنمو :

كثيرا ما ينحرف المسيحى عن الحق متـأثرا بروح العصر والتقليد والمحاكاة ... وحينئذ تنقلب القيم الروحية فى نظره . وتأخذ المقاييس صورة حسب هواه وتصوره ودوافعه اللاشعورية ، فيظن أن حياته لا بأس بها طالما هو بعيد عن الخطايا الكبيرة — حسب تقديره ... **لكن حينما يلجأ الى كتاب الله — الكتاب الكامل والمعصوم من الخطأ — ويحتكم اليه ويقرأ مثلا كيف أن الله يطالبنا جميعا بحياة الكمال ، حينئذ يكتشف عيوبه ويلمس أخطاءه ... يجب أن نمتحن كل شيء على ضوء الكلمة ، « الى الشريعة والى الشهادة** . ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر » (أش ٨: ٢٠).. واليهود فى بيريه ، لما وصل اليهم بولس وسيلا وكلماهم عن الايمان بالمسيح **« قبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الأمور هكذا »** (أ ع ١٧ : ١١) ... **ان الكتاب المقدس كالميزان الدقيق** الذى نوضع فيه ، فيظهر ثقل خطايانا فنتوب عنها . انه بذلك يقودنا الى طريق الكمال . **حقا ما أجمل ما قاله داود العظيم « ناموس الرب كامل يرد النفوس ؟ »** (مز ١٩ : ٧) ... وقال معلمنا بولس أيضا « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر ، **لكى يكون انسان الله كاملا** متأهبا لكل عمل صالح »(٢ تى ٣ : ١٦ ، ١٧) .

وقال الرب يسوع لليهود الذين أتوا ليحاجوه « الذى من الله يسمع الله . لذلك **أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله »** (يو ٨ : ٤٧) ... **ان كلمات الرب هذه توضح لنا زاوية هامة من زوايا حياتنا الروحية ... نستطيع أن نقيس نمونا فى النعمة بمقياس نمو محبتنا لدراسة كلمة الله .** ففى الوقت الذى نفقد فيه الشهية الى خبز الحياة ، لنتأكد اننا نعانى من مرض روحى ، قد يكون مرجعه الى عدم استنشاق القدر الكافى من الهواء المنعش فى جو الشركة مع الله ...**يؤيد ذلك ما قاله القديس يوحنا ذهبى الفم** لشعبه فى احدى عظاته « اننى حينما أرى شدة رغبتكم واسراعكم بالمجىء الى هنا لكى تسمعوا التعليم المقدس ، وأشاهد حرارة شهوتكم واشتياقكم الى الخبز الروحى الذى هو كلام الله ، يتضح لى من ذلك نموكم

فى الفضيلة . لأنه كما نحكم على الجسد انه حاصل على حال الصحة حينما نراه يتناول الأطعمة بشهية والتذاذ ، هكذا جوعكم لكلام الله يوضح لنا جليا حسن استعداد أنفسكم وصحتها الكاملة » .

الكتاب فى حياة رجال الله

لسنا نعرف واحدا من رجال الله القديسين الا وكانت كلمة الله هى أساس حياته الروحية . ولسنا نعرف خادما ناجحا فى خدمته الا وكانت كلمة الله هى أساس خدمته ، شبع منها وتلذذ بها ، وأروى بها كل النفوس العطشى ... كانت كلمة الله — ومازالت — هى المائدة الروحية ، التى يقتات منها كل القديسين سواء كانوا مبشرين او خداما أو نساكا أو مجرد مؤمنين عاديين ... كانوا يلهجون فيها نهارا وليلا ... حفظوا كلمة الله فحفظتهم الكلمة ، استناروا بها فأنارت أمامهم الطريق ، وجعلتهم نورا أضاء لكثيرين ...

فى العهد القديم :

منذ البدء والله يشدد على أهمية الكلمة ... قال موصيا عبده موسى « لتكن هذه الكلمات التى انا أوصيك بها اليوم على قلبك . وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك ، وحين تمشى فى الطريق ، وحين تنام ، وحين تقوم ، واربطها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك ، واكتبها على قوائم أبواب بيتك ، وعلى أبوابك » (تث ٦ : ٦ — ٨)
الا تحتاج هذه الكلمات منا الى وقفات طويلة ، انزن حبنا لكلمة الله على أساسها ؟

وحينما بدا عمله مع يشوع الذى خلف موسى فى قيادة الشعب ، كانت اولى وصايا الله له خاصة بحفظ الكلمة « لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه نهارا وليلا لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه . لأنك حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح » (يش ١ : ٨) . . .
انه أمر صريح من الله بالايبرح كلامه افواهنا حتى نتحفظ لاتمام ارادة الرب . . .

أما داود العظيم ، النبى والملك ، فالقلم يعجز عن وصف صلته بكلمة الله ... ان ترانيمه كلها مشحونة بالتغنى بكلمة الله وحبه لها . فيقول فى احداها « أن أفعل مشيئتك ياالهى سررت ، وشريعتك فى وسط احشائى » (مز ٤٠ : ٨) . يا للقلب الكبير المحب الذى عبر هذا التعبير « شريعتك فى وسط احشائى » ... انه يحتاج الى وقفة تأملية كبيرة ... لكن لنترك

كل ما خلفه داود ، ونقف قليلا عند الترنيمة الخالدة ــ ترنيمة الحب لكلمة الله التى تضمنها المزمور المائة والتاسع عشر ، وهو مزمور فريد بين اصحاحات الكتاب المقدس ، هو أطولها على الاطلاق ، وتكاد لا تخلو آية واحدة من آياته المئة وست وسبعين من لفظ يعنى الكتاب المقدس ، مثل قوله : شريعتك ، وصاياك ، فرائضك ، أحكامك ، ناموسك ... وترينا هذه الأنشودة ان كلمة الله هى حياة المؤمن فى كل أوقات حياته :

فهى سر قوته فى سن الشباب « بماذا يقوم الشاب طريقه ، بحفظ أقوالك » (آية ٩) ... وهى لهج المؤمن طوال اليوم « كم احببت شريعتك ، اليوم كله هى لهجى » (آية ٩٧) ... بل هى لهجه فى الليل ايضا « تقدمت عيناى الهزع لكى الهج بأقوالك » (آية ١٤٨) ... بل هى العزاء الى ابد الدهور « وصيتك جعلتنى أحكم من أعدائى ، لأنها ثابتة لى الى الأبد » (آية ٩٨) ... بل لقد صارت كلمة الله أعز شىء لديه فيهتف فى حب « شريعة فمك خير لى من الوف ذهب وفضة » (آية ٧٢) ... « لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والأبريز » (آية ١٢٧) ... ويبين أن دراسة كلمة الله لها لذة عميقة فيقول « أشتقت الى خلاصك يارب ، وشريعتك هى لذتى » (آية ١٧٤) ... بل انها تعطيه روحا جديدة « فتحت فمى واجتذبت لى روحا ، لأنى لوصاياك أشتقت » (آية ١٣١) ...

هذا عن داود قيثارة الروح . ويأتى ابنه سليمان الحكيم ويقول « يا ابنى احفظ كلامى وانخر وصاياى عندك . احفظ وصاياى فتحيا ، وشريعتى كحدقة عينك . أربطها على أصابعك . اكتبها على لوح قلبك » (أ م ٧ : ١ ــ ٣) . أما أرميا النبى فيظهر اشتياقه لكلمة الله وكأنه يلتهمها التهاما فيقول : « وجد كلامك فأكلته ، فكان كلامك لى للفرح ولبهجة قلبى » (أر ١٥ : ١٦) ... واذا انتقلنا الى حزقيال النبى نجد أن الله يظهر لنا قوة الكلمة ولذتها بكلام عجيب « فقال لى يا ابن آدم كل ما تجده . كل هذا الدرج واذهب كلم بيت اسرائيل . ففتحت فمى فأطعمنى ذلك الدرج . وقال لى يا ابن آدم اطعم بطنك واملأ جوفك من هذا الدرج الذى أنا معطيك اياه ، فأكلته فصار فى فمى كالعسل حلاوة . فقال لى يا ابن آدم اذهب امض الى بيت اسرائيل و كلمهم بكلامى ... » (حزقيال ٣ : ١ ــ ٤) .

فى العهد الجديد :

واذا تركنا العهد القديم وانتقلنا الى العهد الجديد ، نجد ربنا يسوع المسيح يبرز مكانة الكلمة . ففى السنة الثانية عشر لتجسده الالهى ، وجد جالسا بين المعلمين فى الهيكل كصبى يحب كلمة الله ، يسمع المعلمين

ويسألهم (لو ٢ : ٤٦) . وحينما ارتضى أن يجـرب من ابليس ، قهـره بقوة الكلمة ، فـكان يجاوبه فى كل مـرة بقوله « مكتوب ... » . **واوضح لنا أن الـكلمة هى طعام الروح « ليس بالخبز وحـده يحيا الانسـان بل بكل كلمة تخـرج من فم الله »** (مت ٤ : ٤) ، **وأنهـا برهان حبه** « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » (يو ١٤ : ١٥) ... « الكلام الذى أكلمكم به هـو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) ... **بل أظهـر لنا أن الجهل بهـا** هو منشأ الضلال . قال لليهود المكابرين « تضلون اذ لاتعرفون الكتب ولا قوة الله » (مت ٢٢ : ٢٩) . **بل أكثر من هـذا ، أوضح لنا أن الكتب المقدسة كافية ومقتدرة فى عملها لخلاص البشر . ففى مثل الغنى ولعازر الذى ضربه،** حينما طلب الغنى من ابراهيم أن يرسل لعازر الى اخوته الخمسة ناصحا ، كان جواب ابراهيم « عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم » ! .. لـكن الغنى عاد وطلب من ابراهيم متوسـلا « بـل اذا مضى اليهم واحـد من الأموات يتوبون » فكان جـواب ابراهيم فى هـذه المرة فاصـلا « ان كانوا لايسمعون من موسى والأنبياء ، ولا أن قام واحد من الأمـوات يصـدقون » (لو ١٦ : ٢٧ ــ ٣١) . **وحينما رفعت امرأة صوتها وسط الجمع تمدح الرب** « طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذان رضعتهما » ، **كان جوابه « بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه »** (لو ١١ : ٢٧ ، ٢٨) .

وكان المسيحون يحرصـون على تلقين أولادهم كلام الله منذ الصغر . وقد اشار معلمنا بولس الى ذلك حينما قال لتيموثاوس **« لأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة** ، القادرة أن تحكمك للخلاص الذى فى المسيح يسوع » (٢ تى ٣ : ١٥) ... **أما الشباب فكانت الكلمة هى مصدر ثباتهم وقوتهم .** فكتب اليهم القديس يوحنا الحبيب يقول « كتبت اليكم أيهـا الأحداث لأنكم **أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم . وقـد غلبتم الشرير »!** (١ يو ٢ : ١٤) ... والرسـائل مليئة بالعبارات التى تظهر أهمية كلمة الله ــ وقـد ذكرنا طرفا منها فى حديثنا عن بركات الكتاب . **وأخيرا نجـد الله يظهر مكانة الكلمة فى** سفر الرؤيا فيقول « طوبى للذى يقرأ وللذين يسمعون أقـوال النبـوة ، **ويحفظون ما هو مكتوب فيهـا** » (رؤ ١ : ٣) .

وقـد انطبعت كل هـذه التوجيهات الكتابية فى حياة قديسى الكنيسة المسيحية ، فنجدهم وقد ضربوا بسهم وافر فى دراسة الكتاب المقدس،وحفظوا منه أجزاء كثيرة عن ظهـر قلب ... وليس سـفر المزامير الا واحدا من الأسفار المقدسة المحبوبة التى حفظوها واستعملوها فى صلواتهم ... ونحن نلمس هـذه الحقيقة واضحة فى أقوالهم وكتاباتهم ، ممـا يدل علـى أن كلمة المسيح كانت تسكن فيهم بغنى (كو ٣ : ١٦) .

مركز الكتاب المقدس بين قراءاتنا

تتزايد المطبوعات كل يوم ، حتى أن الانســـان لا يجـد الوقت لقراءة كل مايريد ، ولذلك يختار البعض فقط تاركا الكثير . وعلى الرغم من ان فى الكتب والمجلات والنبذات كثيرا من المعـــرفة الدينية حـــول الكتاب المقدس واللاهوت والعقيدة والتاريخ الكنسى وغيرها مما كتبه قديسون وعلماء ، الا أنه ما من شك فى أن الكتاب المقدس يفوقهـــا جميعا بدرجـــة لا حـــد لها . انه الشمس وما عداه كواكب معتمة تعكس من الضوء الباهر الساقط عليها منه . **ولذلك لا يليق أبدا فى أى وقت من الأوقات أن تعتمد على هذه الكتب دون الكتاب الأقدس** ، الذى يجب أن يكون له وقته المخصص لدراسته . ان المواعظ القوية والدروس الكتابية والمجلات الدورية ، والكتب الدينية ، لا يمكن — بحال من الأحوال — أن تنوب عن الدراسة الشخصية الهادئة لكلمة الله ... **ما أكثر ما نخطىء حين تكون قراءتنا فى الكتب التى من وضع البشر أكثر من قراءتنا فى كتاب الله .. « طوبى للرجل الـــذى تؤدبه يارب وتعلمه من شريعتك »** (مز ٩٤ : ١٢) .

قليل من الناس كان يعرف القراءة قديما ، ولم تـــكن هناك طباعـــة وانتشـــار للكتب . ولذلك كان الناس يجتمعون حـــول أحد القارئين الذى يملك نسخة من الكتاب المقدس أو بعض أسفاره ، لـــكى يقرأ لهم . وكانوا ينصتون بخشـــوع وفرح شاكرين الرب على تلك الفرصة الفريدة ، متذكرين تطويب الرب « طوبى للذى يقـــرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ، ويحفظون ما هـــو مكتوب فيها » (رؤ ١ : ٣) ...

أما فى الوقت الحاضر فالكتاب فى متناول كل انســـان ، والذين يعرفون القراءة كثيرون جدا ومع هذا فقليلون هم الذين يقبلون بشغف على الارتشاف من ينبوع الكتاب الحى ... **ان وزنة معـــرفة القراءة هى من أهم وزنات الانســـان الحاضر . فلا يليق به أن يقف أمام عرش رب المجـــد فى النهاية ، ليعتذر عن عـــدم استعماله هذه الوزنة فى دراســـة كلمته المحيية** .. لـــو أن صديقا عزيزا أرسل لك خطابا ، لفضضته فى لهفة لتقرأ ما فيه ، وتقف على ما يريد أن يوجهه اليك من أخبار ... كل ذلك تفعله فى شوق وفرح ... أليست هذه المشاعر أجدر أن تكون نحـــو الذى يرسل لك رسائله المقدسة ، يسر اليك فيها بالمكتومات العالية ، والأخبار والمواعيد المملوءة من الفـــرح والمسرة ، وتحمل اليك نسيم التعزية ولحن الخلود !! أليست هى جديرة بمثل مشـــاعر داود « لأننى اشتهيت وصـــاياك . اشتقت الى خلاصـــك يارب وناموسك هو لهجى » (مز ١١٩ : ١٧٣ ، ١٧٤) ... ان كان قـــد قيل

« اسمعنى سرورا وفرحا فتبتهج عظامى المنسحقة » (مز ٥١ : ٨) ، وأيضا « الخبر الطيب يسمن العظام » (أم ٥ : ٣) ... فليس من كلام يحمل بشرى الخلاص اكثر من الكتاب المقدس ، وهو قوت الروح وغذاء القلوب...

ينبغى ان يكون للتلاميذ ساعات معينة ، يلتقون فيها بمعلمهم الرب يسوع ... وينبغى ان يكون لكلمته المكان الأول فى أفكارنا ... يجب ان تعطى الرب باكورة الوقت ، اى الساعات الأولى من النهار ، لأننا يصعب ان نعطى انتباها للأفكار المقدسة بعد أن نكون قد انهمكنا فى اعمالنا اليومية .. لقد كان لزاما على بنى اسرائيل قديما وهم فى البرية ان يجمعوا المن قبل طلوع الشمس وزوال الندى ، والا ذاب وضاع . **وعلى هذا النحو يجب أن نقضى وقتا لا بأس به قبل تناول الافطار فى دراسة حبية انفرادية للكتاب ، نلتقط فيها المن الروحى غذاء لأرواحنا ونحن نسلك برية هذا العالم .**

لا ننكر ان ساعة الصباح قبل تناول الافطار ليست ميسورة للبعض بحكم ظروفهم وأعمالهم ... ان الله الحنون محب البشر يعلم ظروف هؤلاء الأبناء ، ولذا يدبر لهم تدبيرا خاصا ويلتقى بهم اذا دعت الضرورة فى وقت آخر من النهار ، وسوف يعطيهم أجرا كاملا كما فعل مع أصحاب الساعة الحادية عشر (مت ٢٠ : ٩) . **ولا ننكر أيضا ان الوقت الكافى للجلسات الحبية الانفرادية مع الله أمام كتابه المقدس ، ربما لا يكون متاحا للجميع بدرجة متساوية ... ولكن الرب يكرر لهؤلاء من جديد معجزة المن .** وفى ذلك يتم قول الوحى الالهى « الذى جمع كثيرا لم يفضل ، والذى جمع قليلا لم ينقص » (٢ كو ٨ : ١٥) . أى اذا كنا بسبب ظروفنا القاهرة لا نملك الا ان نلتقط قليلا من المن الروحى ، فان هذه مع قلتها ستكفينا كل اليوم ...

ونود ان نلفت النظر هنا الى واجبنا نحو اطفالنا الى كلام الله ...
لقد امر الله شعبه قديما أن يقصوا كلامه على أولادهم « لتكن هذه الكلمات التى انا أوصيك بها اليوم على قلبك ، **وقصها على اولادك ...** » (تث ٦ : ٧) « ضعوا كلماتى هذه على قلوبكم ونفوسكم .. وعلموها أولادكم ...» (تث ١١ : ١٨ ، ١٩) .. وقد تمم الوالدان الأمناء وصية الرب هذه ، ولذا فان معلمنا بولس الرسول حينما امتدح التلميذ تيموثاوس لأنه منذ الطفولية يعرف الكتب المقدسة ، أشار الى ايمان جدته لوئيس رامه افنيكى (٢ تى ١ : ٥) ... ولذا كم يجب علينا أن نعود أطفالنا ، قبل أن يعرفوا القراءة أن يستمعوا الى كلمة الله ، وحين أن يعرفوا القراءة ان يدرسوا فيها ...

لماذا ندرس الكتاب المقدس ؟

ماأكثر الفوائد الجليلة التى لنا فى دراسة كتاب الله المقدس ، فهو :

(١) كتاب الخلاص :

هو الكتاب الذى يشرح لنا قضية خلاص البشرية من خطيتها ، ونهوضها من سقطتها بواسطة الفداء الذى صنعه الله لشعبه ، بل للعالم أجمع ، بموت ابنه يسوع المسيح ... ليس شىء آخر أهم من هذه القضية ... فهى القضية التى تتعلق بغفران خطايانا ، وخلاصنا ، ونصرتنا ، وبهلاكنا الأبدى أو حياتنا الأبدية ... « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) . . « الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية . والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » (يو ٣ : ٣٦) ... « من هو الذى يغلب العالم الا الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله » (١ يو ٥ : ٥) .

العهد القديم يروى لنا أعمال الله مع أنبيائه وشعبه ، وتعاليمه لهم ووصاياه الخاصة بالسلوك والعبادة والايمان ... كما أورد لنا رموزا ونبوات عن مجيئه متجسدا ... والعهد الجديد يحدثنا عن اتمام هذه النبوات فى شخص يسوع المسيح ربنا ، وسيرته المقدسة فى الجسد ، وتعاليمه لنا بخصوص هذه الحياة الجديدة .

وعلى هذا فيمكن اعتبار الكتاب المقدس أنه يحوى موضوعا واحدا متصلا ، هو قصة البشرية التى هى أساس الديانة ، وأساس الحياة الأبدية ، وسعادة البشر ، وأهم حادث فى الوجود . من اجل هذا قال رب المجد لليهود المقاومين ، المدعين معرفة الكتب المقدسة « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى التى تشهد لى ، ولا تريدون أن تأتوا الى لتكون لكم حياة » (يو ٥ : ٣٩ ، ٤٠) ... فالسيد المسيح يخاطب اليهود بقوله « تظنون أن لكم فيها حياة » لأنهم كانوا يدرسونها ليأخذوا منها الناموس الطقسى ، بينما رفضوا تعاليمها عن المسيح .. ولو فطنوا لوجدوا أنها تشهد له ... أما نحن فلنفتش هذه الكتب المقدسة ، **لأنها** تحمل لنا بالحق رسالة الخلاص ، وقادرة على اقتيادنا الى مصدر الحياة والحق والخلود ...

(٢) غذاء الروح :

يعال الجسد بالمأكولات المادية المتنوعة ، وتعال الروح بالأطعمة

الروحية المختلفة كالصلاة ودرس كلمة الله ، والتناول من جسد الرب **ودمه الأقدسين** ... وان كان بين الأطعمة الروحية ما لا يسهل الحصول **عليه كل يوم** ، الا أن هناك نوعين يعتبران الغذاء اليومى للمؤمن ، وهما الصلاة وكلمة الله . **فبالصلاة نتحادث الى الله ، وبدرس الكتاب يتحدث هو الينا ، وبحسب تعبير القديس أمبروسيوس « اننا نخاطبه حينما نصلى ، ونصغى اليه حينما نتلو الكتب المقدسة »** ... وكأن هذين الطعامين **الروحيين هما** سلكا الكهرباء المتصلان بمصدر القوة الروحية الذى نستمد منه **طاقتنا اليومية** ... فتيار من القلب اليه ، وتيار منه الى القلب ... وهكذا **نستنير** ..

ماذا يحدث لو أن كائنا حيا لم يتعاط غذاءه فى حينه ؟ لا شك أنه يضعفه **تدريجيا حتى يموت** . وعلى هذا النحو ، الروح ... لها غذاؤها الخاص ، **الذى ان لم تتعاطه** تجف وتذبل ... لقد تكلمنا سابقا عن بركات الكتاب **المختلفة** ، وخطة ابليس فى حربه مع بنى البشر ، أن يجعلهم يتهاونون **بكلمة الله** ودرسها ، حتى يحرمهم من بركاتها ، وهكذا رويدا رويدا حتى **يصبحوا بجملتهم** فى قبضة يده . وقد اختبر معلمنا داود هذا الاختبار فقال **« لو لم تكن شريعتك لذتى ، لهلكت حينئذ فى مذلتى »** (مز ١١٩ : ٩٢) ..

حينما نتعاطى الطعام المادى ، لانرى كيف يتحول فينا الى طاقة **والى أنسجة فى** جسدنا وكيف يعطينا قوة الحياة ... ومع ذلك فنحن نأكل **ونحيا لأن** التحول يجرى فى الخفاء ، ونلمس القوة حينما ننهض للعمل ... **وهذا هو عين ما يحدث فى حياتنا الروحية . فنحن نتناول طعام الروح ، الذى يتحول فينا الى طاقة روحية ، يظهر أثرها وعملها وقت الحاجة ...** **طوبى للمؤمن** الذى كما يهتم بأن يقيت جسده يهتم أيضا باطعام روحه **غذاءها الخاص** الذى قال عنه الرب « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، **بل بكل كلمة** تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) .

(٣) قانون الدينونة الأخيرة :

وبالاضافة الى أن الكتاب المقدس هو كتاب خلاصنا ، وغذاء أرواحنا ، **فهو أيضا القانون** الذى سندان به والعالم أجمع فى اليوم الأخير ... قال **الرب يسوع** « من رذلنى ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه ، **الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير** » (يو ١٢ : ٤٨) ... وقال معلمنا بولس **الرسول « فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب انجيلى بيسوع المسيح »** (رو ٢ : ١٦) ... واذا كنا سندان بالكتاب ، فمن الخير أن نعرفه **ونحيا بحسب** وصاياه ، خصة وقد رسم لنا بعض مشاهد الدينونة ..

كيف ندرس كلمة الله ؟

(١) بالروح :

الكتاب المقدس ليس كتابا عاديا من نتاج عقل بشرى ، **انما هو كتاب الله** الصادر عن عقله الالهى ، المكتوب **بروحه القدوس . قد يقرأ** انسان جزءا من الكتاب فيجده كلاما عاديا ، **بينما يقرأه آخر فيتذوق** حلاوة ، ويكتشف عمقا عجيبا ... **والحق أن الكتاب غاية فى العمق الروحى ... واعماق الكتاب مستترة خلف كلماته الظاهرة المتطورة ...**

تستطيع العين البشرية المادية أن تقرأ كلمات **الكتاب المطبوعة** على الورق ، وتفهم معانيها القريبة أو المباشرة ، **يشاركها فى ذلك معظم** الناس ، لكن قليلين هم الذين يستطيعون أن يقفوا على **قصد الله من كلماته ، فيقرأوا** ما هو مستور خلفها ... **ان الأمر يحتاج الى ان يكشف الرب عن عيوننا فنرى مقاصده وهذا ما حدا بداود ان يسأل الرب « اكشف عن عينى ، فأرى عجائب من شريعتك »** (مز ١١٩ : ١٨) ... **فأولاد الله قد** أعطى لهم أن يعرفوا أسرار ملكوت السموات (مت ١٣ : ١١) .

حينما أحاط جيش ملك آرام بمدينة دوثان **التى كان فيها اليشع** النبى ليقبض عليه ، ورأى جيحزى تلميذه ذلك المنظر ، **ارتاع وقال لمعلمه** « آه ياسيدى كيف نعمل » ... فطمأنه النبى وطلب **الى الرب قائلا « يارب افتح عينيه فيبصر »** ، وللحال أبصر جيحزى **الجبل مملوءا خيلا ومركبات** نارية حول اليشع (٢ مل ٦) ... **كانت الخيل والمركبات النارية موجودة فى بادىء الأمر ، وكانت عينا جيحزى مفتوحتين ومع ذلك لم يستطع أن يرى شيئا منها الا بعد أن فتح الرب عينيه** ... ماذا حدث ؟ **نفس** الرجل ونفس العينين استطاعت أن ترى شيئا أمامها لم **تكن تراه ... هكذا توجد** معانى روحية سامية وبركات جزيلة كائنة فى كلمات **الرب ومع ذلك لانراها.** اننا محتاجون أن يكشف الرب عن بصيرتنا لنرى ... **ليتنا — كلما جلسنا أمام الكتاب — نرفع قلوبنا فى انسحاق ونقول للرب « اكشف عن عيوننا فنرى عجائب من شريعتك »** ... اننا لانشك فى أنه سيفعل ..

ليس من السهل أن نسبر أغوار كلمات الله ... لقد أفنى العلماء والقديسون والنساك حياتهم ، وافرغوا كل ما **فى جعبتهم ، دون أن يصلوا** الى نهاية للكتاب ، خاصة من جهة معانيه **الروحية التأملية . لم يقل أيهم** فى وقت ما ، لقد انتهيت من دراسة **الكتاب وفهمه ... بل شعروا أن** كل ما بذلوه من جهد كقطرة وسط لجة عظيمة ، **وكخطوات أولى فى طريق**

لا نهاية له !! **حقيقة ان الكتاب المقدس كتب للبشر لكي يحيوا به ، لكن الروح يكشف لكل مجتهد زاوية معينة من زوايا الكتاب العديدة . لقد عاش داود فى هذا الاختبار فقال مخاطبا الرب « لكل كمال رايت حدا أما وصيتك فواسعة جدا »** (مز ١١٩ : ٩٦) ... فاذا كان داود الذى أعطى موهبة النبوة وشهد الله عن قلبه أنه حسب قلبه تعالى ، وكان يتكلم بالروح ، قد قال مثل هذه الكلمات ووصل الى هذه النتيجة ، فماذا عسانا نحن ان نقول .... !!

وهكذا ، كلما تعمقنا فى حياة الشركة مع الرب ، وحاولنا دراسة الكتاب بالروح ، كشف لنا الروح معانى جديدة ، بقدر ما نحتمل ... ان الله مستعد أن يعطينا الكثير من بركاته دفعة واحدة ، ويكشف لنا الكثير من أسراره لكننا لا نحتمل ثقل مجد الرب ، ولا كثرة تعزياته ... من اجل هذا أيضا قال داود **« فى طريق وصاياك سعيت عندما وسعت قلبى »** (مز ١١٩ : ٣٢) ... فكلما سلكنا فى حفظ وصايا الرب ، كلما وسع قلبنا الذى ضيقته **الخطية ـــ حتى يسع اكبر قدر من تعزياته ... وهكذا حتى ينطبق علينا قول الرب « كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت يخرج من كنزه جددا وعتقاء »** (مت ١٣ : ٥٢) ...

لا غرابة فى كل ما ذكرنا ، فلقد قال الرب يسوع « الكلام الذى اكلمكم به هو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) ... فكلام الله روح ، ولا يمكننا فهمه تماما والشبع منه الا بالروح ، على نحو ما قال السيد للمرأة السامرية « الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٤) .

قد ينعت البعض الكتاب المقدس بالجفاف والجمود ، وينكروا علينا كل ما نقوله عنه ، ولكن ذلك راجع فى الواقع الى أنهم وضعوه تحت عقولهم المجردة ، وحاولوا ن يدركوا الروح ومكتوماتها بالعقل ففشلوا . **نحن لا ننكر ما فى الكتاب من حسن وطلاوة حتى لجماعة العقليين ، ولكن شتان بين تذوق العقل للكتاب ، وتذوق الروح له** ... وعلى هذا القياس نجد أمورا كثيرة فى الكتاب لا نستطيع أن نصل اليها بالعقل ، ولكننا ندركها بالروح ، فمثلا :

لقد جلست مريم أخت مرثا تحت قدمى المخلص تحادثه وتستمع اليه . وقد اغفل الانجيل حديثها مع الرب ، وحديث الرب معها ، ولم يذكر سوى مديح الرب لمسلكها ... ومع ذلك نستطيع أن نعرف بالروح ذلك الحديث الالهى ، ان نحن اتخذنا لأنفسنا مكانا الى جوار مريم تحت قدميه ..!! ان

روح الله الســاكن فينا ، هو عينه الذى كتب الكتاب المقدس ، وهــو أيضا **الذى** ــ حسب وعد الرب ــ يعلمنــا كل شىء ويذكرنا بكل مــا قاله لنــا (**يو** ١٤ ــ ٢٦) ... قال القديس بولس الرسول « كما هو مكتوب ما لم تر **عين** ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال انســان ما أعده الله للذين يحبونه ، **فأعلنه الله لنا نحن بروحه . لأن الــروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله** » (**١** كو ٢ : ٩ ــ ١١) .

(٢) بخشــوع :

قد يفهم البعض الدالة على أنها رفع للكلفة ، وعدم التحفظ فى المعاملة ... ونحن وأن كنا قد نلنا دالة عظيمة لدى الله بفضل نعمته المجانية ، لكنها **ليست** من هذا الطراز ، وليست بهذا المفهوم ... **ليست دالة البنوه المجانية التى نلناها معناها أن نسلك بلا خشوع أو رهبة ازاء الرب** ... قطعا انها **ليست** رهبة العبد من سيده ، لكنها احترام الابن لأبيه الذى يحبه . **وكلمــا ازددنا نموا فى حياتنا الروحية وتقدمنا فى عشرتنا مع الرب ، ازداد تقديرنا وخشوعنا له ولكلامه** . وكلما ازداد خشوعنا له ولكلامه، كلمــا كان ذلك **دليلا** على نمونا الروحى ... قطعا اننا لم نصــل بعــد الى مستوى داود **الروحى** ، ومع ذلك فانه كان يقول « **من كلامك جزع قلبى** » (مز ١١٩ : ١٦١) .

حين نقرأ كلام الله ونستمع اليه ، علينا أن نفعل ذلك فى ملء الوقار والخشوع . يجب أن نفرق بين كلام الله وكلام الناس ... لقــد أشــار **الرسول** الى توقير المؤمنين فى كنيسة تسالونيكى لكلمة الله بقــوله « لانكم **اذ** تسلتم منا كلمة خبر من الله قبلتموهــا لا ككلمة اناس ، بل كما هى بالحقيقة **ككلمة** الله التى تعمل أيضــا فيكم أنتم المؤمنين » (١ تس ٢ : ١٣) ...

ليتنا نشعر حينما نقرأ الكتاب أننا فى حضرة الرب ... ان البعض ــ **من** فرط احترامهم لكلام الله ــ لا يقراون كلمة الرب فى دراستهم الانفرادية **الا** وهم وقوف ، والبعض الآخــر يقرأونها وهم ركوع !! لأنه اية عقوبــة **تلحق** الشخص الذى يستهين برسالة خاصــة أرسلها له رئيس الدولة ، **أو** احتقر منشورا عاما أصدره؟ !! **فالكتاب المقدس هو رسالة الآب السماوى الى كل واحــد من أولاده ... ان عــدم تخشعنا أمام كلامه يخرجنا عن دائرة الصواب** . قال الرب قديما بلسان ملاخى النبى « الابن يكرم اباه والعبد **يكرم** سيده ، فان كنت أنا أبا فأين كرامتى ، وان كنت سيدا فأين هيبتى » (**ملا** ١ : ٦) . **لتحذر يا أخى التهاون فى التوقير حالما تدرس الكلمة ... لا تقرأها وأنت مستلق فى فراشك ، أو فى وضع غير لائق** كأنك تقرأ جــريدة **يومية** ، أو مجلة سيارة ، الا اذا كان هناك اضطرار ، كمــرض او نحــو **ذلك** ... ان الله يحبنا كأولاده ، لكنه يود أن يرى أولاده الــذين يحبهم **فى**

خشوع وتقوى ... ان هناك بركة خاصة لمن يدرس كلمة الله بخشوع . وقديما قال الرب بلسان أشعياء النبى « **الى هذا انظر . الى المسكين المنسحق الروح والمرتعد من كلامى** » (أش ٦٦ : ٢) .

وما يقال عن القراءة يقال أيضا عن الاستماع . فحينما يتكلم الله تنصت السموات ويخشع كل من فيها ... والله نفسه يدعونا أن نلتفت الى كلامه ونصغى اليه « انصتوا الى يا شعبى ، ويا أمتى اصغى الى . لأن شريعة من عندى تخرج وحقى أثبته نورا للشعوب » (هو ٥ : ٤) ... ولذا فان الشماس قبيل قراءة الانجيل فى الكنيسة ، ينذر الشعب قائلا « قفوا بخوف أمام الله ، وانصتوا لسماع الانجيل المقدس » ... ثم بعد ذلك يعلن أنه مقبل على كلمات الرب فيقول « مبارك الآتى باسم الرب ربنا والهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ابن الله الحى الذى له المجد الدائم الى الأبد آمين » ..

حينما بدأ عزرا الكاتب يقرأ على الشعب سفر الشريعة « كانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة » وعندما فتحه وقف كل الشعب ... وخروا وسجدوا للرب على وجوههم الى الأرض . وبكى كل الشعب بكاء شديدا ، حتى ان اللاويين كانوا يطوفون بين الشعب يسكتونهم قائلين : **اسكتوا لأن اليوم مقدس فلا تحزنوا** » (نح ٨ : ١١) ... فاذا كان هذا هو حال الورع والخشوع الذى كان عليه الشعب فى ظل الناموس وشريعة الذبائح الحيوانية، فكم يجب أن يكون وقارنا وخشوعنا حينما نقرأ أو نسمع — فى عهد النعمة — كلمة الله الذى أحبنا وفدانا — وختم هذا العهد بدمه الكريم !!

(٣) باتضاع :

تكلمنا فى نقطة سابقة عن دراسة كلمة الله بالروح ، وقلنا ، ليتنا كلما جلسنا أمام الكتاب — نرفع قلوبنا فى انسحاق ونقول للرب « أكشف عن عيوننا فنرى عجائب » ... **والحق أن الله لايكشف أسراره الا للمتضعين « أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال** » (مت ١١ : ٢٥) ... ويقصد هنا الحكماء والفهماء فى نظر أنفسهم ، أما الأطفال فيعنى بهم المتضعين .

ليتنا حينما نشرع فى قراءة الكلمة ان نهيىء أذهاننا ،فنترك كل مشغولية عالمية ونرشم على ذواتنا باشارة الصليب المقدس ، ونرفع القلب الى الله طالبين مباركة الفرصة وتقديس الذهن ... ونعلن له جهلنا وقصور عقلنا ، ولا شك أن الله سيستجيب وسيفعل « **فاقبلوا بوداعة الكلمة** المغروسة

القادرة أن تخلص نفوسكم » (يع ١ : ٢١) ... ولنحذر الاتكال على العقل وحده فى فهم ما قد يكون غامضا . فالاتكال على العقل وحده قد أسقط كثيرين وسبب الهرطقة . واذا عسر علينا فهم شىء ، نستشير التفسيرات المعتمدة للمفسرين المعروفين بصحة عقيدتهم ، والمشهود لهم أن لديهم هذه الموهبة ولنحذر التفسيرات الاجتهادية الخاطئة .

ولابد أن نشير فى هذا المقام الى أن الكتاب المقدس رغم أنهكتاب العامة — وليس كتابا خاصا لفئة معينة من المثقفين مثلا — لكن مع ذلك يوجد فيه أمور ونصوص صعبة الفهم تحتاج الى الرجوع الى التفسيرات الأمينة والمفسرين الموثوق من صحة ايمانهم وسلامة معتقدهم ... **قال القديس بطرس مشيرا الى رسائل القديس بولس« التى فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضا لهلاك أنفسهم »** (٢ بط ٣ : ١٦) ... فاذا كان هذا هو ما حدث ازاء كتابات بولس فى مدة حياته ، فكم يحتمل أن يحدث بعد ذلك بقرون ... !!

ونحن نقول — والأسى يملأ قلوبنا — ان هذا هو ما حدث بالفعل ... لقد قام البعض وأعطوا أنفسهم حق التفسير ، والاجتهاد فى التفسير ، غير عابئين بتفسيرات آباء الكنيسة وقديسيها ، معتدين بعلمهم وفهمهم ،مسلمين زمام قيادهم فى التفسير للعقل وحده ، فكانت الطامة الكبرى .. **كانت الهرطقات المختلفة والشيع والمذاهب المتعددة التى مزقت جسد المسيح الذى هو الكنيسة ، وحرمت العالم من بركات الكنيسة الواحدة ..**

(٤) بارشاد الروح القدس :

لا يستطيع أحد أن يوضح لك المعانى التى انطوت عليها احدى المقالات خير من كاتبها ، ولا أن يشرح قصيدة خير من ناظمها ... وعلى هذا القياس، **اذا أردت أنتعرف الكتاب المقدس حق المعرفة ، اطلب ارشاد الروح القدس الذى أوحى الى رجال الله القديسين فكتبوه** ... الروح القدس الذى وعد السيد المسيح أنه يعلمنا كل شىء ، ويذكرنا بكل ما قاله لنا (يو١٤:٢٦) ... « الروح الذى يفحص كل شىء حتى أعماق الله » (١كو٢:١٠) ... توجه اليه بقلبك وقل له « اكشف عن عينى فأرى عجائب من شريعتك » (مز١١٩:١٨).

ان المؤمن البسيط القلب ، المعتمد على الله ومعونة الروح القدس ، يجد فى الكتاب ذخائر لم يهتد اليها الحكماء والفهماء . وحسنا قال يوحنا الرسول « لا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شىء » (١يو٢: ٢٧) ... ويقصد بالمسحة هنا مسحة الروح القدس التى ننالها فى سر الميرون المقدس ... **وأرجو ألا يفهم من كلام الرسول**

السابق « لا حاجة بكم الى ان يعلمكم احد » ان كل واحد يعتمد على ذاته وفهمه فى فهم الكتاب ... فقبل ان نتناول هذه النقطة « ارشاد الروح القدس » تكلمنا فى النقطة السابقه عن دراسة كلمة الله بتواضع ... ومن مظاهر التواضع آلا نعتد بفكرنا او بعلمنا « وعلى فهمك لا تعتمد » (أم ٣ : ٥) ...

ذكر عن القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية أن شابا تقابل معه يوما فى الكنيسة ، وشكا اليه من موضوع معين ،فطلب اليه أن يقابله فى التلاية البطريركية ... تردد الشاب مرتين ، وفى كل مرة كان تلميذ البطريرك يصرفه لأن معلمه مشغول ... وفى ذات يوم سأل البطريرك تلميذه عما اذا كان قد حضر شاب للسؤال عنه ... وما أكثر دهشته ، حينما قال له التلميذ « نعم لقد حضر ولكنى صرفته لأنى وجدتك مشغولا بالكتابة فى حجرتك بينما آخر كان يجلس الى جوارك يملى عليك شيئا » . ولما كان البطريرك عاكفا فى ذلك الوقت على كتابة تفسير لرسائل بولس الرسول ، فقد سأله عن ذلك الشخص الذى كان جالسا معه يمليه ... فأجاب التلميذ بأنه لم يسبق له أن رآه ، ولكنه يشبه الصورة المعلقة على الحائط ، وكانت للقديس بولس الرسول ... **فهز البطريرك رأسه لأنهفهم ما كان يحدث... كان القديس بولس نفسه يحضر ليعاونه فى تفسير رسائله !!**

(٥) الفائدة الشخصية :

من الأمور التى تساعدنا على التمتع بالكتاب المقدس ، دراسته بقصد الفائدة الشخصية . فاذا كنت واحدا من الخدام ، لاتدرسه بقصد الحصول على موضوع نافع لمخدوميك ، بل ليكن هدفك الأول أن تستفيد أنت وان تشبع ... وحينئذ تستطيع أن تفيد الآخرين وتشبعهم . ولا تفيدك دراسة الكتاب دراسة متقطعة . فتناول قدر كبير من الطعام ، وعلى دفعات متقطعة لا يتيح فرصة لجوعان أن يشبع !! **اذا جلست أمام الكتاب ، لا تنهض من أمامه الا بعد أن تكون قد شبعت من هذا الخبز الحى .**

حاول وأنت تقرأ الكتاب أنتحصل علىرسالة من الله اليك ...ويحسن أثناء قراءتك أن تتوقف بين الحين والحين لتسأل نفسك هذا السؤال « ماذا يريد الله منى من هذه الكلمات ؟ » ... ليكن لسان حالك كصموئيل حين كان فى الهيكل ، وفى رهبة قداسة المكان وسكون الليل فتح فاه وقال « تكلم يارب لأن عبدك سامع » (١ صم ٣ : ١٠) ... لنصغ باهتمام الى كلمة يقولها فم الرب ، والى كل ما يريد أن يوصله الينا من معان ...

يجب أن تشعر أن الكتاب المقدس انما هو رسالة خاصة من أبيك السماوى اليك ... لا تأخذها على أنها رسالة عامة لكل البشر ، وأنتواحد

منهم ... انهـا كذلك بالفعل ، ولكن شتان بين المؤمن الذى يشعر بأن المسيح **تألم ومات لأجله هو** ، ومن يشعر انه واحد من ملايين البشر الذين تمتعوا بامتيازات الخلاص !! لقد وضحت هذه الناحية فى حياة بولس الرسول ، فنسمعه يقول **« ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى »** (غل ٢ : ٢٠) ... « فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس **حسب انجيلى** بيسوع المسيح » (رو ٢ : ١٦) ... وهكذا أيضا ، شتان بين الشخص المغترب حين يقرأ أخبار وطنه فى جريدة ، وحين يقرأ رسالة خاصة وصلته من أبيه !! يجب أن ننظر الى كلمات الكتاب على أنها رسالة خاصة لكل واحد منا ...

حاول أن تستفيد من كل الفرص التى يتيحها لك الكتاب ، وأن تتشبث بكل مواعيده ... فاذا قرأت مثلا وعدا عن رحمته للخطاة ، أو صنيعا حسنا مع ضال ، ارفع قلبك واطلب أنت أيضا مراحم الرب والمعاملة بالمثل ... واذا قرأت عن انسان تنازل الرب يسوع وحل فى بيته ، افتح قلبك أنت أيضا واطلبه بالحاح لكى يحل فى هيكلك الضعيف . واذا قرأت عن أعمى عاد بصيرا بقوة الرب ، فأطلب اليه أن ينير بصيرتك وهكذا ... أن الرب **يريدك أن تطلب منه بثقة وبلجاجة ... انه يعاتبنا قائلا « الى الآن لم تطلبوا شيئا باسمى ، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا »** (يو ١٦ : ٢٤) .

ادرس كتابك بانتظام ، ولا تظن أن هناك فصولا دسمة من الكتاب وأخرى صعبة مجدبة « فكل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر ، لكى يكون انسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ : ١٦ ، ١٧) ... وادرس أيضا قدرا كافيا منه كل يوم . وحبذا لو حددت قدرا معينا لقراءتك ، تسميه الحد الأدنى ، تزيد عليه كلما سنحت الفرصة ...

ولعل الفائدة الشخصية تكمل ، اذا قرنا قراءة كلمة الله بدراستها ... ليكن لكل واحد منا كراسة خاصة ، فيها يدون الأفكار التى تتوارد على ذهنه أثناء القراءة ... وعليه أن يستوعب الاصحاحات ، ويقيم مقابلات بين بعض النقاط والبعض الآخر كما يقول الرسول « قارنين الروحيات بالروحيات » (١ كو ٢ : ١٣) . ويستحسن وضع خطوط بالقلم تحت الآيات المهمة بالكتاب وهكذا ... لا تجعل قراءتك فى الكتاب المقدس لمجرد القراءة العابرة للتبرك . لأنه مع كون مجرد القراءة نافعا ومفيدا ، الا أن الدراسة هى الألزم والغذاء المشبع ...

طرق لدراسة الكتاب

لا توجد طريقة واحدة لدراسة الكتاب المقدس ، فكثيرون يصلون الى طريقة يرتاحون اليها تتناسب مع هدفهم من الدراسة وامكانياتهم . ولكننا نقدم هنا بعض الطرق على سبيل المثال ، لعل البعض يجدون فيها مايناسبهم سواء باستمرار أو لفترة من الزمن .

(١) لعل أكثر الطرق شيوعا هى التى تتكون من اتباع المبادىء الروحية تلك التى تحدثنا عنها ، وقلنا اننا نرفع قلبنا بالصلاة الى الله فى بدء الدراسة وفى نهايتها ، وأن ندرس بروح الخشوع والانصات ، ونحفظ بعض الآيات ، ونقيم بعض المقابلات بين الموضوعات وبعضها ...

ويحسن فى هذه الطريقة حين نبدأ فى دراسة أصحاح ما ، أن نسترجع فى أذهاننا محتويات الثلاثة أصحاحات التى سبقته ، وكذلك ما حفظناه منها من آيات . ومتى انتهينا من دراسة الأصحاح الجديد ، نستعيد ما يحويه أيضا ونحفظ آية منه أو بعض آيات ، ثم نختم برفع قلبنا لله . **وتناسب هذه الطريقة الدراسة الفردية والعائلية والجماعات الصغيرة ...**

(٢) بعض الناس يدرسون الكتاب المقدس مع الاضطلاع على بعض كتب التفسير ، وكتابة ملاحظات عن بعض الأصحاحات . وبعض هؤلاء يحتفظ الى جانبه بمذكرة يكتب فيها بعض الآيات المختارة أو الأسئلة أو الملاحظات . وبعضهم يعيد تجليد كتابه المقدس الخاص بعد أن يضع ورقة بيضاء بين كل ورقتين مطبوعتين ، يكتب فيها الملاحظات أمام النص .

(٣) يحب البعض أن يضيف الى الطرق السابقة ، طريقة تداريب تطبيقية لما يقرأ . فيدرس فى الصباح جزءا من الكتاب ، ثم يختار نقطة معينة أو آية ، ليجعلها موضوعا للتطبيق فى حياته أثناء اليوم . ومتى عاد ظهرا يراجع نفسه كيف طبق هذا الجزء ، ثم يطلب معونة الله لتطبيقه فيما بقى من اليوم . وفى المساء يراجع أيضا سلوكه فى هذا التدريب .

والبعض يحبون أن يختاروا مما يقرأون فى يوم معين من أيام الأسبوع ــ كيوم الأحد مثلا ــ موضوعا لتطبيقه فى حياتهم طوال الأسبوع . ويفضلون عدم تغيير التدريب كل يوم حتى تتاح لهم فرصة أطول للاستفادة . والبعض يكتب النقاط التى يمكن أن تكون موضوع تدريب تطبيقى كما تقابله فى الدراسة ، ثم يأخذها تدريبا بعد آخر بغض النظر عن قرب أو بعد الوقت الذى درسها فيه .

(٤) والبعض يقرنون الدراسة بالصلاة والتأمل ويخصصون وقتا لذلك، وهذه هى الطريقة الواجبة أن تتبع . فيصلون أولا ثم يدرسون فى الكتاب دراسة تأملية فقرة فقرة . وكلما قابلوا نقطة ذات أثر خاص فى نفوسهم تأملوا فيها ، ورفعوا القلب بالصلاة طالبين من الله أن يعمق أثرها فيهم ، ويحفظون ما يشاءون ثم ينتقلون الى ما بعدها وهكذا ...

لقد أفادت هذه الطريقة كثيرين ، وهى لدى البعض الطريقة الدائمة، ولكنها تفيد أيضا اذا طبقها الانسان فى فترة معينة من حياته كالأجازة السنوية أو الأسبوعية أو يوم الأحد. وهناك شباب جعلوا دراسة الكتاب بهذه الطريقة تدريبا فى بعض الأجازات الصيفية ، وكانوا يقضون وقتا طويلا كل يوم فى ذلك ، فأثرت هذه الأجازات فى حياتهم آثارا عميقة لا تمحى ، وذاقوا فيها بركات ثبتت فى نفوسهم . وبعضهم كانوا يختلون ليدرسوا ، ثم يلتقون كل يوم ليقصوا ما درسوا بروح الوداعة ، فأقامت هذه الطريقة منهم جماعة مسيحية من وطيدى الصلة بالله وببعضهم البعض .

(٥) وهناك الطريقة الموضوعية لدراسة الكتاب . فبالاضافة الى الاستعدادات الروحية التى يقوم بها الانسان قبل قراءة الكتاب ، فانه يخصص كشكولا لدراسة موضوع معين فى الكتاب كالصلاة أو الطهارة أو الايمان أو المحبة أو الخدمة ... فيدرس هذا الموضوع — أثناء قراءته — بكل نقاطه ، ويفرد لكل نقطة حيز من الكشكول يكتب فيه كل الآيات التى وردت فى الكتاب وتناولت هذه النقطة ... فبعد أن ينتهى الانسان من الموضوع الذى ركز تفكيره فيه . وهذه الطريقة نافعة ومفيدة ومثمرة وفى متناول اليد ...

٦ — وهناك طريق أخرى جماعية ، كأن يحدد جزء معين من الكتاب ليدرسه الأفراد على انفراد ثم يجتمعون ليستمعوا بعدها الى أسئلة واحد منهم وليجيبوا عنها ... أو انهم يجتمعون ليتأملوا فى نقطتين مما درسوا على انفراد . ويقوم بقيادة التأمل واحد منهم يستعد فى الموضوع .

واحدى الوسائل الجماعية ، ان تجلس المجموعة ويقرأ واحد منهم فصلا من الكتاب ، ثم يدعو المجتمعين لابداء آرائهم أو القاء أسئلتهم ليرد غيرهم عليها ، على أن يعقب هو على الموضوع فى النهاية . وان كان البعض يخشون انه قد يؤدى مثل هذه الطريقة الى القاء بعض آراء خاطئة ، الا أن غيرهم يرى أن أسلم طريق لتقويم الآراء هو السماح لها بالانطلاق ثم التعقيب عليها وتعديلها ان لزم .

على أنه يلزم حين تطبق هذه الطرق الجمعية الا ينطلق الانسان بالكلام كلما عنت له فكرة ، لئلا يظن كل واحد أن لديه موهبة التعليم ، ويستسهل

التخريج فى الكتاب المقدس ، بل يسأل فى خشـوع ، ويناقش فى صراحة واختصار ، عالما أنه فى محضر الله القدوس ليطلب الارشاد لايعطى تعليما .
كما يلزم ايضا أن يكون الشخص الذى يقود الجماعة فى هذه الطرق الجمعية روحانيا ودارسا للكتاب دراسة طيبة ، وملما ايضا بالعلوم الدينية الأخرى .

الكنيسة القبطية والكتاب

تهتم الكنيسة القبطية اهتماما كبيرا بالكتاب المقـدس ، وهى اذ تظهر هذا الاهتمام فى كافة نواحى عباداتها . انما تقدم لأبنائها نموذجا حيا لما يجب ان تكون عليه حياتهم من اهتمام خاص بالكتاب ودراسته . فهى تعلم أبناءها **أن يصلوا صلوات الساعات (الأجبية) يوميا** ، بل هى نفسـها تصليها فى عبادتها الجمهورية .**وصلوات السواعى هذه عبارة عن مزامير منتقاه منسفر المزامير تتناسب مع الوقت الذى يصلى فيه المصلى** . ومعلوم أن سفر المزامير هو أحد أسفار الكتاب المقدس الملىء بالنبوات عن رب المجد . أضف الى هذا ان كل صلاة من هذه الصلوات بها فصل من أحد الأناجيل . . .

والتسابيح التى تسبق رفع بخور عشية وباكر والقـداس الالهى ، عبارة عن قطع منتقاة من الكتاب المقدس تلحن بألحان خاصة رائعة . . . .

أما القداس الالهى فجميعصلواتهمنأولها الىآخرها عبارة عناقتباسات من أجزاء مختلفة من الكتاب بعهديـه القـديم والجديد . أضف الـى ذلك **الرسائل التعليمية** التى تقرأها الكنيسة فىكل قداس علىمسمع من أبنائها . . انها تقدم فصلا من **رسائل القديس بولس** ، وفصلا من الرسائل الجامعـة **(الكاثوليكون)** ، وفصلا من سفر أعمال الرسل **(الابركسيس)** . . . وبعد ذلك تقرأ فصلا من أحد الأناجيل . . . لكنهـا قبل أن تقرأه تقدم له بتقـدمة رائعة من كلام رب المجد نفسه . فيصلى الكاهن أوشية الانجيل التى يقـول فيها « أيها السيد الرب يسوع المسيح الهنا الذى قال لتلاميذه القـديسين ورسـله الأطهـار . ان انبيـاء وأبرارا كثيرين اشـتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا ، ويسمعوا ما أنتم تسمعون . ولم يسمعوا فأما أنتم فطوبى لأعينكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع . . . » وهى نفس كلمات رب المجـد الواردة فى (مت ١٣ : ١٦ ، ١٧) . وبعد ذلك تلقى العظة مؤسسة على فصل الانجيل الذى تلى على مسامع الشعب .

وعلى مدار السنة تنتخب الكنيسة قراءات خاصة تتمشى مع الذكريات التى تريد أن تطبعها فى أذهان أبنائها . . . ومن أمثلة ذلك تسابيح شهر كيهك الذى يسبق عيد الميلاد مباشرة ، وكذلك **قراءات أسـبوع البصخة (الآلام)**

الذى يسبق عيد الفصح (القيامة) ... ان هذا الأسبوع الأخير مشحون بالقراءات المختلفة من أجزاء متنوعة من الكتاب المقدس كلها تتحدث عن السيد المسيح فى الأسبوع الأخير لحياته بالجسد على الأرض . **وفى يوم الجمعة (تذكار صلبه)** تركز كل قراءاتها على آلام رب المجد ، بتلاوة فصول من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .. **وتظل الكنيسة ساهرة طيلة تلك الليلة حتى صباح اليوم التالى (سبت الفرح) ، وهى تردد تسابيح مختلفة من العهد القديم ، وتقرأ سفر الرؤيا بأكمله يتخلل ذلك كله الحان رائعة مقتبسة ألفاظها من السفر نفسه ...**

واذا إنتقلنا الى **صلوات الكنيسة الطقسية الأخرى كالصلوات التى تتلى فى العماد أو الأكاليل أو الجنازات أو مسحة المرضى ... الخ ، نجد أن جميعها بدون استثناء عبارة عن اقتباسات من الكتاب المقدس ..**

والكنيسة القبطية أيضا تشجع الدراسة الفردية للكتاب المقدس ، وتعتبره واسطة فعاله من وسائط النعمة ، وغذاء روحيا يوميا لاغنى عنه .... هى ليست كالكاثوليكية التى حبست الكتاب المقدس عن أبنائها ، وكانت تقيده بالسلاسل فى الكنائس مدة العصور الوسطى حتى لايقترب اليه أحد ... ومازالت (الكنائس) الكاثوليكية حتى الآن لاتسمح لأحد أبنائها بقراءة الكتاب الا فى حدود ضيقة ، وبعد أن يأخذ اذنا من الكاهن ويحدد له الجزء الذى يقرأه ... ولن أنسى موقفا وقفه منى أحد الشباب الكاثوليكى (المتقدم روحيا)... فقد قصدت منذ عدة سنوات دارا كاثوليكية كانت تبيع الكتاب المقدس (طبعة الآباء اليسوعيين) ، وسمعنى ذلك الشاب أسأل عن الكتاب — وكنت آنذاك علمانيا ارتدى الملابس الأفرنجية — فقال لى بدهشة وماذا تريد من الكتاب ؟ أجبته لكى أقرأ فيه . فسألنى ألا تحضر الكنيسة وتستمع الى عظة الأب الكاهن . أجبته بالايجاب . فأردف ، اذن لاحاجة بك الى الكتاب ذاته ، فأنت تسمع الكاهن الذى من فمه تطلب الشريعة كما قال رب الجنود ... فتعجبت فى نفسى ، وقلت شتان بين كنيستنا الأرثوذكسية والكاثوليك !!.

اننا لا نستطيع فى هذه العجالة أن نبين بطريقة تفصيلية ، **كيف أن الكنيسة القبطية كنيسة كتابية تستند الى كتاب الله المقدس فى كل صلواتها وممارستها العبادية .** وقصدها من وراء ذلك تلقين أبنائها درسا فى الاهتمام بالكتاب ومحاولة الاستفادة به فى كل مناسبات الحياة ... اننا لانستطيع أن نفعل ذلك فى هذه العجالة ، فان ذلك يحتاج الى بحث كبير نرجو أن يتوفر عليه أحد أبناء الكنيسة الغيورين .

التّدريبات الرّوحيّة

« لذلك أنا أيضا أدرب نفسي ليكون لي دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) .

+ التدريبات الروحية : فوائدها وخبراتها .

+ مصادر التدريبـــات .

+ موضوع التدريب الروحي وخصائصه .

+ مـــدة التـــدريب .

+ استثناءات التـــدريب .

+ أسباب التدريب ومشجعاته .

+ كراســـة التدريبـــات .

١ — التدريبات الروحية : فوائدها وخبراتها :

تظل القراءات الروحية — من شتى مصادرها — مجرد أقوال للمعرفة العقليــة البحتة ، حتى تتحول بالتدريبات الى جزء من حياتك . لأن الشيء الذى تدرب عليه ذاتك ، ما تلبث أن تعتاده بمرور الزمن ، ويسهل عليــك فعله . والذى تعتاده يصبح بتوالى الممارسة بعضا من طبعك وصــفة من صفاتك . وهذه هى فائدة التدريبات الروحية .

والشخص الذى يمارس هذه التدريبات ، يرتقى فى ســلم الفضائــل درجة فدرجة ، وتزداد نقاوة قلبه يوما بعد يوم ، ويختبر الحياة الروحية ذاتها حتى اذا ماحدث الناس عنها تحدث عن معرفة عملية لا نظرية . وهو لايقتنى فقط معرفة لطرق الخير ، وانما يعرف أيضا الصعوبات التى تعترض تلــك الطرق ، والفرق بين كل صعوبة وأخرى ، وطرق التغلب على كل من تلــك الصعوبـــات .

ويعرف أيضا طبيعة نفسه وما فيها من عناصر قوة وعوامل ضعف . يعرف الفرق بين الرغبة فى الخير ومدى القدرة على فعله . ويعرف المؤثرات التى تخضع لها نفسه ، والحروب التى تستطيع أن تخوضها بنعمة الرب ، والمواقف التى لايصلح له فيها غير الهروب لعدم قدرة نفسه على الثبات أمام بعض العوارض المعينة ... **وبالتدريبات يعرف الانسان مقدار قامته الروحية، ومدى ما وهبه الله حتى الآن من مقدرات وامكانيات .** فلا يرتئى فوق ماينبغى له ، ويعرف حدوده التى لم يستطع أن يتخطاها بعـــد الى ما هو أعلى منها . فتقل ادعاءاته ويقل انتفاخه وغروره . واذ تنكشف للانســـان ذاتـــه ، فان هذا يمكنه من عرض ما كشف منها على أب اعترافه ، **فتصبح اعترافاتــه أوفى وأكمل** تســـاعد الكاهن على وصف العلاج النافع المبنى على أساس من المعرفة السليمـــة .

ورجل التدريبات أيضا : ليس فقط يعرف طــرق الله ومـــا فيهـــا من علامات وحروب ، وليس فقط يعرف نفسه وما فيهـــا من قـــوة وضعف ، وانمـــا هو أيضا يرثى لغيره من المجاهدين . لأنه بالخبرة يدرى بعضا من حيل العدو ومكره ، وبعضا من قوة العدو وبطشه ، ويدرى أيضا مراحل الفتور التى تمر على النفس ، ومراحل التراخى وعدم القدرة على القتال ، ويعرف كذلك الأوقات التى تتخلى فيها النعمة الى حين وأسباب ذلك ! .. لذلك تجد أولاد الله الذين نجحوا فى التدريبات الروحية هم أكثر الناس حنوا وشفقـــة على غيرهم من المجاهدين ، وأكثر الناس احتمالا لأخطاء الغير ، وأقدرهم على اعانة المجربين ، وأقلهم ادانة للساقطين . اذ أنهم هم أيضا سقطوا وقاموا ، وخبروا سهولة السقوط وصعوبة القيام .

ورجل التدريبات يعرف أيضا أنواع الخطايا : **الخطايا التى تحارب النفس من الخارج ، وتلك التى تحاربها من الداخل** . والحالات التى تستجيب فيها النفس للمؤثرات الخارجية ، والحالات التى تقاوم فيها بشدة كل تأثير خارجى ، والحالات التى تصرخ فيها الخطية من الداخل بسبب تهاون وعدم احتراس او فجأة بدون سبب ما . يعرف الخطايا التى تحارب وهى ظاهرة مكشوفة ، والأخرى التى تسرق النفس فى تدرج طويل دون أن تحس ، وتلك التى تتخذ فى مكر زى الفضائل . أيضا أمراض النفس الظاهرة وامراضها الكامنة المجهولة التى تكشفها التدريبات أحيانا .

٢ ـ مصادر التدريبات الروحية :

التدريبات الروحية اما سلبية واما ايجابية . فالسلبية هى التدريب على مقاومة خطايا معينة أو معالجة نقائص أو عيوب شخصية . **وأما الايجابية** فهى التمرن على فضائل وصفات روحية . **وبهذا تكون أهم مصادر التدريبات هى :**

(أ) الخطايا السابقة : اجلس وحاسب نفسك حسابا دقيقا ، واعرف ماهى خطاياك . ستجد لك خطايا عارضة ، وخطايا أخرى متكررة ثابتة تكاد تكون عنصرا مشتركا فى كل اعترافاتك . **هذه الخطايا الأخيرة فلتكن موضوعا لتدريباتك الروحية حتى تتمرن على تركها . اعرف أسباب هذه الخطايا ومصادرها وأبوابها** ، وارصد الخطوات الاولى اليها ، وهكذا خذ هذه الأسباب الأساسية موضوعا لتدريباتك حتى تستأصل خطاياك من جذورها ، وتأخذ أطفال بنت بابل الشقية وتدفنهم عند الصخرة .. وماتفعله مع خطاياك افعل ما يماثله مع نقائصك أيضا .

(ب) الكتاب المقدس : فكلام الله هو نور لسبيلك : يريك الطريق ، **ويعلمك أين تسلك . تستطيع أن تجد فى وصاياه وآياته مادة لتدريب نفسك** على مايطلبه الله منك ، بما قدمه لك على لسان انبيائه ورسله القديسين.

(د) الممارسات الكنسية العامة : وهذا الأمر هام جدا ، وينبغى البدء به **ومراعاة تقاليد الكنيسة ونظمها فى العبادة العامة** التى يشترك فيها جميع المؤمنين ، ليس لاعتبارها اوامر كنسية وانما بالاضافة الى هذا ، لأن الكنيسة وخدمتها هى بارشاد الروح القدس لتقويم الحياة الروحية للمؤمنين. **ولايصح أن يدرب الانسان ذاته على أنواع خاصة من العبادة بينما يهمل العبادة الكنسية التى يشترك فيها جميع المؤمنين بروح واحدة كأعضاء فى جسد واحد . وكمثال لذلك لا يصح أن يفرض شخص على ذاته أصواما خاصة يدرب نفسه عليها بينما يهمل الأصوام الكنسية العامة ، وهكذا فى** الاجتماعات والصلوات .

ومن أمثلة التدريبات على هذه الممارسات : المواظبة على حضور الكنيسة، والتبكير اليها ، ودراسة **الحانها وطقوسها** ، والاشتراك فى ذلك أيضـا . **وممارسة الصلوات الكنسية العامة كصلوات الساعات والتسبحة السنوية ، وتسبيحات شهر كيهك ، والحضور الى الكنيسة فى مناسباتها المتعددة ،** والتشبع بالروح الكنسية ،**وممارسة الأصوام التى تنظمها الكنيسة ، والمواظبة على القداسات والتناول ،** والتدريب على الخشوع فى حضور هذه الصلوات ، والاستماع اليها بعقل منجمع وحواس مركزة ... الخ .

(د) الفضائل الاجتماعية العامة : كثير من الاشخاص يدربون أنفسهم على فضائل العبادة ويهملون الفضائل الاجتماعية العامة التى قد يغفلونها فيقعون بسببها فى أخطاء تشينهم كعابدين أو خدام لله . **ونقصد بهذه الفضائل أن يدرب الانسان ذاته على أن يكون عضـوا محبوبا خدوما فى أسرته وفى المجتمع الصغير المحيط به ، وأيضا يتدرب على حسن معاملة الناس عموما ،** وعلى الحياة كعضو مثمر ناجح فاضل فى المجتمع وفى محيط عمله .

(هـ) سير القديسين : فضائل القديسين الكثيرة تصلح مادة للتدريبات **الروحية . ولكن على الانسان أن يعرف مقدار قامته الروحية ، فـلا يضع لنفسه ــ وهو مبتدىء ــ تدريبا وصل اليه قديس بعد جهـاد طويل ــ فى ظروف مختلفة ــ دام سنوات مديدة ، ويريد هو أن يقفز على فضائل القديسين مستهينا بالأمر .** حسن أن تكون فضائل القديسين محفزة لنـا على الغيرة المقدسة ومحاولة محاكاتهم . **ولكن يجب أن يكون ذلك كله بافراز (بحكمة).** فنختار منها ما يناسبنا ، وما تساعد عليه ظروفنا الشخصية ودرجتنا الروحية، وعلى أن يتوافر فى ذلك عنصر التدرج الذى سنتكلم عليه فيما بعد .

(و) أسباب فشل تدريب سابق : عندما تدرب نفسك على شىء معين وتسجل مدى قيامك به ، ستمر عليك حالات تشعر فيها بفشل فى القيـام بالتدريب . **خذ أسباب هذا الفشل فى حد ذاتها موضوعا لتدريب جديـد .**

مثال ذلك : لنفرض أنك دربت نفسك على ترك الادانة . فوجدت أنك فشلت فى يوم ما وسقطت فى الادانة بسبب تدخلك مثلا فى مناقشة حـول سياسة الكنيسة العامة خذ هذا السبب موضوعا للتدريب . ومرن نفسك على عدم الدخول فى أمثال هذه المناقشات الى أن تعرف كيف تتناقش فيهـا دون أن تخطىء . أو على الأقل درب ذاتك على الحرص والحـذر حينمـا تعرض أمامك أمثال هذه الموضوعات .

٣ ـــ موضوع التدريب الروحى ، وخصائصه :

كثيرون فشلوا فى تدريباتهم الروحية لأسباب تتعلق بموضوع التدريب ذاته .**لذلك سنعرض بعض خصائص ينبغى توافرها فى التدريبات لتساعد** على نجـــاحهـــا .

(أ) وضوح التدريب وعدم غموضه : فمثلا لا تدرب نفسك على فضيلة تبدو غير مفهومة لك . جعل البعض موضوع تدريبهم عبارات مثل : الوداعة، المسكنة بالروح ، محبة الله ، الغربة ... ولم يكونوا ـــ فى نفس الوقت ـــ على المام تام بمعنى التدريب ، فأصيبوا بحيرة وفشلوا . ولذلك سنتطور من هذه النقطة الى مكملتها وهى :

(ب) تحديد التدريب : لاتتخذ « الفضائل الأمهات » أو « الفضـــائل الجامعة » موضوعا لتدريبك ، لأن هذا كثير عليك . **وانمـــا قســم هـــذه الفضائل الى عناصرها وفروعها المتعددة ، وخذ كلا من هـــذه الفروع على حدة موضوعا للتدريب** . فلا تتخذ المحبة مثلا موضوعا لتدريبك ، فالمحبـــة كلمة عامة واسعة تشمل الحياة المسيحية كلها ، وبها يتعلق الناموس كلـــه والأنبياء . وقد ذكر بولس الرسول بعض عناصرها فى رسالته الاولى الـــى كورنثوس (١٣ : ٤ ـــ ٧) فذكر حوالى ١٤ بندا . وأنت لا تستطيع أن تدرب نفســـك على كل هذا دفعة واحدة . وبالمثل **لا تستطيع أيضا أن تتخـــذ كمادة لتدريبك احدى الفضائل الآتية : الوادعة ، أو التواضع ، أو الخدمـــة أو الصلاة الكاملة ، أو الصمت ، أو الهدوء ... لأن كل هذه فضائل جامعة وانما خذ فرعا واحدا من احدى هذه الفضائل مجالا لتدريبك . فالشيء المحدد أسهل فى تنفيذه ، وأثبت فى الذاكرة .**

ومن الجائز أن يدخل تحت هذا البند أيضا عدم تعدد التدريبات فى المـــرة الواحـــدة . فبعض الأشخاص قد يجعل موضوع تدريبه خمس نقط أو ستـــا فى نفس الوقت . فتكون النتيجة أنه لا يستطيع أن يركز جهاده فيها جميعـــا معا ، وقد ينسى بعضها نسيانا كليا ولايتذكره الا حين محاسبته لنفسه على مدى نجاح التدريب أو فشله .

وقد يعترض ـــ البعض ممن لهم غيرة روحية وحرارة قلب ـــ على أن طريقة التحديد هذه طريقة بطيئة فى الوصول وطويلة المدى ، وهم يريدون الوصول الى نهاية الطريق بسرعة . ونصيحتنا لهؤلاء أن الحياة الروحيـــة تحتاج الى طول أناة وصبر . وليس المهم أن يصل الانسان بسرعة الى فضيلة معينة ـــ أو يظن أنه وصل ـــ ثم يعود فيفقدها بسرعة أيضا ، وانمـــا المهم هو الثبات فى الفضيلة والرسوخ فيها . فـــلا تقلقيا أخى ولاتتسرع . سر

بهدوء فى طريق الروح وثبت اقدامك جيدا . فالعمل القليل الراسخ خير من الكثير المزعزع . ولاتغتر عندما يتحنن الله عليك باحدى زيارات النعمة فتشتعل فيك الحرارة . لاتظن وتتذاك فى نفسك أنك قد قاربت الوصول وأن الكمال سهل المنال ، وانما ادرك أن هذه مجرد زيارة من النعمة ، وأن حالتك معها حالة فوق طبيعتك العادية ، وأنك سترجع الى درجتك العادية أو ما يقارب بعد حين . لأن هذه الزيارات ليست دائمة ، وحياة الانسان معرضة لتغيرات كثيرة ...

(جـ) **مناسبة التدريب** : فمثلا لا يكن لك تدريب صمت فى يوم فرح عام وبهجة ، أو فى يوم ستحضر فيه حفلة معينة أو ستذهب فيه الى زيارات كثيرة أو تقوم مع البعض برحلة مشتركة . مثل هذا التدريب معرض جدا للفشل. وحتى لو نجح نجاحا كاملا ، فقد يكون ذلك على حساب خسارات لاداعى لها . فان كنت متخوفا من أخطاء الكلام فى أمثال تلك المناسبات ، فلا تضع لنفسك تدريب صمت مطلق ، وانما تدريب يختص بتفادى بعض تللك الأخطاء.

وتفشل أيضا التدريبات التى لاتكون مناسبة للحالة الصحية ، أو لامكانية الوقت ، أو لظروف الاسرة ، أو لحالة المجتمع المحيط بك ، أو للحالة الدراسية ، أو للمستوى الروحى الخاص ... الخ .

(د) **عنصر التدرج** : ان القفزات العالية فى الحياة الروحية غير آمنة من السقوط المفاجىء ومن الرجعة الى الوراء . الذى تقفز به قفزة واسعة دفعة واحدة ، ربما ينجح قليلا فى مبدئة بسبب الحرارة أو الحماسة التى دفعته ، ولكنه لايمكن أن يستمر طويلا ، لأن النفس سوف لاتقوى على الاستمرار فيه لعدم تعودها ، وربما يأتى بنتائج عكسية .

لذلك ينبغى اتباع سياسة تدرج فى التدريبات . امش خطوة فخطوة . وكل خطوة تخطوها الى الامام ثبت قدميك فيها جيدا قبل أن تخطو غيرها . فاذا ما قامت عليك تجربة شديدة واضطررت الى الرجوع الى الوراء ، حنيذاك ترجع خطوة واحدة الى الدرجة السابقة التى ثبت قدميك فيها من قبل . وفى حالة هذه التجربة تجد خلفك محطات مألوفة لديك تستريح فيها قليلا **ثم** تسترجع درجتك الأعلى بسهولة . **أما الذى لا يتدرج ، فانه فى حالة** التجربة لا يرجع خطوة واحدة وانما يرجع الطريق كله دفعة واحدة ، **لأنه لم يعود نفسه على مراحل متوسطة فى الطريق .**

مثال ذلك :

شخصان دربا نفسيهما على الصمت . الأول قفز اليه دفعة واحدة ، وأما الثانى فدخل فى تدريبات متوسطة كثيرة منها : تجنب الادانة بفروعها المتعددة ، الاقلال من المزاح ولغو الكلام تجنب التحدث فى موضوعات

لاتخصه أو لاتفيده ، التعود على الردود المختصرة ، عدم مقاطعة الناس فى الحديث ، التعود على الصوت الهادىء المنخفض ، عدم الثرثرة ، عدم البدء بالكلام الا عند الضرورة ، الصمت عند مناقشة الموضوعات التى لايتقن الحديث فيها ، البعد عن المناقشات الغبية ... وأخيرا تدرب على الصمت. فاذا حدثت ضرورة للكلام واضطر كل من الاثنين ان يتكلما : فان الثانى المتدرج فى تدريباته سيتكلم فى حرص تعوده من قبل . بينما اذا تكلم الأول فقدرجع الى حالته الاولى التى قفز منها : قد يدين غيره أو يجرحه بالكلام وقد يعلو صوته ، ويقاطع ، ويمزح ، ويطول به الحديث حتى يمل سامعه، وقد يسرف اثناء الكلام فيتحدث فيما يجب وفيما لا يجب ... وهكذا لا يجد درجات متوسطة يستند عليها فى كلامه ، فيسقط ويكون سقوطه عظيما . ويرجع الى نفسه فيشعر بضرورة البدء التدريجى من جديد ، واثقا من أنه قد حبس لسانه بالصمت على أخطائه دون أن يعالج هذه الأخطاء فى تدرج طويل قبل أن يصمت .

٤ ـ مدة التدريب :

ان النقطة السابقة تقودنا الى موضوع هام هو « مدة التدريب » .

فى الواقع ان تاريخ القديسين يحدثنا عن حقيقة ثابتة وهى طول مدة التدريب. حتى أن أحد القديسين كان يضع لنفسه تدريبا واحدا كل سنة ، فكان يقول مثلا « أدرب نفسى هذه السنة على الصوم ، وهذه السنة على الصمت أو على الصلاة » ... الخ . وليس هذا بكثير . فالقديس اغاثون مثلا أخذ منه تدريب الصمت ثلاث سنوات حتى أتقنه .

وقد يسأل البعض « وكيف ادرب نفسى على فضائل كثيرة اذا كانت واحدة منها فقط تستغرق منى مثل هذه المدة الطويلة ؟! » . والاجابة على هذا السؤال واضحة ، وهى أن الفضائل متصلة بعضها بالبعض الآخر ، وتؤدى كل منها الى الأخرى ، أوتشترك معها فى شىء .

فالذى يتقن مثلا تدريب الصلاة الدائمة ويكثر منها ويلهج بها لسانه على الدوام على قدر امكانياته ، هذا لابد أن يصل بالضرورة الى الصمت لأن الكلام مع الناس سيعطله عن الكلام مع الله . أو سيقل كلامه كثيرا ، فلا يتكلم الا فيما يجب ، لأنه لايريد أن يشغل نفسه عن الصلاة بشىء الا مضطرا. والصمت سيضطره بالضرورة الى الخلوة خوفا من أن تقوده الخلطة الى الكلام الكثير ويعطله الكلام عن الصلاة . فاذا ما كثر اعتكافه فانه سوف لايحتاج الى غذاء كثير لأنه لايبذل طاقة كثيرة فى الحركة ، وهكذا يصل الى الصوم . وطبيعة الصلاة تقود بذاتها الى الصوم . وطبيعة الصوم تقود بذاتها الى الصمت . وطبيعة الصمت تساعد بذاتها على التأمل . والخلوة

أيضا تعطيه فرصة أكبر للتأمل وقراءة الكتاب المقدس ، ومحاسبة ذاته . وكل ذلك يقوده الى العمل على تنقية قلبه وأفكاره . ونفس الصلاة تساعد على هذه النقاوة . لأن العقل المشغول بالله لايترك مجالا واسعا للشيطان . والصوم أيضا يساعد على هذه النقاوة اذ يخضع به الجسد وتصمت شهواته **... وهكذا نجد أن مثل هذا الانسان قد درب نفسه ــ نظريا ــ على فضيلة واحدة . ولكنه ــ عمليا ــ تدرب على كثرة من الفضائل كانت كسلسلة مترابطة الحلقات .**

ان المدة القصيرة لا تساعد على استكمال فائدة التدريب ولا على اختباره جيدا . اذ ربما تمر بدون عوائق ولا عوامل مضادة تختبر بها ارادة الانسان ومدى ثباته فى التدريب . وربما لاتكون المدة كافية لمعرفة مدى ما قد يتعارض به التدريب مع فضائل أخرى ومع أحوال استثنائية تستلزم ايقافه ولا يكون فى ذلك الايقاف أى خطأ . وربما يكون للانسان رصيد معين من الاحتمال أو من الثبات أو من المقدرة الروحية أو الجسمانية للقيام بالتدريب مدى فترة محدودة يخور بعدها ولا يستطيع الاستمرار . وهذا لاتكشفه سوى المدة الطويلة .

ومن كل هذا يثبت أن المدة القصيرة لاتفيد كثيرا . ولذلك قال ماراسحق « كل تدبير بغير قيام مدة فيه ، تجده أيضا بغير ثمار » وبالعكس كلما طالت مدة التدريب ، ساعد الاختبار الطويل على جنى أكبر قدر من الفائدة . وفى ذلك قال مار اسحق أيضا « اعلم يا ابنى ... كل التدابير حسب المدة والمفاوضة بها تعطى اثمارها » .

فان كان القديسون الكبار قد أطالوا فترات تدريباتهم الى سنوات ،فكيف بالمؤمن العادى ؟! لذلك أعط نفسك فى التدريب فترة كافية ، ولا تتركه حتى تشعر أنك قد وصلت فيه الى نتائج مرضية . وحاول أن تقاوم الملل أو الضجر الذى ينتابك اذا طالت فترة التدريب . لأن الانسان الذى يقفز بسرعة من تدريب الى آخر ، لايعطى نفسه فرصة للاستفادة من هذا ولاذاك .

وكحل متوسط : يمكن أن يكون لك تدريب أساسى كبير يستمر لمدة طويلة ، ولا مانع من أن يوضع الى جواره تدريب آخر صغير أو عارض من النوع الذى تكفيه فترة أسبوعين أو حوالى ذلك .

٥ ــ استثناءات التدريب :

هناك تدريبات ليس لها استثناءات ، وهى الخاصة بمقاومة الخطايا . فالذى يدرب نفسه على مقاومة خطية تعكر نقاوته ، لايستطيع طبعا أن

يستثنى حالات خاصة يخطىء فيها .**ولكن نقصد بهذه الاستثناءات التدريبات الأخرى الايجابية الخاصة بدرجات من الفضيلة** ، كتدريبات الصوم والصلاة والصمت وفترة الخلوة وبعض تدريبات الوداعة والتواضع ... الخ .

ففى الواقع ان الانسان الذى يضع لنفسه تدريبا معينا ، لا يصح أن يجعل التدريب كأغلال تقيده بطريقة لا يستطيع الانفكاك منهـا . فالتدريب قد وضع من أجل الانسان وليس الانسان من أجل التدريب .

فالذى شعر مثلا بأخطائه الكثيرة فى الكلام ، ووضع لنفسه تدريبصمت جاعلا أمامه قول القديس أرسانيوس « كثيرا ما تكلمت فندمت ، وأما عن سكوتى ما ندمت قط » . مثل هذا الانسان لا يصح أن يقيم من ذاته عبدا للصمت ، وخاصة ان كان يعيش فى العالم ومستلزمات الحياة الاجتماعية تستلزم منه الكلام أحيانا . **بل ان هناك حالاتيخطىء فيها الىالله والى الناس ان لم يتكلم .** هذه الحالات وأمثالهايجبأن يتكلم فيها معتبرا اياها استثناءات للتدريب . وكذلك حالات أخرى تكون فيها فائدة الكلام أكثر بالتأكيد من فائدة الصمت . **وليتذكر مثل هذا المتدرب قول القديس برصنوفيوس « الكلام من أجل الله جيد ، والصمت من أجل الله جيد » ، وقول سليمان الحكيم (الجامعة) « لكل شىء زمان ، ولكل أمر تحت السموات وقت ... للسكوت وقت ، وللتكلم وقت »** (جا ٣ : ١ ، ٧) . ومن مجموع هذه الاستثناءات يعرف الانسان متى يتكلم ومتى يصمت ، وفى أى الأمور يجب الكلام وفى أيها يجب الصمت ، ومع من يتكلم ومع من يصمت ، ومتى تحسن اطالة الشرح فى الكلام ومتى يحسن الايجاز ، ومتى يحسن اللطفوالبشاشة فى الحديث ومتى تحسن فيه الشدة والحزم ... الانسان الذى يعرف هذا كله يكون قد جنى الفائدة التى من أجلها وضعت تدريبات الصمت . ومثل هذا الانسان يسمح له بأن يتكلم كما شاء لأنه قد عرف حدود الكلام وطقسه . أنه — **فى هذه النقطة — قد وصل .أما الذى يعثر غيره بصمته ، ويحزن ويغضب بصمته ، ويضيع حقوق آخرين بصمته ، ويسبب بصمته مشاكل لاتحصى ، ويصمت حيث يحسن الكلام وحيث يجب . مثل هذا هو فريسى يسير بالحرف لا بالروح ، قد أقام نفسه عبدا للتدريب دون أن يفهم الحكمة فيه .**

٦ — أسباب التدريب ومشجعاته :

يشجع الارادة على الثبات فى التدريب ومقاومة عوائقه ، أن تكون على معرفة بالحكمة التى من أجلها وضع التدريب ، وبفوائده وأسبابه ، وأن تكون مستندة الى دعائم قوية من آيات الكتاب المقدس أو اقوال الآباء أو قصص القديسين أو كل ذلك معـا .

لذلك قد يفشل التدريب ولا يستمر فيه ، الشخص الذى يسمع أو يقرأ عن تدريبات فيبدأ فى تنفيذها دون أن يعرف فوائدها العامة ، ودون أن يعرف فائدتها له شخصيا . فاذا ما صادف عقبة فى الطريق يبدأ أن يسأل نفسه « وماذا أستفيد من هذا التدريب ؟ » . واذ لايجد جوابا حاضرا ينكص على عقبيه ويكسر التدريب ، وقد يكون له الحق أو العذر فى ذلك .

أما أنت فقبل ان تبدأ تدريبا ، اجلس الى نفسك أولا وتفهمه ، واقتنع به ، **واستشر فيه** ، ربما يكون مفيدا لغيرك وليس مفيدا لك انت لاختلاف ظروفك عن ظروف غيرك وحالتك عن حالته . فاذا ما ثبتت لك فائدة التدريب ، احفظ آية أو آيتين تشجعان عليه ، وردد هذا الكلام الالهى كثيرا فى قلبك وبالأخص كلما تصادفك عقبة فى التنفيذ ، وتذكر وقتذاك أيضا أقوال وقصص الآباء الخاصة بهذا الموضوع . فكل هذا يسندك فلا تسقط . وذكر نفسك بالتدريب باستمرار حتى لاتنساه وحتى يتجدد نشاطك بالتذكار .

وصل صلوات طويلة من أجل نجاح التدريب . ولا تظن أنك بقوتك وصلابة ارادتك ، أو بشوقك الى التدريب ومحبتك فيه ، ستنجح فيه وتمر بدون عثرة ! فأنت لا تعرف هجمات العدو ومعطلاته ، كما قد تكون خافية عليك ضعفات نفسك . أطلب المعونة من الله وأعرف أنك بدونه لا تستطيع شيئا . وهكذا اذا نجح التدريب شكرت الله على اعانته لك دون أن يصور لك السبح الباطل أنك بقوتك الشخصية قد نجحت .

٧ — كراسة التدريبات :

انها عنصر لازم من اجل التذكير بالتدريب ، والتشجيع عليه ، وكشف **النفس ، ومحاسبتها** . ولتكن هذه الكراسة سجلا وافيا لاتستخدم فيها طريقة العلامات (صح أو خطأ) ، وانما المعلومات الوافية بايجاز .

أكتب اسم التدريب ، ومشجعاته — باختصار — من آيات وأقوال وعناوين قصص ، واكتب مدته وتاريخه ، ثم تواريخ الأيام فى هامش جانبى ، واترك لكل يوم سطرين أو ثلاثة أو أكثر حسب الاحتياج . وفى هذه الأسطر تكتب محاسبتك لنفسك فى آخر كل يوم .

اذا نجح التدريب نجاحا كاملا : يمكن أن تكتفى بعبارة « نشكر الله » ، أو قد تضيف عليها بعض أسباب ساعدت على سهولة تنفيذ التدريب . أو قد تكتب عبارة « لم يحدث شىء يختبر به نجاح التدريب » . **وفى حالة كسر التدريب** سجل عدد المرات التى كسر فيها ، ولماذا ، ومع من ... وأعرف

هل كان الكسر كليا أو جزئيا ، وهل أسبابه اضطرارية أم ارادية ... وذلك لتتجنب عوامل الفشل فى المرات المقبلة ، ولتأخذها هى ذاتها مادة لتدريبات مقبلة مساعدة . كما تسجل أيضا استثناءات التدريب واضطراراته الملزمة ، ولاتعتبرها فشلا . وبعض الأشخاص يضعون لأنفسهم درجات يومية لتقدير نجاح التدريب أو فشله .

ويحسن أن تجمع هذه المعلومات فى آخر كل أسبوع ، وتلخصها وتستنتج منها حقائق ومعلومات تفيدك فيما بعد ، تختبر بها التدريب ونفسك .

وبعض الأشخاص يكتبون فى كراسات تدريباتهم معلومات اخرى افتتح أحدهم كراسة تدريباته بالصلاة الآتية :

« بدونك يارب لا أستطيع شيئا . ونفسى جامحة لست أقوى على قيادتها وما هذه التداريب سوى نوع من الصلاة أعلن فيها بعض رغباتى فى الحياة معك . وليست هى اعتمادا على ذراع بشرى ... فاعطنى يارب من عندك مايوافقنى ، وسهل لى طريقك بنعمة من عندك » .

أمثلة لبعض التدريبات

١ — تداريب الوداعة

١ — **عدم اغضاب أحد** (ويشمل أيضا عدم مضايقته ، عدم اظهار احتقار أو اشمئزاز ، عدم تجريح ...) .

٢ — **عدم الغضب على أحد** (على وجه أدق « عدم النرفزة »).

٣ — **الهدوء فى كل شىء** (فى الكلام « عدم الحدة » — فى السير — فى العمل — فى النفس من الداخل « عدم الاضطراب » ... الخ) .

٤ — **الصوت المنخفض .**

٥ — **عدم التكلم بسلطان** (بتعال ، أو بشخط أو بانتهار) .

٦ — **الأدب فى معاملة الكبار والصغار** (فى أسلوب التخاطب ، فى القيام والجلوس ، فى مراعاة المجاملة ، عدم الاحتقار أو التجريح ...) .

٧ — **عدم التدخل فى شئون الغير** (وبالأكثر عدم فرض شخصيتك على أحد : بالالزام ، أو النقد ، أو التوبيخ ، أو التطفل).

٨ — **عدم اللاججة فى الحديث** (أقصد « المقاوحة » ، وتوالى الاعتراض مما يضايق الطرف الآخر) .

٩ ــ **عدم المقاطعة فى الحديث** (وتشمل أيضا «حسن الاستماع» حتى فى الأمور التى سبق سماعها مرارا) .

١٠ ــ **عدم التذمر ، وعدم الشكوى** (وان حدثت شكوى تكون من حالة وليس من أشخاص) .

١١ ــ **احتمال أخطاء الآخرين ــ بطول أناة .**

١٢ ــ **البشاشة مع الجميع .**

١٣ ــ **الطيبة .**

١٤ ــ **الطاعة والخضوع** (أقصد « المهاودة» ــ طبعا فى الأمور العادية التى لاتتعلق بتوجيه الحياة ولا باختصاص أب الاعتراف) .

٢ ــ تداريب ترك الادانة

١ ــ **ترك تحليل الشخصيات ، والتحدث عن صفات الناس وأعمالهم** (= مسك السيرة) .

٢ ــ **ترك الشتيمة .**

٣ ــ **ترك الشكوى من الناس** (واذا الزمت الضرورة لذلك جدا ، تحدد الشكوى فى النقطة المقصودة ولا تتعرض للشخصية كلها) .

٤ ــ **ترك اظهار الاشمئزاز** (بحركة ، أو اشارة ، أو صمت ــ فهى ادانة وان كانت عن غير طريق اللسان .

٥ ــ **ترك الادانة الجامعة** (التى تشمل مجموعة كبيرة أو صغيرة ، وليس فردا أو واحدا) .

٦ ــ **ترك الادانة غير المباشرة** (التى تجعل سامعك أو قارئك يدين الذى تقصده بما يفهم من كلامك وليس بذات الكلام) .

٧ ــ **ترك التحدث فى سياسات معينة وجد بالخبرة أنها تؤدى الى ادانة** (ممكن تقسيم هذا التدريب الى أنواع) .

٨ ــ **عدم التحدث عن أشخاص معينين لم يصف القلب أو الفكر من جهتهم .**

٩ ــ **عدم الدفاع عن النفس** بطريقة تلقى المسئولية على شخص معين أو أشخاص معينين .

١٠ ــ **مقاومة الادانة** بالفكر (طرد أفكار الادانة) .

٣ ــ تداريب الصمت

موجودة فى مقالة التدريبات ضمنا كأمثلة ، وبعضها داخل أيضــا فى تداريب الوادعة وعدم الادانة .

٤ ــ تداريب الصـــلاة

١ ــ **خشوع الجسد** (رفع الايدى ــ الوقفة المستقيمة وعــدم ثنى الركبتين ــ السجود فى مناسبته ــ حفظ الحواس «النظر ، السمع ،اللمس») وممكن تقسيم هذا التدريب الى فروعه وعدم أخذه مرة واحدة .

٢ ــ **خشوع القلب** (بالشعور فى حضرة الله العظيم) .

٣ ــ **تداريب الصلاة بالاجبية** (وهى تداريب كثيرة تتدرج فى الكميةحتى تصل الى كمالها أو الى أقصى كمال نسبى) .

٤ ــ **حفظ المزامير والقطع** (للاستغناء عن الأجبيةحتى لاينكشف المصلى أمام الناس) .

٥ ــ **الصلوات الخاصة (غير المحفوظة) بالاضافة الى صلوات المزامير**

٦ ــ **صلاة « ياربى يسوع المسيح ارحمنى» أو مايماثلها ــ للصـــلاة** بها فى كل وضع وكل مكان .

٧ ــ **تدريب الصلاة الدائمة** (أثناء المشى ــ أثناء الوجود مع الناس ــ أثناء العمل ــ أثناء السفر « فى المواصلات » . . .).

٨ ــ **بدء كل عمـــل بالصـــلاة** (مثال ذلك قبـــل الأكل ، قبل القراءة ، قبل الدراسة ، قبل الخدمة ، قبل أى عمل يدوى أو فكرى .. الخ) .

٩ ــ **خلط كل عمل بالصلاة** (مثال ذلك أثناء الأكل ، أثناء القراءة ، قبل الدراسة ، أثناء أى عمل يدوى ، أثناء الاجتماعات ..) حسب الامكان.

١٠ ــ **اطالة الصلاة** (وبالأخص أثناء مساعدة الوقت . مثل : قبـــل النوم « للحفظ من الاحلام » ، قبل الأكل « للحفظ من شهوة الطعام » ، فى أوقات الصـــلاة والخدمة والخلوة ... الخ) . وهذا التدريب ممكن أن يدخل فى تدرجات كثيرة ويتحول الى تداريب.ويشمل أيضا اضافة صلوات محفوظة ومقاومة الرغبة فى ختم الصـــلاة .

١١ ــ **عدم اقتصار الصلاة على الطلبات** (والا كان الطلب أو الاحتياج هو الداعى الى الصلاة وليس محبة الله) . ويشمل هذا التدريب ادخـــال عناصر الشكر ، وتمجيد الله والاعتراف أمامه بالخطايا والنقائص .

١٢ ــ **الصلاة من اجل الأعداء والمسيئين** .

٥ ـ تداريب الصـــوم

(وهى تحتاج الى حكمة خاصة وارشادات حتى لاتعطل الصائم عـن القيام بأعماله ومسئولياته ...) وتشمـــل :

١ ـ الأصوام الكنسية المفروضة :

(وبالأخص الأربعاء والجمعة ، والأربعين المقدسـة ، وأسبـوع البصخة ... الخ) .

٢ ـ أصوام خاصة لمناسبات معينة :

من أجل النفس أو من أجل الآخرين .

٣ ـ فترة الانقطاع :

وتختلف من شخص الى آخر ، وتتدرج فى الشخص من أولها . وأولها عدم البدء بالأكل أو الشرب بمجرد الاستيقاظ .

٤ ـ نوع الطعـــام :

ليس فقط مجرد طعام صيامى ، وانما يشترط الخـلو من الشـهوة . فهناك أطعمة فى الصوم تؤكل بشهوة .

٥ ـ كميـة الطعـــام :

ليس الصوم أن تأكل طعاما صياميا ، وانما أيضا أن تأكل بمقـدار .

٦ ـ كمية الشراب :

تحدد أيضا مثل كمية الطعام (ويراعى الفرق بين الشتاء والصيف ، وفترات الراحة) ـ بحكمة .

٧ ـ تدريب عدم الأكل بين الوجبات :

وهو مفيـد أيضـا صـحيا ـ وتراعى فيـه تنظيم الزيـارات ، والاجتماعات ..) .

٨ ـ تدريب ترك الأطعمـة الكمالية :

(التى يمكن الاستغناء عنها . مثل بعض المشروبات والحلويـات التى تؤخذ زيادة عن حاجة الجسم وفى غير مناسبة) .

٩ ـ تدريب عدم اظهار الصوم :

(ولو بكسر تدريب معين أحيانا وتعويضه بطريقة أخرى أو وقت آخر) .

١٠ ـ تدريب التصديق بما يتوفر عن الصوم :

(أى يمتنع الانسان عن صنف معين أحيانا أو وجبة معينة ويعطى الثمن للفقراء ، غير احسانه العادى) .

ملاحظة : هناك أصوام لها حزم خاص وطقس خاص ، فمثلا أسبوع البصخة تشترط الكنيسة فيه الصوم الى الغروب أو المساء ، والافطار بخبز وملح . فان لم تستطع هذا فعلى الأقل لا تأكل شيئا حلوا أو طعاما شهيـا بالنسبة اليك ، مع الانقطاع حسب طاقتك .

الخلوة

« جيد للرجل أن يحمل النير فى صباه . يجلس وحده ويسكت ... » (مرا ٣ : ٢٧ و ٢٨)

+ مقدمة .

+ بركات الخلوة .

+ ما هى الخلوة .

+ حاجة الخدام الى الخلوة .

+ كيف تقضى الخلوة ؟ .

+ اين تقضى الخلوة ؟ .

مقدمة

ما هو سر اخطائنا وبعدنا عن الله ، وماهو سر تخبطنا ومـــا هـــو سر انحرافاتنا الروحية والفكرية ، وماهو سر تكاثر المشاكل علينا وعدم قدرتنا على حلها ، وما هو السر فى كل ذلك ؟

ان السر يكمن فى علة واحدة : هى عدم معرفتنا لذواتنا جيدا ، وعلى حقيقتها . ولكن أين أعرف ذاتى على حقيقتها ؟ وأين أراها عارية من الثياب الزائفة التى تستتر بعيوبها تحتها ؟ وأين أعرف الحق الذى قال عنه الـــرب « وتعرفون الحق ، والحق يحرركم » ؟ بل أين أرى الله ؟ .

هل أعرف ذاتى وسط دوامة الحياة العنيفة الجارفة ؟ هل أرى الله بين الناس ووسط صخب الحياة وضجيجها ؟ لا ، لن أستطيع أن أعـــرف نفسى الا حينما أخلو اليها فى نور الله . هناك أحاسبها وأناقشها . **لن أستطيع رؤية الله فى مجده الا على جبل التجلى ، بعد أن أترك العالم خلفى ـــ ولو الـــى حين ـــ وأصعد الى جبـــل التأمـــل .....**

لعل الانسان تاريخه الطويل منذ خلقته لم يعان من دوامة الحـــياة مثلما يعانى الآن . فهناك تيارات عنيفة تعمل جاهدة لكى تجرفه ، وهناك عوامل جذب شديدة تجذبه الى أسفل ـــ الى الماديات وكل ما هو جسدى ... وبئس هذا العصر الذى يسمونه عصر السرعة . فعجلة الحياة تندفع بسرعة هائلة والجميع يتشبثون بها . وويل لمن يرتبط بها ، وويل لمن يتخلف عنهـــا ... !!

مبادىء خاطئة كثيرة ، ونظرات غير سليمة من الوجهة الروحية تسربت داخل مجتمعنا ، وبعضها تغلغل فى حياتنا الخاصة ، ولكننا لم نفطن لهـــا لأننا نسير مندفعين مع عجلة الحياة الضخمة . ولا تحسب يا أخى أن التيارات العنيفة الضارة ، وعوامل الجذب قاصرة على العالم وحده ، لكنها متوفرة وبصورة مخيفة فى جو الخدمة أيضا ... فكم من شخصيات مباركة ـــ عرفناها فى فترة من الفترات قوية نشيطة ـــ اهلكتها دوامة الخدمة بعد ان انستها ذاتها ... !!

مسكين الخادم الذى يخدعه (شيطان الخدمة) فيظل يجرى ويندفع كطاحونة الهواء ويظن فى نفسه انه مرضى عند الرب . لاتقـــل يا اخى أنك خدمت وعلمت وأخرجت شياطين باسم المسيح ، لئلا تسمع الصوت المرعب مع أولئك الذين هم على شاكلتك ـــ يدوى قائـــلا « اذهبـــــوا عنى انى لا أعرفكم ... » .

كثيرا من الخدام عرايا من النعمة ، يتخذون من الخدمة ونشاطها الخداع ثيابا يسترون بها عورات نفوسهم وقبحها . مساكين هؤلاء الخـــدام ، انهم

يلبسون ثياب المسيح الجميلة . لكن المهم والمطلوب ان نلبس المسيح ذاته — لاثيابه « **بل البسو الرب يسوع المسيح** ولاتصنعوا تدبيرا للجسد لاجل الشهوات » (رو ١٣ : ١٤) .

بركات الخلوة

تلزمنا الخلوة اذا ، لنفتش ونفحص عن مقدار انحرافنا عن الحق ، ولنصلح ما افسده روح العصر ، وما افسدته المحاكاة والمجاورة ....

ان اردت أن تعرف ذاتك على حقيقتها ومقدار ثمرها ، باعتبارك غصنا فى الكرمة الحقيقية — ربنا يسوع المسيح — ادخل الى مخدعك واغلق بابك ، واجلس هادئا ، وافحص أعماق نفسك ، وحينئذ ستدرك فقرك وعوزك وعريك وخزيك .. ستدرك انك « الشقى والبائس والفقير والأعمى والعريان » (رؤ ٣ : ١٧) .

سوف ترى غصن حياتك بلا ثمر . وسوف ترى الفاس قد وضعت على أصل شجرتك ، وسترن فى اذنك الكلمات الالهية « كل شجرة لاتعطى ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار » .

سوف ترى خطاياك واضحة تتقدمك للقضاء .... وسوف تكتشف رياءك وخداعك فى الخدمة — ولو عن غير قصد وسوف ترعبك كلمات الرسول وتهزك هزا عنيفا « لاتكونوا معلمين كثيرين ياأخوتى ، عالمين اننا نأخذ دينونة أعظم » (يع ٣ : ١) .

سوف ترى كل شىء على حقيقته . سوف ترى نفسك عارية ، نفسك التى حرصت على أن تخفى عيوبها عن الآخرين . فلا بأس من ان يرى الانسان عريه ، لكنه يستحى ان ينظره الناس هكذا ...

سترى صورتك فى مرآة الله ، وستكتشف قبح منظرك ، وأنك لست تشبهه فى شىء ، انت المخلوق على صورته ومثاله ، وانت المدعو أن تكون مشابها صورة ابنه ليكون هو بكرا بين اخوة كثيرين (رو ٨ : ٢٩) .

ان اكتشاف الانسان لأخطائه نعمة كبرى لأنه الوسيلة الفعالة للبرء منها وهكذا عبر أحد الآباء القديسون بقوله « ان معرفة الانسان نفسه هى الواسطة الأكيدة لمعرفة الله » .

ولكن ما قيمة معرفتى لذاتى ، وماذا عن نفسى حينما أخلو اليها ؟ ماعرف فيها الخطية والضعف ... « فانى أعلم أنه ليس ساكن فى أى فى جسدى شىء صالح » (رو ١٧ : ١٨) . وما قيمة معرفتى لضعفى ؟ فى الوقت الذى أعرف ضعفى أعرف الله « قوتى فى الضعف تكمل » (٢ كو

١٢ : ٩) ... « لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ انا قوى » **(٢ كو : ١٠)**. الوقت الذى اشعر فيه بمرارة خطيتى استأهل للنعمة ...

قال بطرس للرب **« اخرج** من سفينتى يارب لأنى رجل خاطىء » . شعر بطرس بحالته الزرية ، فكان جواب الرب اليه «لاتخف.منذ الآن تكون تصطاد الناس» . فمتى استحق بطرس هذه الدرجة السامية،درجةالتلمذة والرسولية، ومتى نال شرف الخدمة ؟ كان ذلك فى اللحظة التى عرف فيها ذاته وقال « لأنى رجل خاطىء » . فقد كانت اجابة الرب على هذا الشعور وتلك الكلمة«لاتخف منذ الآن تكون تصطاد الناس » . **نعم منذ الآن ... اى منذ تلك اللحظة . فمعرفة ذواتنا هى الواسطة لمعرفة الله . وهذه المعرفة لن نصل اليها وسط الصخب والضجيج ، لكن فى الخلوة والهدوء ...**

فى الخلوة تتاح لك فرصة للتوسل والندم والبكاء . لكن انى تكون لنا هذه الفرصة وسط دوامة العالم وضجيجه وصخبه ... !!

ان تدريب الخلوة العملية ، مع روح التأمل ، هو من أنجح الوسائل لتهذيب النفس واعادة تكوين الشخصية على ضوء المثل العليا . لأن الخلوة مدرسة للفضيلة . وهى سلم نورانى يوصلنا بسرعة ، بأقصر الطرق الى الله . انها مهبط للوحى المقدس ... ان أصوات الأبواق ودقات الطبول تحول دون سماع أنغام القيثارة الشجية.وهكذا يتعذر علينا سماع صوت الله وسط ضجيج العالم ، وتشتت العقل ، وخداع الحواس ....

ان الماء العكر اذا وضعته فى وعاء وابتعدت عنه يعود صافيا . وهكذا النفس فى انفرادها وخلوتها تتنقى وتصل الى الطهارة .

ان المرأة نازفة الدم ، التى انفقت كل معيشتهاعلىالأطباء ، ولم تستفد شيئا بل كانت تصير الى حال أردأ ، **مضت خفية** ومست هدب السيد المسيح سرا فشفيت لوقتها (مت ٨ : ٤٣ — ٤٨) . **كذلك النفس المعذبة من آلام الخطية ، التى حاولت مرارا أن تجد الشفاء منها بوسيلة أو بأخرى دون جدوى هذه النفس تحتاج الى الاتصال بالمخلص خفية وسرا — فى خلوة مقدسة — حتى تنال البرء من أدوائها ...**

انه لايمكن أن تجتنى من الشوك تينا ، وكذلك لايمكن أن تجد عزاء حقيقيا لنفسك ما دمت متعلقا بالناس ، مهتما بهم غارقا لأذنيك فى ارتباطات الحياة ، لأن ربنا قال « متى صليت فأدخل الى مخدعك واغلق بابك » (مت ٦ : ٦) .

أتؤثر يا أخى راحة لنفسك المتعبة ، وهدوء لقلبك الذى يموج بمختلف الحركات ؟ اتريد دموعا تبكى بها على خطاياك وتغسل بها أدناس نفسك ؟ **أتريد نفسا ناسكة تهتف** قائلة « سهوت عن أكل خبزى . من صوت تنهدى لصق عظمى بلحمى » (مز ١٠٢ : ٤ و ٥) ؟ وبالجملة اتريد قلبا نقيا يشهد

له الله بأنه حسب قلبه (أع ١٣ : ٢٢) ؟ **أتريد كل ذلك ؟ عليك اذا باتباع مشورة داود النبى الذى قال « ها انذا كنت أبعد هاربا وأبيت فى البرية » (مز ٥٥ : ٧) . ونفذ ذلك فى حياتك بالسلوك فى تدريب الخلوة ...**

فيوحنا المعدان :

الذى تناهى فى القداسة واستحق شهادة الرب عنه أنه اعظم مواليد النساء ، هرب الى البرية منذ حداثته ، وكان فيها الى يوم ظهوره لاسرائيل ، وذلك حتى لا يتدنس بدنس العالم على الرغم من أنه تقدس وهو بعد فى بطن أمه بالروح القدس !! .

ويوحنا الرائى لم يستحق معاينة الرؤى التى دونها للكنيسة الا حينما كان منفردا فى جزيرة بطمس ... هناك كان « فى الروح » (رؤ ١ : ١٠) ..

وبولس العظيم :

عمود البيعة المقدسة « ومقدام شيعة الناصريين » ، بعد أن أعلن الرب له ذاته وهو فى طريقه الى دمشق ، **انطلق الى العربية** (الصحراء شرقى دمشق) . ويقول هو عن ذاته « للوقت لم أستشر لحما ودما . ولا صعدت الى أورشليم الى الرسل الذين قبلى، بل انطلقت الى العربية » (غل ١ : ١٦ و ١٧) . هناك فى تلك البرية عاش فى خلوة مقدسة مع الرب مدة — قيل انها بلغت ثلاث سنوات — حيث تسلم منه كل شىء لازما لحياته ولبنيان الكنيسة المقدسة .

وكان يقول للمؤمنين بعد ذلك«لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا» (١ كو ١١ : ٢٣) فأين تسلم بولس هذه الامور من الرب — وهو لم يكن فى عداد التلاميذ الذين تبعوا المخلص ، وربما لم يره فى الجسد — أين تسلم بولس هذه الجواهر الايمانية التىجال مبشرا بها ، أين تسلمها، الا فى الخلوة المقدسة مع الرب فى العربية ...

ان ايليا النبى وهو منفرد فى وحدته كان يقتات بالخبز السماوى ، لكن لما سكن بين الناس ، كان بالجهد يجد ما يقيته ، هكذا النفس فى وحدتها تصادفنعما كثيرة ، تفقدها بين الناس . **ان بنى اسرائيل ، لم يأكلوا المن — طعام الملائكة — الا فى البرية القاحلة ... !! وماذا فعل ابراهيم حتى صار امة عظيمة ؟** لقد اطاع أمر الله بأن يخرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه فافعل أنت أيضا يا أخى هكذا . اخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الخلوة المقدسة فيجعلك الرب امة كبيرة ، ويباركك ، ويعظم اسمك ونكون بركة (تك ١٢ : ١ و ٢) .

لقد سلك جميع القديسين طريق الخلوة وأحبوه وضربوا بسهم وافر فيه . ويعتبر معلمنا القديس أرسانيوس — معلم أولاد الملوك — من أبرز الذين أحبوا هذا الطريق . فقد قيل عنه انه بعد ماهرب من القسطنطينية

وسكن فى الأسقيط ، كان يداوم الصلاة والتضرع الى الله أن يرشده الى ما ينبغى أن يعمل وكيف يتدبر . وبعد مضى ثلاث سنوات جاءه صوت يقول له : « يا أرسانيوس الزم الهدوء ، وأبعد عن الناس ، واصمت وانت تخلص ، لأن هذه هى عروق عدم الخطية » . فما ان سمع الصوت دفعة ثانية حتى كان يهرب من الاخوة ويلزم نفسه الهدوء والصمت . وحدث مرة أن اشتهى البابا البطريك الأنبا ثاوفيس ٢٣ أن يرى الأنبا أرسانيوس ، فأرسل اليه يستأذنه ان كان يفتح له باب قلايته ويقابله فأجاب بقوله « ان جئت فتحت لك وان فتحت لك فلن استطع أن أغلقه فى وجه أحد . وان أنا فتحت لكل الناس فلن أستطع الاقامة هنا ! » . وقد بلغ من حبه للوحدة والخلوة والانفراد أنه — فى الكنيسة أثناء التداس الالهى — كان يقف ليصلى خلف عمود فى آخر الكنيسة حتى لا يشاهد احدا ولا يشاهده أحد . وما يزال هذا العمود باقيا حتى الآن بدير البراموس .

قال العظيم فى القديسين الأنبا أنطونيوس « اذا انفرد العقل عن الناس وصار فى هدوء الوحدة فان الله يقويه ويثبته ليمكنه أن يسأل ويبحث فيما هو الله . وحينئذ يؤهل لنظر عظمة الله وقوته ولاهوته وبهائه فى خلائقه » .

وهل من دليل يا اخى ، على فوائد الخلوة وبركاتها الجزيلة للنفس ، اقوى من أن الرب نفسه أحبها وكرمها ، وكان يختلى فى البرارى والجبال ؟!! « ولما صار النهار خرج وذهب الى **موضع خلاء** ، وكان الجموع يفتشون عليه . فجازوا وامسكوه لئلا يذهب عنهم » (لو ٤ : ٤٢) .

هكذا أنت أيضا اخرج الى البرية واطلب يسوع وامسكه حتى لا يذهب عنك ، ثم اجلس تحت قدميه فى خلوة مقدسة كما فعلت مريم أخت مرثا التى استحقت كلمات الرب عنها « انها اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها » (لو ١٠ : ٤٢) .

ما أكثر البركات التى لنا من الرب حينما نختلى معه واليه . فى بدء الخلوة تسمع النفس هاتفا رقيقا عذبا يقول لها « المعلم قد حضر وهو يدعوك » (يو ١١ : ٢٨) . وفى ختام الخلوة تهتف هى — فى تشبث رقيق — قائلة « جيد يارب أن نكون ههنا » . انها مشاعر الحب كلها مذابة فى هذه الكلمات ... فتنظر النفس واذا بها لا ترى الا « يسوع وحده » (مت ١٧ : ١ — ٨) .

ماهى الخلوة ؟

ليس الابتعاد عن الناس خلوة . فيوجد انسان يعيش عمق القفر ، ومع هذا فالعالم يحيا فى قلبه يموج بحركاته . هذا الانسان لا يمكن القول بأنه فى خلوة ! فالخلوة هى تفريغ القلب والعقل من الاهتمامات العالمية ...

اذا ، فالمعنى السليم للخلوة ، انها خلوة مع الله : العقل خال من كل اهتمام ، والقلب خال من كل شهوة ومن كل حركة ، ما خلا شهوة الحب

المقدس نحو الحبيب . والمكان خال من الناس ، يسمع فيه صوت السكون!! وهكذا حينما تهدأ النفس وتستوفى كل هذه الشروط تهتف من الداخل قائلة « آمين تعالى أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢ : ٢٠) فتسمع هاتف الجـواب يقول « المعلم قد حضر وهو يدعوك » (يو ١١ : ٢٨) .

هكذا فعل يسوع حينما كان يختلى مع الآب « لقد مضى كل واحد الى بيته ، أما يسوع فمضى الى جبل الزيتون » (يو ٧ : ٥٣ ، ٨ : ١) — حيث اعتاد أن يقضى الليل كله فى الصلاة ، كان ينفرد فى خلوة مع الآب . ولما أزمع تلاميذه أن ينصرفوا كل واحد الى خاصته ويتركوه وحده ، **قال لهم فى** ثقة ويقين « **ولكننى لست وحـــدى لأن الرب معى** » (يـو ١٦ : ٣٢) . **وهكذا وضع لنا السيد المسيح المبدأ الصحيح السليم للخلوة المقدسة . انها وحدة مع الآب** . ليتنا نتعلم نحن أيضا كيف نبتعد عن صخب العـالم وضوضائه ، وضجيجه ومشاكله ، وننفرد به فى خلوة نغنى على مسـمعه الطاهر النشـيد الجميل « **حبيبى لى وأنـا لـه** ، الراعى بين السوسن » (نش ٢ : ١٦) .

وربما اعترض البعض على فكرة الاختلاء مدللين على ذلك بقول الرسول « المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو ١٣ : ٥) ، فنجيب على ذلك « أما أنا فالالتصاق بالله خير لى وأن أجعل على الرب اتكالى ... لأخبر بتسابيحك فى أبواب ابنة صهيون » . **انها خلوة القلب** مع ساكنه ، وخلـوة النفس مع من تحبه ... والأمر لا يحتاج الى مكان فقط بل الى نظر للداخل أيضا وهدوء فى القلب . ان الناس يحيطون بجسدك دون قلبك ، ولهذا يقدر قلبك أن يكون وحده مع الاله الواحد . وقد باشر داود النبى والملك هذا التدريب الجميل ، على الرغم من مشاغله الكثيرة فى الملك . ويشهد هو نفسه بقوله فى مواضع متعددة من مزاميره « **تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين ...** » (مز ١٦ : ٨) .

حاجـة الخـدام الى الخـلوة :

مساكين خدام هذه الأيام، مساكين ... مساكين ... ان كلمة مساكين لاتكفى للتعبير عن حالتهم ... انهم يفقدون حياتهم وسلامهم وسط دوامة الخدمة . ان سر متاعبهم هو عدم هدوئهم الى أنفسهم وعدم تكريس أوقات للاختلاء بالله . ويقول أحد الآباء « كل من كرس حياته ذبيحة حية لله ، عليه أن يمتد فى ذات الوقت الى علوة التأمل (فى الخلوة) « **ان الخادم يحتـاج أكثر من غيره الى جهاد روحى ، والى معونة الهية . وان كنا قد عرفنا قيمة الخلوة فى حياتنا ، أدركنا قيمتها خاصة فى حياة الخادم .**

فالخادم الذى يقود غيره هو فى أمس الحاجة الى الامتلاء وتصحيح مبادئه فى ضوء الله ... **ويقول مار اسحق « اليوم الذى لا تجلس فيه ساعة مـع نفسك ، وتفـكر فى أى شىء أخطـأت وبأى أمر سقطت ، وتقـوم ذاتك ،**

لا تحسبه من عداد أيام حياتك ... حب السكون يا أخى ، لأن فيه حيـاة لنفسك . بالسكون ترى ذاتك . وخارجا عن السكون ماترى الا ماهو خارج عنك . ومادمت تنظر غيرك فلن ترى نفسك » .

كيف تقضى الخـلوة .... ؟

العمل الوحيد الذى تقوم به أثناء خلوتك هو أن لا تعمل شيئا . وان كان هناك ثمة عمل يمكن أن يقوم به الانسـان فى الخلوة ، فهو ان يتأمل فى نفســه بانسحاق وتألم على خطاياه التى حجبت الله عن نفسه . فهذه المشاعر المتواضعة ربمـا تصلح تمهيدا لانطلاق النفس ...**لاتقض الخلوة فى تحضير مواضيع للخدمة أو التفكير فى متاعب الخدمة** . ان (شيطان) الخدمة يريد أن يسرقك حتى تظل فى دوامة الخدمة ، والمطلوب أن تخرج منها الى ذاتك . **اقض وقت الخلوة فى هدوء مع نفسك ، هنيذ مع الله ، صلوات حب واشتياق اليه ... اعادة النظر فى مبادئك التى تسير عليها ...**

اترك وراءك كل الاهتمامات العالمية، واترك عقلك ونفسك علىسجيتها يستحسن أن يمضى وقت الخلوة فى صوم انقطاعى بالاتفاق مع الأب الروحى وتذليل وانسكاب أمام الله ...

قد تتضايق فى بدء تدريب الخلوة ، لكن الأمر يحتاج الى تغصب فىصبر واحتمال . واعلم يا أخى أن الخلوة ليست فترة نقضيها ثم نعود الى سابق حالنا وسابق طريقتنا فى الحياة ، لكنها فرصة للتوبة وتجديد العهود مع الله، والتدريب على بعض التداريب الروحية اللازمة .

أين تقضي الخـلوة ... ؟

بالنسبة لنا كأفراد يمكن أن نرتب لأنفسنا أوقاتا للخلوة فى مكان معين ، كل فى المكان الذى يناسبه . ويستحسن أن يكون هذا المكان ثابتا ، حتىيعتاده الانسان حينما يتردد عليه ، ويعتاد كل الأوضاع التى فيه ، فــلا يسترعى انتباهه شىء مما فيــه ...

أما بالنسبة للخدام كمجموعة ، فان الأمر يستلزم سرعة اقامـة بيت للخلوة فى المدن الكبرى . ففى مدينة كالقاهرة مثلا أصبح الجميع يئنون تحت وطأة صخب الحياة . بل ان أوصال الآدميين كادت تتقطع ، وأنفاسهم كادت تنحبس ، وأعصابهم أوشكت أن تستهلك يوما فيوما ، فضلا عن كونها غدت متحملة أكثر من قدرتها ... وفى بيت الخلوة يمكن أن تتاحللخدام فرصـة للهدوء حتى تستأهل نفوسهم للبركات الكثيرة التى تحدثنا عنها ... اما هذا البيت فيجب أن يكون ــ بطبيعة الحال ــ فى بقعة هادئة ، ولا يبعد كثيرا عن العمران وطرق المواصلات ... ويتعين له مرشدون روحيون ، وتوضع له القوانين الخاصـة .

الخــدمة

« ابن الانسـان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسـه فدية عن كثيرين » (متى ٢٠ : ٢٨)

+ ما هى الخدمة ؟
+ الخادم ... شروط اختياره واعداده .
+ السطحية فى الخدمة .
+ عوامل القوة فى حياة الخادم .
+ القيادة الروحيــة .
+ الاحجام عن الخدمة .
+ الجميع مدعوون للخدمة .
+ من اورشليم الى اقصى الأرض .

ماهى الخدمة ..؟

ليست الخدمة فنا كسائر الفنون الرفيعة يمكن اكتسابه بالممارسة وحدها . وليست هى دراسة موضوعية يستطيع الانسان اتقانها والتمهر فيها بالجهد الشخصى ... هى ليست علما كسائر العلوم الطبيعية او علوم ما وراء الطبيعة ... ليس مبداها فى المعاهد اللاهوتية ، لكنها تبدأ فى القلب، ومدرستها هى مدرسة الروح القدس الذى يلهب القلوب ويقدسها ، ويعلمها كل شىء وينكرها بكل اقوال الرب يسوع ، بل يأخذ مما له ويعطيها ...

حب مقدس :

الخدمة حب مقدس امتلأ به قلب انسان أحب الله وعاش معه وذاق حلاوته ، ومن ثم طفق ينادى بين الناس « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » ومن حيث كونها حبا مقدسا ، فليس لها مكان ثابت لا تتعدى دائرته ، وليس لها زمان معين أو أوقات محدودة . ورسالتها لا تقف عند حد طبقة معينة أو فئة خاصة أو أشخاص بالذات . **بل انها تعمل بقوة فى كل الأمكنة ، فى الوقت المناسب وغير المناسب ، فى كل خليقة الله الناطقة من كل الطبقات والفئات والأجناس .**

انها تهدف الى نقل عواطف هذا الحب الى كل شخص محروم منه ... فهى والحال هذه تحطيم للفردية وانطلاق الانسان من حب ذاته الى حب الاخرين ... هى تخرجه من محوره الخاص الى المحور العام .

سعادة روحية :

الخدمة مصدر هام من مصادر السعادة الانسانية . لقد حدد الرب يسوع معنى السعادة فى قوله « الغبطة (السعادة) فى العطاء أكثر من الأخذ» (أع ٢٠: ٣٥) . فليست السعادة الحقة بأن أستأثر بكل شىء لى، بل هى فى اشراك الآخرين معى فى هذا الشىء . ليست سعادة الانسان فى أن تتوفر له كل احتياجاته ، بل هى فى اشراك الآخرين فيما يتمتع هو به . ان البحيرات تنقسم الى نوعين : بحيرات مالحة وبحيرات عذبة . والنوع الأول ما يعرف باسم البحيرات المغلقة التى تصب فيها الماء دون ان يكون لها مخرج أى أنها تأخذ ولا تعطى . أما النوع الثانى فهى التى تأخذ وتعطى ، ولذا فان مياهها عذبة .

أن الخدمة تنشىء فى النفس سعادة كبيرة . وقد أوضح الرب يسوع ذلك فى تصويره للمشهد الرهيب يوم الدين حينما يجزى الأبرار والصديقين

« جعت فاطعمتمونى . عطشت فسقيتمونى . كنت غريبا فآويتمونى . عريانا فكسوتمونى . مريضا فزرتمونى . محبوسا فأتيتم الى » (مت ٢٥ : ٣١ ـ ٤٦) . **فما أسعد المؤمن حينما يطعم نفسا جائعة ـ لا للقوت الجسدى بل لطعام الروح ، ويقودها الى الينبوع الحى** الذى كل من يشرب منه لا يعطش الى الأبد ... **وما أسعد المؤمن حينما يفتقد عريانا ويقدم له ـ لا ثوبا يستر به جسده ، بل ثوب البر الذى تعرى منه بالخطيئة . وما أسعده ايضا حينما يفتقد مريضا بالروح، ويقدمه للرب يسوع ليشفيه ويقيمه معافى،** على نحو ما فعل الأربعة الذين حملوا صديقهم المفلوج ودلوه بالحبال من سقف البيت وقدموه حيث كان يسوع . **واخيرا ما أسعده حينما يفتقد انسانا محبوسا ، مقبوضا عليه فى عبودية مرة ـ هى عبودية ابليس ـ ليبشره بالمحرر الأعظم الذى يستطيع أن يحرره من سلطان الخطية وقسوة اعدائه** « كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية ... فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون احرارا » (يو ٨ : ٣٤ ، ٣٦) .

هذه هى رسالة الرب يسوع « روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب ، لانادى للمأسورين بالاطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية » (لو ٤ : ١٨) ... وماأجمل ما علق به الرب يسوع على الكلمات السابقة وهى لأشعياء النبى «**اليوم قد تم** هذا المكتوب فى مسامعكم ... » . **هذه هى الخدمة فى جوهرها وبركاتها ، وهذه هى السعادة الروحية فى اصالتها وعمقها .**

دائـــرة الخـــدمة :

ان كلمة الله لا تقيد (٢ تى ٢ : ٩) ، وهكذا الخدمة أيضا لا تقيد . استمع الى التلميذين القديسين بطرس ويوحنا عقب معجزة شفاء المقعد من بطن أمه ، وبعد أن أوصاهما رؤساء الكهنة « أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع » ، استمع اليهما ـ وهما مقبوض عليهما ، يجاوبان فى جرأة ووداعة وحب « نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا » (أع ٤) . والواقع أن هذا هو شعور كل من اختبر الرب وتذوق حبه « لا يمكن أنى لا اتكلم بما رأيت وسمعت ... » . وماذا يرى المؤمن ويسمع فى عشرته مع الرب ؟ انه يرى الكثير ويسمع الكثير ... انه يرى ما لا تراه العين الجسدية المادية ، ويسمع أمورا لا ينطق بها ، ويضم بين ضلوعه فرحا وسلاما يفوق كل عقل . **ألم يقل الرب بفمه الالهى الطاهر «الذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى ... واليه نأتى وعنده نصنع منزلا »** (يو ١٤ : ٢١ ، ٢٣) .

ومن ثم نجد أن كل من اشتعل قلبه بحب الله لا يهدأ ولا يستريح ولا يكف عن خدمة النفوس التى مات المسيح لأجلها ، مرددا مع داود الحلو

قوله « لا اعطى عينى نوما ولا اجفانى نعاسا ولا راحة لصدغى الى ان اجد موضعا للرب ومسكنا لاله يعقوب » (مز ١٣٢ : ٤) . انه يظل يبحث عن موضع للرب ومسكنا لاله يعقوب فى كل قلب وفى كل هيكل يسر الله ان يستريح فيه . . .

نعم ان كلمة الله لا تقيد ، وخدمة النفوس التى احبها الرب ومات عنها لا يمكن ان تقيد . وكل من امتلأ قلبه بمثل هذا الحب لا يعدم الوسيلة التى بها يخدم الرب فى اشخاص اخوته . . . انه يخدم بكلامه وتعليمه وكتاباته وحياته الخاصة وصلواته عن المخدومين والمحتاجين . . . انه يصبح كالقطب المغناطيسى الذى يحدث مجالا حوله اينما وجد واينما اتجه . . .

ان كل من لا يؤمن بخدمة الآخرين — فى اى صورة من الصور التى ذكرناها — ليس مسيحيا كما يليق بالمسيحى ان يكون ، لأنه انانى يفكر فى ذاته . وليس اردأ فى المسيحية من ان يكون المسيحى محبا لذاته وحدها ، فمحبة القريب هى تكميل الناموس (رو ١٣ : ١٠) .

وكما ان الخدمة لا تقيد ، فهى كذلك لا تبالى بالصعاب والأخطار والأهوال . . . حتى بالموت ذاته . بل ان الموت يضاعف قوتها ويساند عملها ويكثر اثمارها . وهذا ما نلمسه فى حياة من جاهدوا مبشرين « وقتلوا من اجل كلمة الله ومن اجل الشهادة التى كانت عندهم » (رؤ ٦ : ٩) ، تلك النفوس التى رآها يوحنا فى رؤياه تحت المذبح واعطوا ثيابا بيضا وقيل لهم ان يستريحوا زمانا يسيرا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم العتيدون ان يقتلوا مثلهم . . . انظر الى الرسل وقد خرجوا فرحين بعد ان اهينوا وجلدوا . . . بل استمع الى معلمنا القديس بولس وحاول ان تتفهم كلماته الى قسوس افسس « والآن ها انذا اذهب الى أورشليم مقيدا بالروح لا اعلم ماذا يصادفنى هناك . غير ان الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلا ان وثقا وشدائد تنتظرنى . **ولكننى لست احتسب لشىء ولا نفسى ثمينة عندى حتى اتمم بفرح سعيى والخدمة التى اخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة** الله . . . » (أع ٢٠ : ٢٢ — ٢٤) .

جاء السيد المسيح له المجد الى عالمنا مرسلا « كما ارسلنى الآب ارسلكم انا » (يو ٢٠ : ٢١) . وهو « لم يات ليخدم بل ليخدم » (مت ٢٠ : ٢٨) . وكانت آخر وصاياه على الأرض خاصة بالخدمة والارساليات « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) . ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن وهو يأمر الرجال والنساء والشبان والشابات — بطرق مختلفة — أن يعملوا وينادوا باسمه العظيم وحبه لكل البشر . فمن يرفض أن يطيع صوت الله وصوت الواجب ويرفض أن يمد يد المعونة للخدمات

المختلفة ، ويسهم فى امتداد ملكوت الله على الأرض انما ينكر على الله نفس العمل العظيم الذى لأجله تجسد . . .

سمو الخدمة :

سما العهد الجديد بالخدمة وارتفع بالخادم فجعل منها ومنه واسطة لتقريب القلوب الى الله ، وتجديد النفوس وجذبها الى ملكوت ابن محبته . . . الم يطوب الرب يسوع صانعي السلام وقال عنهم «انهم أبناء الله يدعون» . . . ولعل وجها هاما من أوجه صنع السلام — بل ويأتى فى المقدمة — أن يصنع صلح وسلام بين الانسان وخالقه . . . ان ابن الله الوحيد جاء ليتمم هذا العمل العظيم . وحينما نشترك معه فى هذا العمل — اى حينما نخدم النفوس لنقربها لله — نستحق أن نكون ابناء الله . **لقد أوضح معلمنا بولس ذلك حينما قال « الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة** . . . اذن نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح **تصالحوا مع الله »** (٢ كو ٥ : ١٨ — ٢٠) . **فما أعظمه عمل وما أسماها خدمة تلك التى بها نصالح البشر مع خالقهم ، ونكمل عمل الرب يسوع الذى بداه ،** ونفعل ونتمم ارادته الصالحة فى خلاص كل البشر ، اذ ليست مشيئة أمام أبينا السماوى أن يهلك أحد اخوتنا (مت ١٨:١٤) .

وفى موضع ثان يبين الرسول بولس عظمة الخدمة وسموها حينما يقول « **فاننا نحن عاملان مع الله** ، وأنتم فلاحة الله ، بناء الله » (١ كو ٣ : ٩). **ما أجمل هذه العبارة « مع الله » . . . ان فيها تأملات حلوة وتعزيات فياضة . . فهى تبين شرف الرسالة التى يضطلع بها خادم الكلمة ، فهو يعمل مع الله شخصيا .** فأى شرف هذا !! انها تضمن للخادم رعاية حياته ومصالحه طالما هو يعمل « مع الله » . والخادم ليس مسئولا عن الخدمة بل الله . أما هو (الخادم) فانما يعمل معه .

نعود ونقول ما أعظم كلمة خادم ، بل ما أعظم الخادم وما أسمى خدمته !! **انه لقب يستمد عظمته وسموه من السيد نفسه** « ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٨) .

ومن اجل ذلك — من أجل سمو الخدمة — نجد الله يخص خدامه الأمناء بكرامة عظيمة فى السماء وعلى الأرض فيقول السيد المسيح « حيث أكون انا هناك يكون خادمى . وان كان احد يخدمنى يكرمه الآب » (يو١٢:٢٦) . وقديما قال دانيال النبى « الفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، **والذين ردوا كثيرين الى البر** ، كالكواكب الى أبد الدهور » (دا ١٢ : ٣) . وبولس الرسول حينما كان مسجونا فى قيصرية واحضر أمام فيلكس الوالى ، وبينما

كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة ارتعد فيلكس الوالى حتى أنه صرفه قائلا له « أما الآن فاذهب ومتى حصلت على وقت استدعيك » (اع ٢٤ : ٢٥) . هكذا ارتعب القاضى أمام السجين !! وهكذا أيضا ارتعب الامبراطور فالنز الأريوسى أمام القديس باسليوس الكبير وكاد يسقط على الأرض لولا أن باسليوس سنده .

الخادم ...
شروط اختياره واعداده

مستواه الروحى :

حيثما وجد الخادم الأمين النشيط فهناك الثمر الكثير . ولذا فانه يحسن **قبل أن نخوض فى موضوع الخدمة أن نقف قليلا لنعرف أولا من هو الخادم ... ؟**

الخادم انسان عرف الله وامتلأ قلبه بحبه وتذوق حلاوة الحياة معه ، فطفق يحدث الآخرين عن الله . وعلى هذا فالخادم مفروض فيه أن يكون فى حالة روحية اسمى من مخدوميه . يجب أن يكون نقيا فى أفكاره وسلوكه وحياته عموما . **لأنه بحياته يظهر لمخدوميه طريق الحياة . وهكذا يتقدم المخدومين بالمثل أكثر من الكلام . ان كلماته تدخل الى قلوب سامعيه ان كانت حياته تؤكد كلماته ، وما يقوله بالكلام يوضحه بالمثال** . ولذا قال النبى قديما « على جبل عال اصعدى يا مبشرة صهيون » (اش ٤٠ : ٩) .. ومعنى هذا أن من يعلم الآخرين تعاليم السماء يجب أن يكون قد ترك المستويات المنخفضة التى للأفعال الأرضية ، ويجب أن يرى واقفا على ذروة ، وهو ما عبر عنه الوحى بجبل عال ... **يجب أن يكون الخادم فى حالة روحية وثقافة دينية أفضل من مخدوميه** . فمن المعروف أن الماء يجرى منحدرا من الأرض المرتفعة الى الأقل ارتفاعا ، لكنها لا تجرى من المنخفض الى المرتفع ... !!

ليست مهمة الخادم تعليم الناس وتلقينهم كلام الله بل توصيلهم اليه . وليس عمله ارشادهم الى طريق الرب بوصفه اياه لهم ، بل أن يجعلهم يضعوا أقدامهم **على هذا الطريق ويرافقهم فيه** . ولا يقنع بحديث عن المسيح يبهر بـه مخدوميه ، بل بتسليمهم للرب نفسه ... ويجب الا يقنع الخادم بأعمال حسنة وصالحة ــ اذا قورنت بأعمال الاشرار بل يجب أن يفوق ذوى الأعمال الصالحة من بين مخدوميه . وكما يتقدمهم بحكم كونه معلمهم ، عليه أن يتقدمهم فى الفضيلة ايضا . من الضرورى أن تكون اليد التى تنظف

نظيفة والا وسخت كل شىء تلمسه . **من أجل ذلك يقول النبى «تطهروا ياحاملى آنية الرب»** (اش ٥٢ : ١١) **. ومن هم حاملى آنية الرب الا الذين يحملون النفوس لكى يقربوها الى الله** . قال الرب لحنانيا عن بولس قبل تجديده « لأن هذا لى اناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك وبنى اسرائيل » (أع ٩ : ١٥) .

ويؤكد **معلمنا بولس** هذه المعانى فى كلامه الى الكورنثيين **« لسنا نجعل عثرة فى شىء لئلا تلام الخدمة . بل فى كل شىء نظهر انفسنا كخدام الله ... فى طهارة فى علم فى اناة فى لطف فى الروح القدس فى محبة بلا رياء فى كلام الحق فى قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار »** (٢كو ٦ : ٣ — ٧) . وكتب الى تلميذه تيموثاوس **« لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك. لأنك اذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا »** (١ تى ٤ : ١٦). وهنا نلاحظ كيف أن الرسول يربط بين حياة تيموثاوس وخدمته بين الناس . أن الكلام المجرد الصادر عن نفس غير نقية لايستطيع أن يغير حياة المخدومين ويصل الى اعماقهم . **قال مار اسحق « مثل المصور الذى يصور الماء على حائط ، ولا يقدر ذلك الماء المرسوم أن يبرد عطشه ، كذلك الانسان الذى يتكلم من غير عمل »** .

شخصيته :

الخادم قائد الجماعة التى يخدم بينها . لذا يجب أن تتوفر له شخصية من طراز معين تؤهله لهذه الخدمة القيادية . وبالاضافة الى حياة الشركة التى تكون للخادم مع الله يجب أن يكون بعيدا بقدر الامكان عن الأخطاء الروحية المعثرة ، متمتعا بصحة عقلية ونفسية وشخصية ، حتى يمكن أن يكون قدوة للآخرين ، ولا يكون عثرة للمخدومين ... فمثلا اخطاء اللسان الكثيرة هى نقائص واضحة يراها الآخرون ، وقد يتأذون منها ، ومن الصعب أن نوافق على وجود خادم لم يصل الى مستوى مقبول فى هذه الناحية . والغضب وعدم ضبط الأعصاب وما الى ذلك هى نقائص أيضا يجب تلافيها .

ويجب أيضا أن يكون للمدعو للخدمة مستوى عقلى الى جانب المستوى الروحى . ونقصد بالمستوى العقلى ، النشاط الفكرى وحضور البديهة والتمييز ، بحيث لا يرتبك امام بعض الأسئلة العارضة التى تقدم اليه فى محيط الخدمة سواء من الصغار أو الكبار ، بغض النظر عن مستواه الدراسى العلمى العام ... فهناك أميون ممتلئون من روح الله والحكمة ويخدمون خدمة مثمرة ...

ولنلاحظ أيضا أن يكون الخادم نعمة الكلام . قال سليمان الحكيم قديما

«من أحب طهارة القلب ، **فلنعمة شفتيه** يكون الملك صديقه» (أم ٢٢ : ١١) .
ولا يجب التقليل من شأن هذه الناحية . لقد قيل عن الرب يسوع « كانوا يتعجبون من **كلمات النعمة الخارجة من فمه** » (لو ٤ : ٢٢) وقال عنه أيضا خدام رؤساء الكهنة «لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان» (لو ٧ : ٤٦)
ولا يتبادر الى الذهن أن هذا الاعجاب كان منصبا على الموضوعات التى كان يتناولها فى التعليم ، بل على طريقة الكلام أيضا . ما أروع ما دونه متى الانجيلى فى خاتمة العظة على الجبل « فلما اكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه ، **لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة »** (مت ٧ : ٢٨ و ٢٩) . فهل أعطى لنا هذا السلطان ؟ بالتأكيد . فقد قيل « كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانا » (يو ١ : ١٢) . وليس هذا فحسب ، بل نستطيع ــ بالايمان ــ أن نعمل الأعمال التى عملها الرب يسوع وأعظم منها (يو ١٤ : ١٢) ... لقد اصطاد بطرس بشبكة وعظة ثلاثة آلاف نفس فى عظة واحدة ... وحدث فى ايقونية أن بولس وبرنابا دخلا معا الى مجمع لليهود وتكلما حتى « آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين » (أع ١٤ : ١) .

سلطانه :

قبيل ارسال الارسالية الأولى ، دعا السيد المسيح تلاميذه الاثنى عشر « **وأعطاهم قوة وسلطانا ... وارسلهم ليكرزوا بملكوت الله** » (لو ٩ : ١ ، ٢) ... **وهذا هو سر القوة . ان هذا السلطان الالهى هو سلاح الخادم الوحيد** بعد أن نهاهم الرب أن يحملوا شيئا للطريق لا عصا ولا مزودا ولا خبزا ولا فضة » (لو ٩ : ٣) . انه سلطان يستمده الخادم الأمين من الهه ومعلمه الذى كان يعلم « كمن له سلطان وليس كالكتبة » (مت ٧ : ٢٩) ... قد يكون التعليم واحدا ، لكنه يخرج بالروح حيا وبسلطان من فم الواحد ، وميتا من فم الآخر ...

حينما اعتفى ارميا النبى من الخدمة شاعرا بصغر سنه ، شجعه الرب ببعض الكلمات ، ثم مد يده ولمس فم ارميا وقال له « ها قد جعلت كلامى فى فمك . . انظر . وقد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس » (أر ١ : ٩ ، ١٠) .
وقال له أيضا « **ها أنذا جاعل كلامى فى فمك نارا** . وهذا الشعب حطبا فتأكلهم » (ار ٥ : ١٤) . **وهذا السلطان بحسب ما قيل لارميا « لتقلع (أصول الرذيلة) ، وتهدم (حصونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الحق) ... وتبنى (هيكلا للرب فى كل قلب ، وتغرس (غروس الفضيلة فى كل نفس) ».**
تأمل أيضا فى قول الرب « ها أنذا جاعل كلامى فى فمك نارا . وهذا للشعب حطبا فتأكلهم » ، أليس هذا هو عين ما حدث يوم الخمسين حين حل الروح القدس على الرسل فى شبه ألسنة نارية وجاءت بعدها عظة بطرس

الرسول التى جذبت الى الايمان ثلاث آلآف نفس ... ثم أليست هذه هى النار التى رآها القديس مار افرام السريانى تخرج من فم القديس باسيليوس الكبير أثناء احدى عظاته فى شبه ألسنة نارية صغيرة تستقر فى قلوب الموعوظين ؟ !

هل يجرؤ مقاوم أن يقاوم خادم الله الأمين أو يستهين به ؟ اسمع الرد من قبل الرب « ها أنذا جاعل كلامى فى فمك نارا . وهذا الشعب حطبا فتأكلهم » ! ! ألم يقل الرب عن خدامه « وخدامه لهيب نار » (عب ١ : ٧) !!

ان سر الغلبة والنصرة والتوفيق فى الخدمة هو فى هذا السلطان الالهى **« لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلى الرب »** (اش ٦٦ : ١٦) ، **أى يغلبهم الخادم بسيف الروح الذى هو كلمة الله** (اف ٦ : ١٧) .

مسئوليته :

يشعر الخادم الأمين أن مخدوميه الذين عرفوا الرب معرفة حقة هم مجده وموضوع فرحه واكليل افتخاره (١ تس ٢ : ١٩ ، ٢٠) ... وأنهم **ختم رسالته فى الرب** (١ كو ٩ : ٢) ، أى أنهم العلامة التى تظهر صحة وقانونية رسالته فالرسالة لا تعتمد لدى الجهات الرسمية الا اذا كانت ممهورة بخاتم رسمى .. !!

من أجل ذلك يشعر كل خادم أمين أنه مسئول عن حياة كل فرد من مخدوميه مسئولية مباشرة أمام الله . ولذا فان جهاده لا يقف عند حد ، حتى **« يحضر كل انسان كاملا فى المسيح يسوع »** (كو ١ : ٢٩) .

ويضاعف من شعور الخادم بالمسئولية ، قيمة النفس البشرية فى نظره . ان قيمة كل نفس هى دم المسيح الذى مات عنها لينقذها من العالم الحاضر الشرير . وبقدر ما تزداد قيمة النفس فى نظر الخادم بقدر ما يزداد جهاده وتتضاعف تضحياته من أجل خلاصها . من أجل هذا كانت اتعاب الخدمة والدموع التى سكبت لأجل كل نفس ، والميتات التى لاقاها المبشرون بالخلاص .

لقد اقتدى الخدام الأمناء بالرب يسوع خادم الخلاص الذى أحبنا واسلم ذاته فداء عنا ... ذاك الذى فتش عن خروف واحد ضال ، ودرهم واحد مفقود ، وسعى وراء امراة خاطئة هى السامرية ، وقال **« هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار »** (مت ١٨ : ١٤) . **هذا ما نلمسه فى حياة رسوله بولس** الذى لم يحتسب لشىء ، ولا كانت نفسه ثمينة عنده ، حتى أتم بفرح سعيه ، والخدمة التى أخذها من الرب يسوع ... نستطيع أن نلمس غيرة هذا المبشر العظيم والخادم

الأمين فى حديثه الوداعى الى قسوس افسس ... « لذلك اشهدكم اليوم هذا، **انى برىء من دم الجميع . لأنى لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله . احترزوا اذن لأنفسكم ولجميع الرعية ... لذلك اسهروا متذكرين انى ثلاث سنين ليلا ونهارا لم أفتر عن أن انذر بدموع كل واحد** » (أع ٢٠ : ٢٦ — ٣١) ...

أرجو أن تقف يا أخى قليلا عند كل كلمة من كلمات الرسول السابقة . ان وراءها نفسا كبيرة عرفت حقا قيمة خلاص الرب ، وقيمة كل نفس مات الرب عنها ... لاحظ معى كلمته الأخيرة « **أنذر بدموع كل واحد** » ... هذه ظاهرة واضحة فى حياة هذا الرسول . لقد كتب الى كنيسة كولوسى قائلا « منذرين **كل انسان** ، ومعلمين **كل انسان** بكل حكمة ، لكى نحضر **كل انسان كاملا فى المسيح يسوع** » (كو ١ : ٢٩) ... لقد شعر هذا الرسول العظيم — رغم عدم ثباته فى مكان معين بحكم رسالته التبشيرية التى تقتضيه الانتقال من مكان الى مكان — شعر انه مسئول عن كل نفس ... وهكذا تمم رسالته وختم عليها بالدموع ، ولذا استطاع فى النهاية أن يقول فى اطمئنان « **انى برىء من دم الجميع** » ، « **جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ...** » .

كان برلس ينذر بدموع كل واحد ... فهو بلا شك يعرف مسئوليته كاملة . انه كمعلمه الذى يعرف خرافه ويدعوها بأسمائها (يو ١٠ : ٣) ... ولا شك أن تلك الدموع التى سكبها الرسول كانت أمام عرش النعمة فى صلوات متواترة ، كما يتضح فى حديثه الى أهل روميه « ان الله الذى أعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعا دائما فى صلواتى ... » (رو ١ : ٩ ، ١٠) ...

نحن نقرأ عن خدام كثيرين ، كانوا لا يهدأون اذا رأوا نفسا واحدة خارج الحظيرة أو منحرفة عن طريق الرب . ومن هؤلاء القديس مقاريوس أسقف قاو الذى كان يشاهد باكيا فى أثناء وعظه . لأنه أعطى نعمة أن يرى كل انسان على حقيقته ... كان يرى خطاياه كما يرى الزيت فى الاناء الزجاجى . ولذا فحينما كان يعظ ويرى بعضا من أولاده الروحيين غير تائبين كان يبكى شاعرا بمسئوليته ، وأنه سيعطى حسابا عن كل نفس ...

ونود أن نشير الى أمر هام ، وهو ان **نظرة الخادم الأمين للنفوس ، لا تقف عند حد المؤمنين وحدهم ، وصلواته لا ترفع من أجل هؤلاء وحدهم ، بل من أجل الجميع ... مؤمنين وغير مؤمنين . فالرب مات لأجل الجميع ، لكى يتمتع الكل ببركات خلاصه** ... انه لا يهدأ وهو يرى خرافا كثيرة خارج الحظيرة ، بينما راعى الخراف العظيم ، ربنا يسوع المسيح ، ينادى الجميع « تعالوا ... وأنا أريحكم » .

اختبـــاره :

ان مجرد اختيــار أولئك المدعوين للخدمة لهم أمر عســير فى ذاتــه . فبالاضافة الى بعض الاشتراطات التى نوهنا عنها آنفا حينما تحدثنا عــن شخصية الخــادم ، **نود أن نلفت النظر الى أنه لا يليق أبدا أن نأتى بشــاب عادى ،لــم تتأصل فيه محبــة الله ، وليس لــه حياة شركة متزايدة مــع الرب كل يوم ، ونعهد اليه بأى خدمة تعليمية مهمــا كان علمه وثقافته سواء الدينية أو العالمية . ان الاقــدام على مثل هذه الخطوة لــه ضرر مزدوج فى ذاته** . ففضلا عن عدم امكانه افادة سامعيه الفائدة الروحية الأصلية ، بــل ربما تسبب فى اعثارهم نتيجة بعض تصرفاته ، فانه يضر ذاته . . . ســيصبح له شخصيتان ، شخصية خارج الخدمة تسير فى فلكها الذى ألفته ، وشخصية داخل دائرة الخدمة تحاول أن تظهر بمظهر التدين والوقار . . . ومفروض أن هذا التدين والوقار الذى يظهر فى سلوك الخــادم يكون نابعــا من حياته الداخلية . . . وهكذا يتعلم مثل هذا الشاب فن الرياء . . . **لقد صدق القديس يوحنا الدرجى حينمــا قال « الذين هم فى زمان التوبة لا يجوز أن يجلســوا على كرسى المعلمين »** . . . فالمعلم لــه كرامته الخاصة ، ولا يمكن أن تتفق **الكرامة مع التوبة التى من أولى مقوماتهــا النــدم الشديد .**

وليس أدل على صدق ذلك ، ممــا قاله أحد الأدباء « **ان النساء اذا** وضعن الأجنة قبل أوانها لا يملأن البيوت احياء بل القبور أمواتا » . ومعنى ذلك ان الجنين اذا خرج من بطن الأم قبل موعد الولادة المعروف فانه سيكون سقطا . وهكذا كل من يتقدم للخدمة قبل نضجه روحيــا . . . ربمــا ملأ الدنيا كلاما ، لكن الكلمة تخرج من فيه ميتة !! قال ســليمان الحكيم « اذا امتلأت السحب مطرا تريقه على الأرض » (جا ١١ : ٣) ان هذا القــول ينطبق على المعلمين ، ولذا قال القديس ايرونيموس جيروم فى تفسيره للآية السابقة « السحب هم المعلمون . فعندما تكون مملوءة ماء روحيا يمكنها ان تغيث به الأرض . اما اذا لم يكن فيها ماء ، فيتم فيها قول يهوذا الرسول : غيوم بلا ماء تحملها الرياح ، أشجار خريفية بلا ثمر » (يه ١٢) .

وفضلا عن ذلك فان الأمر يحتاج الى مشورة الله بصلوات وأصــوام كثيرة . هكذا فعل السيد المسيح المعلم الأعظم ، العارف بكل شىء وفاحص القلوب ، قبيل اختياره لتلاميذه الاثنى عشر ، وذلك حتى نحذو حذوه وننسج على منواله . فلقد أمضى الليلة الســابقة كلها فى الجبــل يصلى منفــردا (لو ٦ : ١٢ ، ١٣) . . . **وهكذا أيضا فعل تلاميذه ، حينما ارادوا أن يقيموا تلميذا عوضا عن يهوذا الأسخريوطى** ، فصلوا قائلين « أيها الرب العــارف قلوب الجميع عين أنت من هذين الاثنين أيا اخترته » (أع ١ : ٢٤) .

ان احتياجات الخدمة الكثيرة فى أنحاء الكرازة لا تحملنا على التفريط فى المبـــدأ . لقد لمس الرب يسوع بنفسه هذه الاحتياجات حينما كان « يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها ، ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب» ... لمسها حينما رأى الجموع «منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها » ... اما أثر انطباعات هذه الاحتياجات فى نفس الـــرب فكان قوله لتلاميذه « الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون . فاطلبـــوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة الى حصاده (مت ٩ : ٣٥ — ٣٨) .

وهنـــا نلاحظ أنه رغم كثرة الحصاد ، فان الرب يسوع مضى فى خطته الالهية الحكيمة التى ينبغى أن نحذو حذوها . فلم يعـــد سوى قلـــة من التلاميذ ، عهد اليهم بالتبشير بملكوته ... وقد أرانا فى هذا المقام أيضا ، كيف نتصرف ازاء الاحتياجات المتزايدة بقوله « فاطلبوا من رب الحصـــاد أن يرسل فعلة الى حصاده » .. اذن حينما تلتهب قلوبنا غيرة من أجل كثـــرة الحصاد وحينما نعاين الحقول قد ابيضت ،وحينما تأخذنا الشفقة على اخوتنا المنزعجين والمنطرحين كغنم لا راعى لها ... علينا أن نطلب من رب الحصاد أن يرسل الفعلة اللازمين ... ولا شك أنه سيفعل ، لأنه غيور على النفوس التى مات عنها ...

اعـــــداده :

بعد أن يتم اختيار الخادم ، تبدأ مرحلة اعداده . **ان اعداد الخـــادم الحقيقى ليس أمرا هينا** . ليست المسألة أن يستمع خادم مدارس الأحد الى مجموعة من الدروس يراعى فيها التنوع فى المعرفة ، وبعد ذلك يعهد اليه بالخدمة . وليس الأمر بالنسبة للطالب الاكليريكى الذى يعد لكى يصبح واعظا أو خادما للمذبح ، أن يشحن عقله بالعلوم الدينية ... ليس هذا أو ذاك هو المطلوب . وليست هذه هى وسيلة اعداد الخادم .

فتـــرة الاعداد :

يجب ألا تسند مهمة التعليم الى من يقع عليه الأختيار الا بعد اعـــداده جيدا . أن السيد المسيح « المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم » (كو ٢ : ٣) ، الـــكامل فى كل عمل صالح ، لـــم يبدأ خدمته المعروفة الا فى ســـن الثلاثين ، مع أنه كان قـــادرا على التعليم وهو بعد صبى . أليس وهـــو فى الثانية عشرة من عمره أذهل معلمى الشعب بفهمه وأجوبته (لو ٢ : ٤٧) !!

والسيد المسيح لم يرسل تلاميذه للكرازة فور اتمـــامه الفداء بصـــلبه وقيامته ، بـــل أمهلهم حتى صعوده ، حيث كان يثبتهم مـــدة أربعين يوما . وحتى بعد صعوده أوصاهم الا يبرحوا أورشليم الا بعد أن يلبسوا قـــوة من

الأعالى . ولـــذا لا نعجب اذا كانت عظة القديس بطرس الأولى يوم الخميس جذبت للايمان ثلاثة آلاف نفس . **من المهم جدا ان نضع فى قلبنا ان الخـــدمة ليست صناعة كـــلام** .

اذن علينا الا نتعجل فى تسليم الخدمة لأولئك المختارين لها الا بعـــد اعدادهم اعدادا سليما ، مهما كانت الدواعى والظروف . **لأن الخطأ لا يصلح بخطأ آخر** . وما لنا وكل هـــذا ، والسيد المسيح نفســـه قـــد أعد خداما ، فلنتأمل كيف أعدهم . .

أمامنا فصل اعداد خدام : المعلم هو السيد المسيح نفسه . تلاميذ هذا الفصل هم الرسل الأثنى عشر . وسائل الايضاح معجزات كان يعملهـــا امامهم . ومع كل ذلك فقد استغرق اعداد التلاميذ فى هذا الفصل اكثر من ثلاث سنوات ... وكانت الدراسة يومية وتشمل معظم اليوم .

ونحن نعد الخدام بطريقة آلية عجيبـــة ، وفى فترة قصـــيرة ... ! ! لنلاحظ الفارق العظيم بيننا وبين الرب ذاته فى هذا الصدد ... المسيح فاحص القلوب هو الذى اختار هؤلاء التلاميذ ، ويعلم مدى صلاحيتهم واستعدادهم لحمـــل الرســـالة العظيمـــة التى سـيعهد اليهم بحملهـــا . أما نحن فكـــل ما يمكننا أن نعمله ، هو اننا نتوسم فى بعض الشبـــان الطيبـــة والهـــدوء ، فندعوهم للخدمة دون أن نعرف دواخلهم ، التى قد تكون فى حقيقتها مثقلـــة بمتاعب روحية كثيرة ... ومع كل ذلك ، نجد الرب يسوع يعد تلاميذه فى أكثر من ثلاث سنين ، بينما نعدهم نحن فى اقل من ذلك بكثير ، وشتان بيننـــا وبين الـــرب ! ! .

ولا يفوتنـــا فى هذا المقام ان ننوه بالمنطق العجيب الذى يستخـــدم فى بعض فروع الخدمة ، حيث يسندون خدمة لبعض الشباب شعورا منهم بأن هذه وسيلة لربطهم بالكنيسة فلا ينجرفون ... !! ويؤسفنا أن نقول أن هذا المنطق ـــ فضلا عن سقمه ـــ فانه مهين لله ، ويسبب ضعفا للخدمة ، ويجلب لها الكثير من المتاعب .

كيفيـــة الاعـــداد :

ونركز كلامنا هنا عن اعداد خدام مدارس الأحد بنوع خاص . فمنهـــاج الدراسة فى فصـــول اعداد الخدام يجب أن يشمل :

(١) **قدرا طيبا من الثقافة الدينية** كدراسة الكتاب المقدس واللاهـــوت والعقائد والطقوس والتاريخ الكنسى ... هذا فضلا عن الدراسات الروحية البحتة التى يجب أن تعطى لها عناية خاصة . فالخادم فى حقل خدمته يخدم

فئات مختلفة من المخدومين من ذوى الثقافات المتنوعة . ومن ثم يصبح فى أمس الحاجة الى ثقافة دينية عالية ، يرد بها على أسئلة مخدوميه ، خاصة فى وقتنا الحاضر الذى تفشت فيه الاتجاهات الفكرية المادية والاباحية والالحادية .

(٢) **بعض الأسس التربوية والنفسية** التى تعين الخادم على فهم شخصية المخدومين وكيفية التعامل معهم . مثال ذلك دراسة مراحل النمو المختلفة وخصائص كل مرحلة ، وكيفية تطبيقها ، وذلك فى تحضير الدرس واعطائه لمخدوميه بالصورة التى تجعله شيقا ومهما بالنسبة لهم ... كذلك يجب تدريب الخادم على استخدام الوسائل التعليمية المختلفة .

(٣) **تدريبا عمليا على الخدمة** . وذلك بأن يعهد للخدام الذين هم فى مرحلة الاعداد بالخدمة تحت اشراف خدام قدامى ذوى خبرة لتوجيههم .

وثمة أمر أخير نود أن نلفت النظر اليه ، الا وهو موضوع التلمذة فى الكنيسة . يحسن جدا أن يظل الخادم محتفظا بروح التلمذة الحقة حتى بعد بدء خدمته . **فالمسيحية فى أصولها قائمة على فكرة التلمذة وروحها** . قال الرب يسوع لتلاميذه قبيل صعوده « **اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم** ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) . لقد سارت الكنيسة الأولى ردحا من الزمان متممة أمر سيدها ، فكانت قوية ، وكان مجتمع المؤمنين ينمو ويتزايد فى العدد والفضيلة والمعرفة . وحينما نفقد هذه الروح نفقد معها البركات التى أدخرها الرب فيها . **ولا نجانب الصواب اذا قلنا ان التلمذة فى مفهومها الأصيل هى الخدمة الفردية التى هى الدعامة الاولى فى بنيان النفوس** ... الخدمة الفردية المبنية على الطاعة والاتضاع من جانب التلميذ ، يقابلها الحب والغيرة من جانب المعلم . ويمكن تحقيق هذه الفكرة فى اجتماعات الخدمة بحيث تكون فرصة للاستفادة الايجابية دون مناقشة النواحى الادارية فى الخدمة . اما هذه الأخيرة فيحسن أن تبحث فى اجتماع خاص . **والحق أننا لسنا فى حاجة الى كلام كثير بقدر حاجتنا الى تلمذة حقه وعمل فردى . واذا كان العمل الفردى لازما بين المؤمنين ، فكم يكون اكثر لزوما للخدام الناشئين ...**

السطحية فى الخدمة

اخطـــارهـــا :

السطحية فى ذاتها مرض خطير ، وظاهرة لاتبشر بتقـدم ونمـو . ونحن نعنى السطحية فىكل شىء وفى كل ميادين الحياة ... فمثلا السطحية فى العلم لا يمكن أن تؤول الى تقدم العلم والكشف والاختراع . وبالنسـبة للطالب مثلا لا تبشر بمستقبل طيب . فان هو نجح فى الامتحانات التى تعقـد لتحديد مستواه ، يكون نجاحه بدرجـة لا تؤهله لدخول فى زمرة المبرزين من الطلبة . ان الطبيعة ذاتها تلقننا هذا الدرس . فالأرض لا تجود بكنوزها الا لمن يتعمق فى كشفها وسبر أغوارها . لم نسمع عن منجم أيا كان عـلى سطح الأرض ، بل فى أعماقها السحيقة ... هكذا يحرم السطحيـون من بركات العمق . **ان كانت السطحية خطيرة بهذا المقدار فى أمور العالم ، فهى ايضا هكذا فى ميدان الروح .** لقد أمر الرب يسوع سمعان بطرس ان يدخل الى العمق ويلقى شباكه للصيد ، ولما فعل ذلك اصطاد سمكا كثيرا جدا . وهكذا نحن أيضا حينما نطيع صوت الرب بالدخول الى العمق الروحى ، نأخذ بركات ونعما روحية وافرة . **ولايعنينا فى هذا المقام أن نتحدث عن السطحية فى الحياة الروحية ولكن يهمنا أن نتناول بالكلام السطحية فى الخدمة ، التى هى بلا شك مظهر من مظاهر سطحية الروح .**

مظـــاهرها :

من مظاهر السطحية فى الخدمة والاهتمام والحرص على مظهر الخدمة الخارجى دون الالتفات الى ما قد يختفى وراء هذا المظهر من عوامل الضعف والانحلال .... فبعض القادة يحرصون على تجنيد أكبر عدد ممكن من الشباب للخدمة ، وتأسيس فروع جديدة ... وهكذا ينشئون فى عجلة — ولو بدافع الغيرة — فروعا للخدمة لها المظهر الخارجى الكامل : مكان ، ومواعيد ، وخدام ، ومنهج ، وتلاميذ ... الخ . وفى الداخل قد يكون الخدام منحلين فى حياتهم الخاصة انحلالا غير ظاهر ، وغير معدين فكريا لتدريس المناهج المعطاة لهم . وقد يجيبون على أسئلة جوهرية اجابات خاطئة — عن جهل لا عن سوء نية . وقد يسببون اشكالات كثيرة تحتـاج الى جهـد كبير لعلاجها .وقديكونون عثرة للخدمة ، ويقدمون صورة سيئة عن الخـدام يسيئون بها الى فروع أخرى ناجحة ، ولكنها تحمل نفس الاسم الذى ينتمى اليه هؤلاء . والجهد الذى يبذل فى علاج أمثال هؤلاء الخدام ، ربما يـكون أكثر بمراحل من الجهد الذى يبذل فى اعداد خدام صالحين . **نحن وان كنـا** لا ننكر عليهم الغيرة المقدسة والنية الحسنة الطيبة ، لكن — ومـع ذلك — نقول أن هذا خطأ ينبغى تداركه . فهم فى غيرتهم هذه يندفعون فيؤسسـون

فروعا للخدمة دون أى استعداد ودون حساب النفقة .**وتكون النتيجة أن هذه الفروع كلها تولد ميتة ، وان كتب لها أن تبقى بعض الوقت ، لكنها كزهر العشب ، فان عوامل الانحلال سرعان ما تعمل فيها حتى تقوض** أركانها وتأتى عليها فى النهاية .... وهذه الامور لها تأثيرها الضار على الخدمة والخدام والمخدومين ...

وينشأ عن السطحية الروحية أن الانسان يقيم نفسه تقييما خاطئا فى علاقته بالله . فالبعض يكتفى من مسيحيته بمظاهرها الخارجية كالصلوات والقراءات الروحية وحضور الكنيسة والتناول وممارسة الأصوام .... حتى **لو أديت بطريقة مادية آلية !!** لكن لنعلم أن جميعنا مطالبون بحياة الكمال من فم الرب يسوع نفسه « **كونوا أنتم كاملين** كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) ...**وعلى هذا ، فنحن مطالبون بالنمو الدائم فى النعمة « الى أن ننتهى جميعنا ... الى انسان كامل . الى قياس قامة ملء المسيح »** (اف ٤ : ١٣) . **ولئلا يتبادر الى الأذهان أن هذا الكلام يختص بفئة معينة من الكنيسة انقطع أعضاؤها وتفرغوا للعبادة ، فان بولس الرسول أوضح ذلك ايضاحا كليا حينما قال للمؤمنين فى كولوسى « منذرين كل انسان ، ومعلمين كل انسان بكل حكمة ، لكى نحضر كل انسان كاملا فى المسيح يسوع »** (كو ١ : ٢٩) . واوضح من هذه الكلمات أن كل انسان مطالب بحياة الكمال المسيحى .

وتظهر انطباعات السطحية الفردية فى النظرة الى الخدمة ومعالجة احتياجاتها . فالبعض يقيس نجاح الخدمة بمقاييس ظاهرية . فمثلا عدد أطفال مدرسة الأحد ، أو عدد المستمعين الى كلمة الله ، أو عدد المتناولين فى الكنيسة .. هذه كلها وأمثالها يتخذها البعض مقاييس لنجاح الخدمة . لكن السيد المسيح يعيد على مسامعنا نفس كلماته القديمة التى قالها لتلاميذه فور عودتهم من ارسالياتهم «**لا تفرحوا بهذا** ... » (لو ١٠ : ٢٠) . **أن** موضوع فرحنا الكامل ان نفوس من نخدمهم قد عرفت الرب حقا وصارت لها شركة معه ... **ليس اخطر على الكنيسة من السطحية . انها تشبه الزرع الذى نبت على الاماكن المحجرة ، فسرعان ما جف لانه «لم يكن له عمق ارض»** (مت ١٣ : ٥) ... !! اما عن كيف يمكن تفادى السطحية فى الخدمة ، فهذا ما سنعرض له الآن ...

عوامل القوة فى حياة الخادم

عوامل القوة فى حياة الخادم هى عينها عوامل القوة فى الخدمة ... فى قوته الروحية قوة لها وفى ضعفه ضعفها ... هو محور الخدمة وقلبها النابض . ولذا فحينما نتناول بالحديث عوامل القوة فى حياة الخادم ، نكون قد تحدثنا ضمنا عن عوامل قوة الخدمة . ونود أن نشير هنا الى أننا سوف لانتناول بالحديث كل المقومات الروحية فى حياة الخادم كمؤمن عادى ... كالمواظبة على الصلاة والصوم والاعتراف والتناول من الأسرار المقدسة وباقى الوسائط الروحية ، فهذا أمر بديهى مفروغ منه . لكننا سوف نشير الى بعض العوامل التى تمس حياة الخادم مباشرة .

أولا) المحبة :

المحبة فى ذاتها هى القوة الدافعة الكبيرة ، سواء فى حياتنا الخاصة وعلاقتنا بالرب ، وفى خدمتنا فى كرمه المقدس . لقد دخل ابليس الى الكنيسة الناشئة التى أسسها القديس بولس فى كورنثوس ، واحتدم الخصام بين أعضائها ، فكتب الرسول اليهم كلامه الرائع عن المحبة الوارد فى الاصحاح الثالث عشر من رسالته الأولى ... لقد أوضح لهم أن المحبة تفوق الايمان وموهبة النبوة ، وأن النسك والتجرد لا قيمة لهما بدونها ... وحتى لو أوتى الانسان أن يتكلم بألسنة الناس والملائكة ، ولم يكن له محبة فقد صار نحاسا يطن أو صنجا يرن ... **ان كل عمل نعمله، وكل فضيلة نمارسها خلوا من روح المحبة هى مرفوضة من الله ...** والتعب الكثير والجهد المتواصل بغير دافع المحبة من شأنه أن ينشىء تذمرا . ومبغوض أمام الله كل عمل يعمل بتذمر وضجر ....

المحبة قوة لا يمكن مقاومتها ... هى التى رفعت ابن الله على الصليب فاجتذب بذلك قلوب ملايين البشر اليه ... هى التى تصدت لشاول الطرسوسى عند أبواب دمشق وقيدته بقيودها ، وأسرته برقتها وحنوها ، فطابت نفسه لعملها وصار فيما بعد يباهى بأنه «أسير يسوع المسيح» وبأن «محبة المسيح تحصرنا » ... لقد حولت المجدف والمضطهد والمفترى الى بولس العظيم رسول الجهاد وكاروز المسكونة ، بعد أن خلعت عنه ثياب الفريسية ، والبسته عوضا عنها ثوب الرسولية .

المحبة تذلل كل الصعوبات التى تعترض طريق الخدمة ... هى تستهين بالضوائق والصعاب وتصبر على المشقات ... المحبة هى التى دفعت

الرسل الى الجهاد فى سبيل نشر بشرى الخلاص . هى التى حولت مرارة الاضطهاد الى حلاوة فىأفواه العاملين . **لم تستطع السجون أن تحبس المحبة، ولم تقدر الأغلال الحديدية أن تقيدها ... لقد حطمت المحبة كل نطاق ضرب حولها ، وتخطت كل العقبات التى وضعت فى سبيلها ... وما فشل أن يحققه أعظم قادة العالم ، حققته المحبة ... فكم من قلوب ملكت عليها . وكم من عواطف استأثرت بها ... لها لغة خاصة تتعامل بها ، يفهمها جميع البشر .**

عندما يمتلىء قلب المؤمن بالمحبة ، تأخذه الغيرة على خلاص أخوته واسعادهم . انه لا يهدأ أو هو يرى اخوته وأخواته يخرون صرعى فى حلبة الاثم ، ويسقطون فى قبضة ابليس ... هذا ما حدا **بدانيال** أن يصلى من أجل نفسه وكل الشعب (دا ٩) . وهذا ما حدا **بنحميا** أن ينتفض انتفاضته القويةويبنى أسوار أورشليم ، مرددا « هلم فنبنى سور أورشليم ولا نكون بعد عارا » (نح ٢ : ١٧) ... ان أورشليم هى الكنيسة ، مجتمع المؤمنين انها فى حاجة الى خدام غيورين من طراز نحميا ... لقد بكى الرب يسوع على أورشليم لأنها لم تعرف زمان افتقادها (لو ١٩ : ٤١) ... نعم لقد بكى على خاصته التى لم تقبله ... وكما السيد هكذا تلاميذه وخدامه فى كل زمان ومكان ...

كثيرا ما نقرأ عبارات للقديس بولس تدل على غيرته المتاججة علىخلاص الآخرين . قال لمؤمنى كورنثوس « من يضعف وأنا لا أضعف . من يعثر وأنا لا التهب » (٢ كو ١١ : ٢٩) . وقال لأهل رومية «فانى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل أخوتى أنسبائى حسب الجسد (رو ٩ : ٣) ... لقد سجن فى قيصرية واحكمت المؤمرات ضده لكنشغله الشاغل وهومسجون ، لم يكن اطلاق سراحه والخلاص من ايدى أعدائه . بل خلاص نفوس هؤلاء جميعا ... فحينما قال له الملك اغريباس الذى كان يحتج أمامه « بقليل تقنعنى أن أصير مسيحيا » ، كان جوابه « كنت أصلى الى الله ، أنه بقليل وبكثير ، ليس انت فقط ، بل أيضا جميع الذين **يسمعوننى** اليوميصيرون هكذا كما انا ما خلا هذه القيود » (اع٢٦:٢٨،٢٩).

وكثيرا ما نقرأ لهذا القديس وهو يتحدث عن خدمة الدموع . ففى وصية وداعية له الى قسوس أفسس ، يفصح عن هذه الغيرة فيقول « لذلكاسهروا ، متذكرين أنى ثلاثسنين ليلا ونهارا ، لم أفتر عنأنذر بدموع كلواحد » (اع ٢٠ : ٣١) ...فوان كانت الدموع دليل الحبو،لالتهابوالغيرة المقدسة والمشاعر القلبية المتأججة ، فهى أيضا لغةيفهمها الجميع ، وهى وسيلة لا تقهر سواء من الله أو الناس .. قال العريس للعروس فى نشيد الأناشيد « **حولى عنى عينيك فانهما قد غلبتانى** » (نش ٦ : ٥) .

وان كانت المحبة تعتبر القوة الدافعة للخدمة ، فانها أيضا تخلصنا من داء وبيل ومرض خطير طالما أذل الكنيسة والمجتمعات الدينية وأضعفها ، بل ربما كان سببا فى انهيارها كلية ... ذلكم هو داء الانقسام ... فمن ضمن صفات المحبة التى أوردها الرسول أنها « تتأنى وترفق .. لاتحسد .. لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ولا تظن السوء، ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق ، تحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء ... » **وأخيرا يضع الرسول تاجا على رأس المحبة به تباهى سائر الفضائل فيقول « انها لا تسقط أبدا » (١ كو ١٣) .**

ليس فى الامكان أن نتكلم عن المحبة وقوتها وفاعليتها ونحن نعالج موضوعا كموضوع الخدمة . لكننا ندعو القارىء أن يقف ولو قليلا عند كل صفة من صفاتها التى ذكرها الرسول ، ليعرف أننا كثيرا ما نجرم فى حق المحبة ، وكثيرا ما نحتقرها ، بل ونقتلها باسم بعض الشعارات الزائفة كالتشاحن والتخاصم والانقسام بدعوى الدفاع عن المبادىء السليمة مثلا ، بينما من المبادىء السليمة ألا نتشاحن أو نتخاصم أو ننقسم !! أليس يقول معلمنا بولس الرسول « فانه اذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر . لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلوس أفلستم جسديين (١ كو ٣ : ٣ ، ٤) .

ان المحبة بريئة من أولئك الذين يطعنونها من الخلف ... المحبة بريئة من أولئك الذين يقسمون كنيسة المسيح باسم المبادىء والروحانية .. المحبة بريئة من أولئك الذين يثيرون على امهم الكنيسة حربا عوانا حتى لو استتروا بالنسك ... ان الذين لم يرعوا المحبة لم يعرفوا الله ، لأن « الله محبة »...

(ثانيا) الايمان :

لقد أعطى الرب الايمان كل القوة أن يعمل وأن يأخذ ... والكتاب المقدس ملىء بمواعيد الايمان واقتداره ، وملىء أيضا بسير أبطال الايمان وعمل الله معهم ... حينما أرسل الرب رسله فى ارسالياتهم التمهيدية ،جردهم من كل ما يحتاجه المسافر . فأوصاهم الا يقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقهم ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا (مت ١٠ : ٩، ١٠). لكنه فى الوقت ذاته زودهم بسلطانه الالهى فعملوا أعمالا عظيمة بالايمان باسمه (لو ١٠ : ١٧) .

وفضلا عن بركات الايمان ، فان عدم الايمان فى حد ذاته خطية (رو ١٤ : ٢٣) . فالايمان بالله هو الثقة به وبمواعيده ، وعدم الثقة اهانة كبيرة له ... بل مكتوب أنه « بدون الايمان لايمكن ارضاؤه » (عب ١١ : ٦)

ان الايمان لايمكن أن يشيخ ، ولا يأتى وقت لا تعود لمواعيد الله قوتها الاولى . فاننا نقرأ عن جهاد المبشرين الأوائل بالمسيحية والأعمال العظيمة التى حققوها بايمانهم ، فان أى انسان له نفس ايمانهم ، يستطيع أن يعمل نفس أعمالهم بل واعظم منها ... قال الرب يسوع « الحق الحق اقول لكم من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضا ويعمل أعظم منها » (يو ١٤ : ١٢) .

فنحذر الخوف والتردد والارتياب فانها من أعداء الايمان ومعطلاته . لقد أرسل موسى — بناء على أمر الله — اثنى عشر رجلا ليتجسسوا أرض كنعان ، من بينهم كالب ويشوع . عاد هؤلاء الرجال بعد رحلة دامت أربعين يوما ، وأخذ عشرة منهم يثيرون الخوف فى نفوس الشعب ، ويشيعون فيهم روح الضعف والهزيمة ، وحدثوهم عن بنى عناق جبابرة الأرض وعن المدن الحصينة . أما كالب ويشوع فقالا « اننا نصعد ونمتلك لأننا قادرون عليها.. **الرب معنا لاتخافوهم » (عد ١٣ ، ١٤) . فما أشبه ذلك بما يحدث فى زماننا !! . كثيرون يعتقدون أن تيار الشر فى العالم أقوى منهم ، وأنهم أضعف من مقاومته والانتصار عليه .** لكننا فى حاجة الى أمثال كالب ويشوع ... **نحن** فى حاجة الى ايمان راعى الغنم الصغير داود الذى قتل جليات بقوة رب الجنود ... فالله هو هو أمس واليوم والى الأبد ، ليس عنده تغيير ولا ظل دوران .

ولو أن الحصاد كثير والفعلة قليلون ، لكننا لسنا فى حاجة الى معلمين لهم ايمان الشياطين الذين يؤمنون ويقشعرون ، بل نحن فى أمس الحاجة الى خدام مؤمنين ... مؤمنين برسالتهم ، وبقوة من ينادون باسمه ويبشرون بخلاصه ... لسنا فى حاجة الى الكثرة العددية ... فقد هزم جدعون بثلثمائة رجل جيش المديانيين والعمالقة وكل بنى المشرق ، الذين قيل عنهم انهم كانوا « كالجراد فى الكثرة ، وجمالهم لا عدد لها كالرمل الذى على شاطىء البحر » . كان لجدعون فى بادىء الأمر جيش قوامه نحو ٣٢ ألف مقاتل . لكن الخوف دب فى قلبه حينما علم أن جيش المديانيين يفوقه عددا . فقال له الرب « ان الشعب الذى معك كثير على لأدفع المديانيين بيدهم لئلا يفتخر على اسرائيل قائلا يدى خلصتنى . والآن ناد فى آذان الشعب قائلا من كان خائفا ومرتعدا فليرجع وينصرف من جبل جلعاد . فرجع من الشعب اثنان وعشرون الفا وبقى عشرة آلاف » وعاد الرب وقال لجدعون « لم يزل الشعب كثيرا . انزل بهم الى الماء فأنقيهم لك هناك ... » وعند الماء حدثت التصفية وهبط العدد الى ثلثمائة مقاتل ، فقال له الرب « بالثلاث مئة الرجل ... أخلصكم وأدفع المديانيين ليدك ... » . وهذا ما حدث فعلا قض ٧) .

ليتنا ننقى صفوفنا من دعاة الشك والخوف ... الخوف الذى يلبسه

البعض أحيانا ثياب الحكمة والاتزان والرزانة ... ولنثق فى مواعيد الرب اكثر من ثقتنا بكلام هؤلاء المثبطين ... ما أحوجنا الى القراءة كثيرا عن رجال الله الذين « بالايمان قهروا ممالك ، صنعوا برا ، نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود ، اطفأوا قوة النار ، نجوا من حد السيف ، تقووا من ضعف ، صاروا اشداء فى الحرب ، هزموا جيوش غرباء ... » (عب١١ : ٣٣،٣٤) .

+ فى عرس قانا الجليل لما عاينت العذراء مريم حاجة العرس ، قالت للخدام « مهما قال لكم فافعلوه » (يو ٢ : ٥) ... ما أحوجنا أن نتمسك بطاعة الايمان الى النهاية . لقد أطاع الخدام فكانت المعجزة الأولى التى صنعها الرب ... وحينما نطيع الرب طاعة كاملة فى ايمان عميق لابد وأن تحدث معنا معجزات فى الخدمة ...

ثالثا ــ القدوة :

المسيحية كرسالة تبشيرية ، انتشرت بالقدوة أكثر منها بالوعظ والتعليم ، أو كما يحلو للبعض أن يعبروا عنها (القدوة) بالانجيل الخامس . فالمسيحيون عن طريق حبهم لالهيهم وحياتهم المقدسة المثمرة وثبات ايمانهم استطاعوا أن يمجدوا الههم ، ودكوا بوداعتهم ــ فى غير ماحرب أو عراك ــ حصون الشر والوثنية متممين وصية مسيحهم « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » .

فاذا كان هذا هو وضع المؤمنين العاديين أعضاء الكنيسة ، فكم يكون الرعاة والخدام مسئولين عن تقديم ذواتهم قدوة للمؤمنين !! وربنا يسوع المسيح المعلم الأعظم ، خادم الأقداس الحقيقية يقول « تعلموا منى ... » وأيضا « لأجلهم أقدس أنا ذاتى » (يو ١٧ : ١٩) . وأتى عبده ورسوله بولس يكرر على المؤمنين كلماته « **تمثلوا بى** ... » . وأوصى تلميذه تيموثاوس الأسقف قائلا « لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك .. » (١ تى ٤ : ١٦) .

وتبدو أهمية القدوة فى حياة الخادم مما قاله الرب قديما بلسان حزقيال النبى « أهو صغير عندكم أن ترعوا المرعى الجيد ، **وبقية مراعيكم تدوسونها بأرجلكم ، وأن تشربوا من المياه العميقة والبقية تكدرونها بأقدامكم ، وغنمى ترعى من دوس أقدامكم ، وتشرب من كدر أرجلكم »** (حز ٣٤ : ١١ ، ١٩) .

ويقصد الرب بهذه الكلمات الخدام والرعاة الذين لا يحيون بموجب التعليم الذى يعلمون به مخدوميهم . وقد عبر عنه الوحى هنا تعبيرا صادقا ودقيقا « بدوس الأقدام » أى دوس التعاليم . **والحق أن المخدومين فى هذه**

الحالة لا يتبعون التعاليم التى يسمعونها بل الأمثلة الشريرة التى يرونها .
وفيما هم متعطشون للأشياء التى يسمعونها ، يعثرون ويضلون من جراء الأمور الحادثة أمامهم ... لقد قال الرب أيضا بلسان هذا النبى عن اللاويين « وكانوا معثرة اثم لبيت اسرائيل » (حز ٤٤ : ١٢) ...

ليس أضر على الكنيسة من الشخص الذى يحمل لقب القداسة ويعمل الشر ... وكل من ليس مستحقا للخدمة — رغم بركاتها الكثيرة — فليهرب اذا سمع بأذن القلب الواعية قول الرب « من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويغرق فى لجة البحر » (مت ١٨ : ٦) . **على الخادم أو المعلم أن يجعل موعظته أو تعاليمه خلاصة حياته الشخصية ، كما قال أحد الخدام اجابة على السؤال « كم صرفت فى اعداد العظة ؟ » فكان رده « أربعين سنة »** . وقد قصد بذلك خلاصة حياته الماضية .

رابعا — الصلاة :

من البديهيات الروحية أن المسيحى ميت روحيا اذا أعرض عن الصلاة. وهو مخدوع ان ظن أن له بابا آخر لاقتبال المعونة الالهية غير باب الصلاة . فاذا كان هذا أمر المؤمن العادى ، فكم بالخادم ... !! ان سر القوة فى حياتنا كمؤمنين هى صلواتنا ، وسر القوة فى حياة خدام الله الأمناء هو حياة الصلاة التى كان يحيونها . **لا شىء سوى ذلك يجعل الخادم انسان الله ، ويضمن له أن كرازته ستكون « ببرهان الروح والقوة »** . لقد كانت وصية الرب لتلاميذه قبيل صعوده أن لا يبرحوا أورشليم حتى « يلبسوا قوة من الأعالى » (لو ٢٤ : ٤٩) . وكلمات الرب هذه تحذير لهم من أن يتجاسروا على الخدمة والكرازة بدون هذه القوة ... وقد تم وعد الرب هذا ، ونالوا هذه القوة فى يوم الخمسين . أما وسيلة نوال هذه القوة فيحددها لنا كاتب سفر الأعمال حينما قال **« هؤلاء كلهم (التلاميذ) كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة ... »** (أع ١ : ١٤) ... ان سر قوة الكرازة والخدمة هى فى عمل الروح القدس ومصاحبته للكلمة ، ووسيلة الحصول عليه هى الصلاة والمواظبة عليها ... الصلاة التى بالروح ... ان « قوة الأعالى » لا توهب الا بالصلاة الحية التى ترفع الى الأعالى ... **وهكذا يحتاج الخادم الى قوة هائلة ، من أجل نفسه وخلاصها ، ومن أجل خدمته وفاعليتها ... وليس من طريق الا بالصلاة التى بالروح ...**

لقد كانت الخدمة فى الكنيسة الأولى تسير بقوة الصلاة ودفعها ، وهكذا كانت « كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة » (أع ١٩ : ٢٠) **كل المشاكل حلت بالصلاة .. المعجزات والآيات والعجائب عملت بقوة الصلاة ...** ودعائم الايمان تثبتت بقوة الصلاة .. الملوك والولاة الذين

قاموا ضد الكنيسة باءوا بالفشل والخسران بقوة الصلاة .. كل التحالفات غير المقدسة أنحلت بقوة الصلاة ...

لما تكاثرت المقاومات على تلاميذ الرب من كل جانب ، ورأوا أنهم عاجزون عن التغلب عليها ، رفعوا بنفس واحدة صلاة قائلين « والآن يارب أنظر الى تهديداتهم وامنح عبيدك ان يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة » (أع ٤ : ٢٩) ... وكانت النتيجة أن « تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه ... وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة » (أع ٤ : ٣١) . ألم تنفتح أبواب السجن لبطرس من تلقاء ذاتها ، لأن « الكنيسة كانت تصير منها صلاة بلجاجة الى الله من أجله » (أع ١٢ : ٥) ... ألم تنفتح أبواب سجن فيلبى كلها وانفكت قيود المسجونين بسبب صلوات بولس وسيلا مما كان سببا فى ايمان حافظ السجن والذين له أجمعين (أع ١٦ : ٢٥ — ٣٣) .. !!

من أجل هذا نجد أن **الرسل وقد تكاثرت الخدمة الاجتماعية فى ذلك الوقت ، تبعا لازدياد عدد المؤمنين ، لم ينسهم ذلك عمل الصلاة** ، فحينما اجتمعوا ليبحثوا الأمر قالوا « لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد . فانتخبوا أيها الاخوة سبعة رجال منكم مشهودا لهم ، ومملوئين من الروح القدس وحكمة نقيمهم على هذه الحاجة . وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة » (أع ٦ : ٢ — ٤) ... **لاحظ هنا الترتيب : المواظبة على الصلاة تأتى قبل خدمة الكلمة ... !!**

قلنا آنفا ان الخادم يحتاج الى صلوات من أجل نفسه وخلاصها ، ومن أجل خدمته وفاعليتها . ومن أجل ذلك لا يكف الخادم الأمين عن الصلاة من أجل مخدوميه ويحرص فى الوقت نفسه على حثهم على الصلاة لأجله ولأجل الخدمة ، ايمانا منه بقوة الصلاة وفاعليتها ... **ولنأخذ لنا فى هذا المقام بولس العظيم ، الخادم الأمين والمبشر العظيم الذى كرز للأمم ، فقد دعانا هو أن نتمثل به (١ كو ١١ : ١) ... وها هى كلماته تنطق بالروح الكارزة الملتهبة لهذا الرسول الأمين :**

« **طالبين ليلا ونهارا** أوفر طلب أن نرى وجوهكم ونكمل نقائص ايمانكم » (١ تس ٣ : ١٠) .

« فان الله الذى أعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف **بلا انقطاع أذكركم ، متضرعا دائما فى صلواتى** » (أف ١ : ١٥ ، ١٦) ...

« **بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح** ... لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الانسان الباطن ، ليحل المسيح بالايمان فى قلوبكم ... » (أف ٣ : ١٤ — ١٧) .

« أشكر الهى **عند كل ذكرى اياكم دائما فى كل أدعيتى** ، مقدما الطلبة **لأجل جميعكم** بفرح ... فان الله شاهد لى كيف أشتاق الى جميعكم فى أحشاء يسوع المسيح ، **وهذا أصليه** أن تزداد محبتكم أيضا أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل فهم » (فى ١ : ٣ — ٩) .

« نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح **كل حين مصلين لأجلكم** اذ سمعنا ايمانكم ... من اجل ذلك نحن ايضا **منذ يوم سمعنا لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا** من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى » (كو ١ : ٣ — ٩) .

ما أحوجنا يا أخانا العزيز أن نقف طويلا وقفة التأمل عند أقوال هذا الرسول الأمين لنرى كيف تكون الخدمة الأمينة الناجحة المستندة الى قوة الصلاة ...

هذا عن صلوات بولس عن الخدمة والمخدومين . **أما عن حث المخدومين على الاشتراك فى الصلاة لأجل الخدمة ، فهى كثيرة ، شاهدة على ايمان** هذا الرسول بلزوم الصلاة للخدمة والكرازة :

« فأطلب اليكم ايها الأخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن **تجاهدوا معى فى الصلوات** من اجلى الى الله لكى أنقذ من الذين هم غير **مؤمنين ... ولكى تكون خدمتى لأجل أورشليم مقبولة ...** » (رو ١٥ : ٣٠، ٣١) .

« **وأنتم أيضا مساعدون بالصلاة لأجلنا** (٢ كو ١ : ١١) ...

« مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة **لأجل جميع القديسين ولأجلى ، لكى يعطى لى كلام عند افتتاح فمى لأعلم جهارا بسر الانجيل** » (أف ٦ : ١٨ ، ١٩) .

« واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر ، **مصلين فى ذلك لأجلنا نحن أيضا** ليفتح الرب لنا بابا للكلام لنتكلم بسر المسيح » (كو ٤ : ٢ ، ٣).

« **أخيرا** ايها الاخوة **صلوا لأجلنا لكى تجرى كلمة الرب وتتمجد** كما عندكم أيضا » (٢ تس ٣ : ١) .

خامسا — انكار الذات : (١)

انكار الذات هو الأساس المتين الذى ينبغى للخادم أن يبنى عليه حياته الشخصية وخدمته للرب ... فالقديس بولس فى حديثه الى مؤمنى كورنثوس — **بعد** أن عقد مقارنة بين الألعاب القديمة والجهاد الروحى ، وأبرز وجه

---

(١) تناولنا هذا الموضوع باسهاب فى الجزء الأول من بستان الروح .

الشبه فى أن المؤمن يفوز فى النهاية بالجعالة ــ قال عن نفسه « اذن أنا اركض هكذا . . . بل أقمع جسدى واستعبده **حتى بعد ما كرزت الآخرين لا اصير أنا نفسى مرفوضا** » (١ كو ٩ : ٢٤ ــ ٢٧) . . . والانسان يأخذه العجب ، أيمكن أن يرفض هذا الرسول والمبشر العظيم اخيرا ؟ ! ايحتمل أن رابح الوف النفوس للرب يخسر نفسه ؟! لكن هذا خير مذكر لنا ، لكى نلاحظ انفسنا وننتبه لأمر خلاصنا ، ونجاهد حتى الدم الى النهاية ، ونشعر أن نعمة الرب هى كل شىء فى حياتنا . . . حتى لو كان لنا سنوات عديدة فى الخدمة يجب أن نشعر أننا كل يوم ، انما نبدأ خدمتنا . . . **هذا هو الأساس الأول والقوى الذى ينبغى على كل خادم أن يؤسس خدمته عليه .**

حينما كانت كلمة الرب الى أرميا النبى تعلن له أنه جعل نبيا للشعوب ، اعتفى شاعرا بصغر سنه . فكان جواب الرب على ذلك ، كلمات تشجيعية ومواعيد الهية . ثم مد الرب يده ولمس فم أرميا وقال له « **ها قد جعلت كلامى فى فمك** . انظر . قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس » (أر ١ : ٤ ــ ١٠) . . . وقال له أيضا « **هانذا جاعل كلامى فى فمك نارا** . وهذا الشعب حطبا فتأكلهم » (أر ٥ : ١٤) . . . وهكذا يجب ألا نشعر فى أى وقت من الأوقات أننا اكفاء للخدمة مهما كانت درجة مؤهلاتنا العلمية والسنوات التى قضيناها فى الخدمة . . . **وهكذا ينبغى أن نشعر أن النجاح الذى نحرزه فى وعظنا وخدمتنا واعجاب الناس وتقديرهم لنا** ، انما يرجع الى الكلام الذى وضعه الرب فى أفواهنا . . . ما أحرانا أن نتشبه بالرسول بولس الذى قال « **ليس أننا كفاة من أنفسنا** أن نفتكر شيئا كأنه من أنفسنا ، **بل كفايتنا من الله** الذى جعلنا اكفاء لأن نكون خدام عهد جديد . . . » (٢ كو ٣ : ٥ ، ٦) .

ونفس الأمر تكرر مع أشعياء النبى . . . « فقلت ويل لى انى هلكت لانى انسان نجس الشفتين . . . فطار الى واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد اخذها بملقط من على المذبح . **ومس بها فمى** ، وقال ان هذه قد مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيتك . ثم سمعت صوت السيد قائلا من أرسل ومن يذهب من جلنا . فقلت هانذا أرسلنى ، فقال اذهب وقل لهذا الشعب . . . » (أش ٦ : ٥ ــ ٩) .

ليتك تشعر يا أخانا الخادم العزيز أن شفتيك ملموستان بيد الرب ، خصوصا وأنت الانسان المواظب على تناول جسد المسيح ودمه الأقدسين ، اللذين ترمز اليهما جمرة المذبح فى كلام أشعياء النبى . . . لتك تحس دائما فى كل مرة تخدم وتحدث الناس عن الرب ، أنه قد جعل كلامه فى فمك . . .
بل ليتك ترفع قلبك الى الله طالبا اليه أن يجعل كلامه فى فمك ، فى كل مرة تريد أن تحدث الآخرين عنه . . .

سادسا — الامتلاء بالروح :

وهذا هو بيت القصيد فى حياة خادم الله ... لا يغرب عن بالنا أبدا أن الله روح ، ومن ثم فكل الذين يريدون أن يخدمونه عليهم أن يمتلئوا أولا بالروح لكى يخدمونه بالروح « الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئا . الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة (يو ٦ : ٦٣) ... الروح هو عنصر الحياة ، وحينما تفارق الروح يقبل الموت ويوافى الانحلال ...

ليس المهم فى الكلام الذى يقوله الخادم ، بل المهم أن تخرج الكلمة منه بقوة ، هى قوة الروح . أما الخادم الذى ليس له حياة الروح ، فالكلمة تخرج من فيه ميتة ... قال معلمنا بولس للتسالونيكيين « **عالمين أيها الأخوة ... أن انجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضا وبالروح القدس** » (١ تس ١ : ٥) . فو ان كانت وسيلة التبشير هى الكلام ، لكنه لم يكن كلاما عاديا ، بل كلاما مصحوبا بقوة ، هى قوة الروح القدس ...

صدقنى يا أخى العزيز أن هذا هو سر الضعف ... لعلك لا تختلف معى فى أن الوعظ قد كثر عن ذى قبل ، كثر كلام التعليم عن زمن الرسل ، لكن الثمر قل وشح جدا ... ولقد سأم الناس الوعظ وكلام التعليم ... أما السبب الجوهرى فى ذلك فهو أن كلام الوعظ وكلمات التعليم تخرج من أفواه الوعاظ والمعلمين ميتة اذ ليس لهم حياة فيهم ... حقيقة ان كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين ... (عب ٤ : ١٢) . لكنها تحتاج الى انسان مؤمن حى يتكلم بها ... والسيف القاطع البتار يحتاج الى شخص حاذق يستخدمه ... والرسول فى رسالته الى مؤمنى أفسس يسمى كلمة الله « سيف الروح » (أف ٦ : ١٧) . ما أصدق هذا التعبير ... انه سيف ، لكنه مقرون بكلمة الروح ... ان الكلمة بدون روح كالسيف الذى لا يقطع ... له من الخارج مظهر السيف لكنه لا يؤدى عمله ...

ولقد أوضح القديس بولس هذا الأمر ايضاحا بليغا حينما قال لمؤمنى كنيسة كورنثوس ، وأنا لما أتيت اليكم أيها الأخوة ، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة مناديا لكم بشهادة الله ... وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع ، **بل ببرهان الروح والقوة** ، لكى لا يكون ايمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله » (١ كو ٢ : ١ — ٥) . **ويحلو لنا جدا أن نقف عند كلمات الرسول هذه « ببرهان الروح والقوة » ففيها مفتاح الخدمة الناجحة ، وسر قوة الكنيسة الأولى وانتشار الكلمة .**

كلام الحكمة الانسانية المقنع هو الفلسفة والمنطق. كان بولس فيلسوف المسيحية الأولى قادرا أن يكلم مؤمنى كورنثوس أحفاد فلاسفة اليونان العظام

بالمنطق والفلسفة ، لكنه أبى ، فرسالة الملكوت لا تنتشر بهذه الوسيلة ... لكنه كرز لهم « **ببرهان الروح والقوة** » . **فما هو برهان الروح هذا ؟**

العقل يقنع العقل ، والروح يقنع الروح ... وحينما يتكلم الـــروح لا يستعمل أساليب الكلام العادية ، لكن له أسلوبه الخاص هو أسلوب يوم الخمسين ... ما هى أنواع الفصاحة والبلاغة والمنطق التى تميزت بها كلمات بطرس الرسول فى عظة يوم الخمسين حتى أن جميع السامعين « نخسوا فى قلوبهم وقالوا ... ماذا نصنع أيهـــا الرجال الأخوة » (أع ٢ : ٣٧) ... استسلام من جانب المستمعين « ماذا نصنع أيها الرجال الأخـــوة » ؟ فكان جواب الرسل عليهم « توبوا » ... هذا هو برهان الروح الذى نفـــذت به الكنيسة ارادة سيدها وفاديها أن يكرزوا بالانجيـــل للخليقة كلهـــا ... **ان برهان الروح لا يحتـــاج الى جدل أو الى نقاش ... انه لا يقـــاوم ولا يقهر « لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها »** (لو ٢١ : ١٥) .

ان ما حدث فى يوم الخمسين أثناء خطاب معلمنا بطرس كان برهان الروح ... فلم يناقش الموعظون هذه الدعوة الجديدة ... لم يجادلوا ... لم يطلبوا اقناعا معينا ... لم يحدث شىء من هذا ... والسبب أن الروح عمل فيهم بقوة ونخسهم فى قلوبهم .

قال معلمنا بولس ان كرازته كانت « ببرهان الروح والقـــوة » ... أما عن القوة ، فهى عينها القوة التى وعد بها الرب تلاميذه، وأوصاهم ان يقيموا فى أورشـــــليم الى أن « يلبســــــوا **قوة** من الأعالى » (لو ٢٤ : ٤٩) ... « لكنكم ستنالون **قوة** متى حل الروح القدس عليكم » (أع ١ : ٨) .

ان العالم الآن فى عصر العقل ، عصر تمجيد العقل ومحاولة اخضاع كل شىء لســـلطانه ... لقد أصبح عقل العالم أكبر من روحه بكثير ، **وسر ضعف الخدمة وضعف انتشار ملكوت الله بقوة هو أننا نسينا وصية سيدنا ومعلمنا ، وشرعنا فى خدمتنا ، نخـــدم خدمة العقل لا خـــدمة الروح ... أعرضنا عن برهان الروح بما يصاحبه من قوة وفاعلية ، ولجأنا الى منطق العقل بما يصاحبه من فلسفة بشرية وأساليب تربوية !!** لقد أصبح خـــدام الجيل من حملة الشهادات المؤهلين فكريا وثقافيا ، لكنهم جميعا لا يساوون صياد بحر انجليل الأمى الـــذى تبع معلمه الى النهاية وانتظر فى أورشـــليم « موعـــد الآب » ... !! أما كيف نمتلىء بالروح ، فهذا ما نرجو أن يكون كنتيجة لهذا الكتاب بنعمة الرب ...

سابعا ــ دراسة كلمة الله :

كلمة الله ينبوع حى من أكبر الينابيع التى ذخرت لنا فيها قوة الله . ان كل الخدام الأمناء الناجحين بنوا حياتهم وخدمتهم على أســـاس كلمة الله . ما أكثر الخدام الذين يضلون الطريق الى مصدر القوة الحقيقية . فبينمـــا يشتاقون الى القوة التى تشعل نار الحب الالهى فى القلوب الباردة ، وتحطم القلوب التى تقست بالخطية ينسون قول الرب « **أليست هكذا كلمتى كنار ... وكمطرقة تحطم الصـــخر** » (أر ٢٣ : ٢٩) ، وقوله أيضـــا « **ها انذا جاعل كلامى فى فمك نارا ...** » (أر ٥ : ١٤) ... وبينما يتعبون من أجل الثمر المتكثر لحساب الخدمة ينسون قول الرب يسوع ، ان « **الزرع هــو كلام الله** » (لو ٨ : ١١) !!

ان كانت دراسة كلمة الله لازمة للمؤمن العادى كغذاء روحى يومى من أجل نموه الروحى ، فكم يكون لزومها أكثر للخادم ، الذى يطلق عليه أحيانا اسم « **خادم الكلمة** » ... يدرس الخادم كلمة الله ليعلم ارادته وطريقه ، ويبلغهما لمخدوميه ... وهو يدرسها أيضا ليعرف طبيعة الانسان ووسائل ربحه . ان فى الكتاب المقدس كل الحقائق التى يحتاج اليها الخادم فى حديثه مع الآخرين . ان خادم الله لا يفيده تمهره فى فنون كثيرة ، بل هو محتـــاج الى دراسة كلمة الله . يقول القديس بولس لتلميذه تيموثاوس « **اعكف على القراءة والوعظ والتعليم ... أهتم بهـــذا ، كن فيه لكى يكون تقدمك ظاهرا فى كل شىء** » (١ تى ٤ : ١٣ ــ ١٥) .

الكتاب الأول والأخير الذى ينبغى على الخادم أن يدرسه بعمق هـــو الكتاب المقدس . قد يقرأ عشرات الكتب ، وقد يستطيع أن يقتبس منهـــا اقتباسات كثيرة ، ولكن ما لم يدرس كتابه المقدس فانه يفقد كثيرا . **قـــال الله قديما ليشوع** بعد أن آلت اليه قيادة الشعب خلفا لموسى « **لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه نهارا وليلا لكى تتحفظ للعمل حســـب كل ما هـــو مكتوب فيه ، لأنك حينئـــذ تصـــلح طريقك ، وحينئـــذ تفلح** » (يش ١ : ٨) .

ان الكتاب المقدس « نافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر ، لكى يكون انسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح » (٢تى٣ : ١٦، ١٧) . ومن جعبة هذا الكتاب النافع يستطيع خادم الله أن ينتقى السلاح المناســـب الذى يقهر به أعداءه . ان كلمات الله ــ التى قهر بها السيد المسيح ابليس حينما تقدم ليجربه ــ كانت كسهام بيد قوى . وصدق داود العظيم حينمـــا قال « مغبوط هو الرجل الذى يملأ جعبته منهم » . حينما نســـتخدم كلمـــة الله فى خدمتنا ونعتمد عليها ، نجد أنها « حية وفعالة وأمضى من كل ســـيف ذى حدين ، وخارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ، ومميزة

افكار القلب ونياته » (عب ٤ : ١٢) . **والحذر من دراسة كلمة الله بقصد وعظ الآخرين بل يجب ان يكون ذلك بقصد الشبع منها اولا حتى تصبح جزءا من كياننا الروحى .** وحينئذ يكون لها فى افواهنا قوة عجيبة بفعل الروح القدس .

وان كنا تناولنا بالكلام هنا أهمية دراسة كلمة الله بالنسبة للخادم ، فنود ان ننوه بأهمية الثقافة والاطلاع بصفة عامة له ، وذلك بحسب مقتضيات العصر الذى نحيا فيه ، وبذلك يكون الخادم مستعدا للرد على الأسئلة التى توجه اليه خاصة بمشاكل العصر ، بشرط الا يطغى اطلاعه فى أمثال هذه الكتب على روحياته ودراسته للكتاب المقدس الذى ينبغى أن يتقدم جميع الكتب أيا كانت قيمتها الروحية أو الثقافية أو الأدبية ...

ثامنا ــ التجــرد :

التجرد فضيلة مسيحية يجب أن يتحلى بها جميــع المؤمنين . ونعنى به التجرد من محبة العالم فى كل صورها « محبة العــالم عداوة لله . فمن اراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله » (يع ٤ : ٤) . وتتفاوت هذه الفضيلة كمالا من مؤمن الى مؤمن . فقد يصل التجرد الى حد بيع الممتلكات كما حدث فى الكنيسة الأولى . والرسل أنفسهم أوضحوا ايمانهم بهذه الفضــيلة حينما قالوا لمعلمهم « هــا نحن قد تركنــا كل شىء وتبعنــاك » (مت ١٩ : ٢٧) . وان كان جميــع المؤمنين مطالبين بالتجــرد كفضــلية مسيحية عامة ، لكنه بالأكثر يناسب جماعة الخدام سواء المكرسين منهم أو المتطوعين .

وفكرة التجرد قائمة على توحيد القلب لحب الله . لقد طلب داود النبى والملك الى الله فى احــدى صــلواته قائلا « **وحــد قلبى لخوف اســمك** » (مز ٨٦ : ١١) . فكثيرا ما ينقسم القلب رغم الوصــية القائلة « يا ابنى أعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) ، ورغم وصــية الرب يســوع « **تحب الرب الهك من كل قلبك** » (مت ٢٢ : ٣٧) . وحينما ينقسم القلب تكون الطامة الكبرى والخطر العظيــم . فحينما يبدأ القلب يتجزأ أو تشــغله اهتمامات كثيرة تنافس بعضها بعضا فى الأهمية ، يبدأ الانسان فى تبرير سلوكه وضعف حبه لله ، ويقدم عللا كثيرة . قال داود النبى « لا تمل قلبى الى أمر ردىء لأتعلل بعلل الشر مع أناس فاعلى اثم » (مز ١٤١ : ٤) ... لتكن قلوبنــا اذن موحدة وكاملة فى حبها لله . قال الوحى الالهى « **لأن عينى الرب تجولان فى كل الأرض ، ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه** » (٢ أى ١٦ : ٩) .

نعود الى التجرد فنقول ، يحدث أحيانا أن الشاب الخادم (المتطوع) فى حقل الكنيسة بعد تخرجه من كليته أو معهده واستلامه عملا ما ، سرعان ما يغريه العالم ببريقه الخادع ، ويندفع باحثا عن عمل اضــافى ينمى بــه

دخله ، أو دراسة أكاديمية عالية يحمل بواسطتها لقبا علميا عريضـا ، أو بعثة علمية للخارج ... الخ ، وبذا يشغل وقته الذى كان يقدم فيه خدمته للرب . ويظل مثل هذا الشاب يندفع رويدا رويدا وسـط لجة بحر العالم المزبد تتقاذفه أمواجه ، ويظل هكـذا حتى تخمد أنفاسـه الروحية ويبتلعه اليم ، ويذوب — وتذوب معه مبادؤه — وسـط دوامة المجتمع العنيفة . كثيرون ابتلعتهم هـذه الدوامة ، وكثيرون خدعهم العالم بذهبـه ومراكزه الزمنية . ولاشـك أن أمثال هؤلاء قد انحرفوا كلية عن حيـاة التجرد التى تليق بالخدام .

ونود أن نوضح هنا أمرا ، وهو **أننا لا نقاوم الطموح والترقى** . ربما كان هذا مناسبا وموافقا جدا للمسيحى العادى ، لكننا نتحدث عن فئة قليلة اشتعل قلبها بحب الله فأحبته فى أشـخاص أولاده ، وهكذا عرفت طريقها للخدمة . ونحن لا نشك أن الله يعوض أمثال هـؤلاء الخـدام الأمناء الذين فضلوا خدمته عن حب المراكز والرئاسات والمال اله هذا الدهر ، عوضـا **يتناسب مع سخائه فى العطاء والمجد . . .**

هذا عن الخدام المتطوعين . **ويوجد بعض الخدام المكرسين لا يحيون فى اختبار التجرد الجميل** . قد يكونوا قد تجردوا عن مراكزهم أو وظائفهم حبا فى الخـدمة ، لكن — ومع ذلك — لم يعطوا كل قلبهم وحبهم للرب . **ويحق لمثل هؤلاء أن تقال لهم نفس الكلمات التى وجهها الرسـول الى حنانيا وسـفيره « أبهذا المقدار بعتما الحقل ... أليس وهو باق كان يبقى لك »** (اع ٥ : ٤ ، ٨) ... قبل تكريس حياتك للرب أيها الخادم ألم تكن كلهـا لك ؟ أبهذا المقدار بعت العالم ؟ أنت لم تطاق محبة العالم كلها ، لكن أبقيت منها شيئا لك !! . اجلس مع نفسك وراجع نذورك وتعهداتك الماضية قبيل بدء خدمتك وتكريس حياتك للرب ، وتذكر هل اختلست شيئا من ثمن الحقل الذى هو قلبك وحياتك كلها ؟!

فى معجزة اشباع الآلاف من الخمسة أرغفة وسمكتين ، قال التلاميذ للرب « ليس عندنا ههنا الا خمسـة أرغفة وسـمكتان » . فكان الجواب « ائتونى بها » (متى ١٤ : ١٧ ، ١٨) ... وأخذ الرب الأرغفة الخمسـة والسمكتين وباركها ، فأكل الجميع وشـبعوا وفاض عنهم ... **لقـد طلب الرب كل ما عنـدهم ، وفعلا قدموها ، فكانت معجـزة البركة ... أكلوا وشبعوا وفاض عنهم ... ماذا كان يحدث لو أن واحدا من التلاميذ — من أجل ضعف ايمانه — احتجز جزءا لنفسه كى يشبع منه ؟!**

ان اختبار التجرد لهو من أقوى الاختبارات التى يجب على الخـادم الأمين ان يحيا فيـه . انه يعطيه قوة روحيـة ، واتكالا كاملا على الرب ،

وشجاعة فى خدمته . وفيما يختص بالنواحى المادية ، يعطيه سموا عن مستويات المادة ، التى كثيرا ما كانت سببا هاما فى خلق الاشكالات التى خنقت الخدمة وعاقت نموها .

تاسعا ــ الحب والحنو على المخدومين :

لاشك أن الحب والحنو من جانب الخادم على مخدوميه يبنيهم روحيا ، فالحب والحنو من سمات المسيحية الأصيلة . **وهكذا رأينا ابن الانسان فى نظرته للأشرار والخطاة** . انه ينظر اليهم كمرضى يحتاجون الى علاج . لقد اجتذب ملايين البشر بشباك حبه وعطفه ... لقد صدق بولس الرسول فى قوله « **المحبة تبنى** » (١ كو ٨ : ١) ... لقد كان صديقا للعشارين المنبوذين والخطاة المبعدين ، وكان هذا سببا فى اعتراض اهل الكهانة من الكتبة والفريسيين مرارا كثيرة ، وكان السبب أنه يأكل ويشرب ويجالس العشارين والخطاة ... لقد كتب عن يسوع أنه كان يطوف المدن كلها والقرى ... يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . وأنه تحنن على الجموع حينما رآهم منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها (مت٩:٣٥،٣٦) .

ولقد كان الحب والحنان هما شيمة تلاميذ الرب ورسله . قال معلمنا بولس « ولا طلبنا مجدا من الناس ، لا منكم ولا من غيركم مع أننا قادرون أن نكون فى وقار كرسل المسيح . **بل كنا مترفقين فى وسطكم كما تربى المرضعة أولادها . هكذا اذ كنا حانين اليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا انجيل الله فقط بل أنفسنا ايضا لأنكم صرتم محبوبين الينا** » (١ تس ٢ : ٦ ــ ٨) . وفى موضع آخر يوصى الغلاطيين بالترفق بالخطاة فيقول « أيها الأخوة ان انسبق انسان فأخذ فى زلة ما **فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة** ناظرا الى نفسك لئلا تجرب أنت ايضا » (غل ٦ : ١) ... ان القسوة على الخاطىء لا تربحه ، بل تزيده قساوة وبعدا عن الرب وعن الكنيسة « وعبد الرب لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفقا بالجميع صالحا للتعليم ، صبورا على المشقات ، **مؤدبا بالوداعة المقاومين** ، عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق ، فيستفيقوا من فخ ابليس اذ قد اقتنصهم لارادته » (٢ تى ٢ : ٢٤ ــ ٢٦) ...

كان ابشالوم بن داود مطرودا من وجه أبيه الملك لأنه طرد أباه من العرش ، واحتقر المحبة الأبوية وأعلن عصيانه على أبيه ، وبلغ به الأمر انه صار يطلب نفس أبيه ... لكن مع كل ذلك لم يغير داود نظرته اليه كابن لايزال يحبه . لذلك حينما طلب داود الملك الى قواده أن يذهبوا لمحاربة ابشالوم قال لهم « ترفقوا لى بالفتى ابشالوم » (٢ صم ١٨ : ٥) . **فما أشبه داود بربنا يسوع المسيح ، وابشالوم بالخاطىء العاصى المتمرد ...** انها نفس مشاعر الرب من جهة المتمردين والعصاة . انه يترفق بهم ويأمرنا

نحن أيضا أن نتشبه به . لقد انتهى امر ابشالوم ، بأن قتله يوآب العجوز القاسى القلب بلا شفقة رغم وصية مولاه ... ويوجد كثيرون أمثال يوآب . فبينما يطلب الرب يسوع أن نعامل الخطــاة برفق ، يقوم يوآب ويقتلهـم بوحشية ... وفى هذه الحال ينكسر قلب الرب يسوع لأجلهم ، كما انكسر قلب داود لأجل ابنه ابشالوم ...

عاشرا ــ الحكمة والمرونة :

الحكمة كلمة ما اعذبها ونعمة ما أســماها ، فهى « خير من اللآلىء وكل الجواهر لا تساويها » (أم ٨ : ١١) . لقد سر المسيح أن يسمى بها « ولكننا نحن نكرز بالمسيح ... قوة الله **وحكمة الله** » (١ كو ١ : ٢٣،٢٤) . « المســيح المذخر فيه **جميع كنوز الحــكمة والعلم** » (كو ٢ : ٣) . فليس غريبا اذن أن وجدنا ربنا يسوع المسيح الذى قيل عنــه انه « كان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) ، يوصينا بالحكمة « **كونوا حكماء كالحيات** » (مت ١٠ : ١٦) ، ويعد أولاده وتلاميــذه بها فى زمن الضوائق والشدائد « **أعطيكم فما وحكمة** لا يقدر جميــع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضــوها » (لو ٢١ : ١٥) ... وكــم كان تصرفه حــكيما وكلماته مفحمة حينما قال لأولئك الذين أرادوا أن يوقعوا بينه وبين السلطة الحاكمة « اعطوا اذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (مت ٢١ : ١٥ ــ ٢٢).

يجب أن نعترف أن كثيرا من مشــاكلنا فى الكنيســة وفى محيط الخدمة سببها **عدم التصرف بحكمة ومرونة . فنحن نقف جامدين ، اعتقادا منــا أن الحق فى جانبنا دون الجانب الآخــر ، وتكون النتيجة الانقســام والفشــل والانهيار** . وليس معنى هذا الكلام أن الانسان يعيش بلا مبدأ أو أنه يتخلى عنه ، بل أن يكون حكيما فى تصرفه من أجل وحدة الصف وخلاص النفوس . **هذا ما نلمسه واضحا فى أقوال وتصرفات القديس بولس الرسول والفيلسوف الحكيم ، قال « فانى اذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين . فصرت لليهودى كيهودى لأربح اليهود ، وللذين تحت النــاموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قوما . وهذا أنا أفعله لأجل الانجيل لأكون شريكا فيه »** (١ كو ٩ : ١٩ ــ ٢٣) . والمعنى واضح أن الرسول لم يقاوم جميع هــذه الفئات التى خـــدم بينها بادىء ذى بدء ، ولم يســفه آراءهم ، ويخطىء معتقداتهم ، بل منها وبها ــ بحكمة عجيبة ــ قادهم للايمان بالمسيح .

ويفسر هذا الكلام موقفين رائعين لنفس هذا الرســول ، الأول مع اليهود والثانى مع الوثنيين . فرغــم مقاومته لفكرة ضرورة تهــود الأمــم

الراغبين فى الايمان المسيحى — التى أثارها قوم من اليهــود المتنشرين — ورغم القطع فى هذا الأمر فى المجمع الرسولى فى أورشليم ، الذى كان هــو مشتركا فيه ، واخذ على عاتقه تبليغ قرارات المجمــع لكنائس (أع ١٥) ، فقد تصرف بخلاف ذلك مع تيموثاوس عقب تعرفه عليه فى دربه ولسترة ، ورغبته فى خروجه معه للخدمة . فلقد « **اخذه وختنه من أجل اليهود** الذين فى تلك الأماكن ، لأن الجميع كانوا يعرفون أباه أنه يونانى » (اع١٦:١—٣) . **وفى مدينة أثينا— موطن الفلسفة — حينما وقف وسط الآريوس باغوس — وسط جمع من الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين — أســتهل حـديثه بذلك الاستهلال الحسن الحكيم** « أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرا . لأننى بينما كنت اجتاز وانظر الى معبوداتكم ، وجدت ايضا مذبحا مكتوبا عليه لاله مجهول . فالذى تتقونه وانتم تجهلونه هذا انا انادى لكم به ، الالــه الــذى خلق العــالم ... » (اع ١٧ : ٢٢ — ٢٤) ... والعجيب أن بولس الذى قال هذا الكلام ، هــو الذى قيل عنــه قبيل ذلك مباشرة « وبينما بولس فى أثينا احتــدت روحه فيه اذ رأى المــدينة مملوءة أصناما ... » (اع ١٧ : ١٦) .

الحكمة صفة مسيحية أصيلة يجب أن يتحلى بها خادم الله . فحينمــا فكرت الكنيسة الأولى فى اختيار معاونين للرسل فى الخدمة ، كان الشرط أن يكونوا « **مملوئين من الروح القدس وحكمة** » (اع ٦ : ٣) . وقد تم ذلك فعلا ، فحينما قام بعض المقاومين يجادلون اســتفانوس « **لم يقــدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به** » (اع ٦ : ١٠) ...

وكانت الحكمة هى وصــية الرسل جميعــا ... فبولس الرســول « **البناء الحــكيم** » (١ كو ٣ : ١٠) ، يوصى مؤمنى كولوسى أن يســلكوا « **بحكمة** من جهة الذين هم من خارج » (كو ٤ : ٥) ، **وأن يعلموا وينذروا** بعضهم بعضا « **بحكمة** » (كو ٣ : ١٦) . **ويقول للكورنثيين** « **لكن اذ كنت** محتالا **أخذتكم بمكر** » (٢ كو ١٢ : ١٦) . ويعقوب الرسول يؤمن على هذا الكلام ويحث المؤمنين على اقتناء الحكمة ويقول لهم « **ان كان أحدكم تعوزه حكمة ، فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له** » (يع ١ : ٥) .

لاشك أن الحكمة من أهم مقومات الخدمة ، وهى تســير مــع ربح النفوس جنبا الى جنب . قال الحــكيم قديمــا « رابح النفوس حــكيم » (أم ١١ : ٣٠) . لقد أوضح السيد المسيح ذلك حينما عقد وجه شـــبه بين صيد السمك واصطياد النفوس فى حديثه الأول مع **سمعان بطرس (لو ٥)** . فصيد السمك يحتاج الى حكمة وحرص وحذر ودراية ، وهكذا النفوس .

ما أحوج خدامنا الى المرونة والحكمة . ليست حكمة العالم التى قال عنها يعقوب الرسول انها « أرضية نفسانية شيطانية » ، بل الحكمة التى من فوق لأنها « أولا طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة ، مملوءة رحمة واثمارا صالحة » (يع ٣ : ١٥ — ١٧) ... نعم ما أحوجنا الى المرونة والحكمة الالهية . فكم من مشكلات تحدث فى حقل الخدمة بسبب عدم التصرف بحكمة. لذا نلفت نظر القادة القائمين على خدمة التربية الدينية فى مدارس الأحد مثلا ، الا يتركوا الأمر للشباب صغار السن الذين تعوزهم حتى مجرد حكمة أهل العالم بحكم سنهم ، **لأنه كما قال أيوب الصديق « كثرة السنين تظهر حكمة »** (أى ٣٢ : ٧) .

الحادى عشر — التركيز فى الخدمة :

وثمة عامل غاية فى الأهمية من عوامل قوة الخادم هو « التركيز فى الخدمة » . والكلام هنا نوجهه سواء للخدام المكرسين أو لمن يخدمون خدمة تطوع ...

يوجد كثير من الخدام — بدافع أشواقهم للخدمة وغيرتهم على خلاص النفوس — يندفعون للخدمة فى أكثر من ميدان وفى أكثر من موضع ، وتكون النتيجة أنهم يفقدون التركيز ، **ومع فقدان التركيز يظهر شبح الضعف والانحلال والسطحية ، لا فى الخدمة فحسب بل فى حياة الخادم ذاته ...** اننا نقول فى يقين ان الاتساع الكثير فى الخدمة غالبا ما يكون على حساب حياة الخادم الروحية الخاصة ، ما لم يقابل هذا الاتساع ازدياد فى عدد الخدام المعاونين .

معلوم أن ساعات النهار اثنتا عشرة ساعة كما قال رب المجد ، أى أن الوقت محدود ، والجهد محدود أيضا ... ان حقل الخدمة يضم الى جانب الخدام المكرسين — الموظفين المطالبين بالأمانة فى أعمالهم ، والطلبة المسئولين عن دراساتهم الى جانب فئات أخرى لها مسئولياتها فى الحياة ... وطالما نحن مرتبطون بهذه المسئوليات أمام الله وأمام ضمائرنا وأمام المجتمع ، فلا يصح ولا يليق مطلقا أن نهملها بحجة خدمة الله ... اننا بتقصيرنا فى واجباتنا الرسمية ، انما « نجعل عائقا لانجيل المسيح » (١ كو ٩ : ١٢) . ان وقت الخدمة بالنسبة لكثير من الخدام محدود ، وهذا الوقت المحدود عليهم أن يتصرفوا فيه بمنتهى الحكمة ، فلا يتباعدوا عن الخدمة بحجة الاهتمام بذواتهم ونموها وخلاصها ، ولا يندفعوا فيها متغافلين عن نموهم الروحى فى غمرة الخدمة . اذن فاحرص يا أخانا على السير فى الطريق الوسطى ..

قال رب المجد « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) . فلو أنى خلصت

نفس أهل العالم جميعهم ، وأغفلت عن نفسى وأمر خلاصها ، فلا أقدر أن اقدمها فداءا عن نفسى . فانتبه لنفسك جيدا ، واضعا نصب عينيك كلمات الرسول بولس « أقمع جسدى واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضا » (١ كو ٩ : ٢٧) ... **اذن فمن الممكن أن الخادم الذى يكرز بسبيل الخلاص للآخرين أن يرفض فى النهاية من أجل تهاونه .** ولنتذكر فى هذا المقام **ما قاله رب المجد** « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . **فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم »** (مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣) . وعبارة « انى لم أعرفكم قط » ، تشير الى أن هؤلاء الخدام لم تكن لهم الشركة الخاصة مع الرب ، ولم يحدث تعارف بينه وبينهم فى جلسات خاصة .... ثم من هو هذا الخادم الذى أخذ يقمع جسده ويستعبده خشية أن يصبح مرفوضا ؟! هو بولس معلم المسكونة ومبشرها ... هو الذى صعد الى السماء الثالثة ورأى أشياء لا ينطق بها ولا يسوغ لانسان أن يتكلم بها !!

لقد أوصانا الرب أن نحب قريبنا كنفسنا (مت ٢٢ : ٣٩) ، ولم يوصنا أن نحبه أكثر من نفسنا !! وليتنا نحبه أكثر ، لكن فى الواقع نحن نهرب من أنفسنا !! لو أنى قصرت فى زيارة مريض لسبب خارج عن ارادتى مثلا ، ولو أنى قصرت فى تقديم معونة لانسان ما لعدم قدرتى على ذلك ، ولو أنى ما استطعت أداء واجب انسانى نحو أخ لى على الرغم منى ، لو حدث كل ذلك وما شابهه ، ربما كان لى عذر ... **ولكن ماذا يكون عذرى لو قصرت فى حق نفسى التى هى بين جوانحى ... نفسى التى تلازمنى ... معى فى نومى ويقظتى ، جلوسى وقيامى ، اقامتى وترحالى !! ماذا أعطى جوابا عن ذلك أمام الله ...** اذن فانتبه لنفسك جيدا يا أخانا ، واياك أن تهرب منها ، بل كن أمينا الى الموت لتستحق اكليل الحياة ...

حقا كان السيد المسيح يقضى ساعات طويلة مع الجموع معلما وصانعا معجزات ، كان يقضى اليوم كله فى الخدمة ... لكن لا ننسى أن السيد المسيح له حالة تختلف عن أى انسان ، ومع ذلك فنحن كثيرا ما نقرأ عنه أنه كان يقضى الليل كله فى الصلاة (لو ٦ : ١٢) ... ومن المكابرة أن ندعى اننا وصلنا الى القامة الروحية التى تمكننا من قضاء سحابة يومنا فى خدمة الآخرين ، ثم نطوى الليل كله ساهرين مصلين ... !!

ونود أن نلفت النظر فى هذا المقام الى حالة انحراف **تتولد** فى كثير من الخدام ، منشأها أيضا حبهم للخدمة وأشواقهم وغيرتهم لخلاص نفوس كثيرين ، **ويمكن تسميتها تجاوزا « شيطان الخدمة »** ... فالخدمة ، وقد

ملكت على الخادم كل فكره ؛ أصبح لا يفكر فى نفسه بل فى مخدوميه خاصة ، وفى الآخرين على وجه العموم . فحينما يستمع الى متكلم فى الروحيات مثلا ويروقه كلامه ، يسرع فى تدوين كلماته — لا ليستفيد هو منها — بل لأنها فى نظره تصلح موضوعا لعظة أو اجتماع شباب أو فصل مدارس الأحد !! وبالمثل حينما يقرأ كتابا معينا ، يكون كل همه العثور على نقاط تصلح مواضيع للخدمة ... وهكذا ننسى أنفسنا وسط الخدمة وما يصاحبها من حب وأشواق وغيرة ...

ان هذا يا أخانا العزيز انحراف ، عليك ان تحذره . **مفروض أن ما تعلم به الآخرين يكون صادرا عنك أنت شخصيا ...** لا بأس من أن تسمع وتستمتع ، ولا بأس من أن تقرأ وتعجب مما تقرأ ، لكن ليكن همك الأول أن تستفيد أنت مما سمعت أو قرأت . وحينما تستفيد ستصبح قادرا تلقائيا على افادة الآخرين .

الثانى عشر — الجرأة :

هناك مواقف تحتاج الى حكمة خادم الله الأمين ، بينما توجد مواقف أخرى تحتاج الى شجاعة وجراة ... لكل مقام مقال ، ولكل موقف ظروفه والحق أن لا شىء يفقد الخادم الجرأة سوى ضعف الايمان والتملق والأخذ بالوجوه ... وحينما يتسلح رجل الله بالايمان ويموت عن العالم بما فيه ومن فيه ، واضعا فى قلبه ونصب عينيه التمسك بالحق واعلانه ، فانه حينئذ يكون مستعدا لتحمل كل الضيقات التى تقابله حتى الموت ... **هكذا رأينا ايليا النبى وهو يوبخ آخاب الملك** غير مبال بسطوته وجبروته ، وانتهى الأمر بأن ارتفع ايليا فى مركبة نارية حيا الى السماء ، بينما لحست الكلاب دم آخاب كما قال له ايليا . **وهكذا وقف يوحنا المعمدان أمام هيرودس الملك** موبخا على تعديه الشريعة . وان كان المشهد الأول من تلك المأساة قد انتهى بقطع رأس يوحنا الذى قيم بأكثر من نصف مملكة هيرودس ، لكن المأساة لم تتم فصولا ... فمازال صوت يوحنا يدوى عبر القرون والأجيال موبخا الأثمة ، صارخا فى وجه كل مستبيح ، مرددا على مسمعهم نفس كلماته « **لا يحل لك** » ...

ان جميع الأنبياء والرسل والخدام الأمناء الذين كلفوا بتبليغ رسالات السماء ، كان سندهم الأول الجرأة ، فلم يبالوا بالموت ... هكذا أوصى السيد المسيح تلاميذه « **لا تخافوا** من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها ، بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » (مت ١٠ : ٢٨) . قال الرب قديما لأشعياء النبى « ناد بصوت عال . لا تمسك . ارفع صوتك ببوق واخبر شعبى بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم » (أش ٥٨ : ١) ... وقال لحزقيال النبى « أما

أنت يا ابن آدم فلا تخف منهم ومن كلامهم ... من كلامهم لا تخف ، ومن وجوههم لا ترتعب لأنهم بيت متمرد وتتكلم معهم بكلامى ان سمعوا وان امتنعوا لأنهم متمردون » (حز ٢ : ٦ ، ٧) .

ولولا الجرأة التى تحلى بها الخدام الأمناء فى كل جيل ، لضاع الحق وسط الباطل ، ولتشوه جماله وسط ضلالات العالم وخداعاته ... كم من رسل وخدام استشهدوا **« من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم »** (رؤ ٦ : ٩) . لقد روت دماء هؤلاء وأولئك بذور الايمان فنمت وترعرعت حتى صارت دوحة عظيمة نتآوى الآن نحن فى ظلها ...

ما أروع موقف الثلاثة فتية فى بابل حينما أراد نبوخذنصر الملك اجبارهم على ترك عبادة الله الحى . لقد أجابوه فى جرأة نادرة « يا نبوخذنصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر . **هو ذا يوجد الهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة ، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك . والا فليكن معلوما لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجدلتمثال الذهب الذى نصبته »** (دا ٣ : ١٦ — ١٨) ... أما نتيجة هذا التحدى الظاهر ، فكان القاءهم فى أتون نار محمى سبعة أضعاف . لكن الله كان معهم ، فاستحالت ناره بردا وسلاما عليهم ، وكان ذلك سببا فى تمجيد اسم الله .

اننا نلمس هذه الجرأة فى حياة الرسل وكتاباتهم . فالقديس بولس الرسول حينما حذر من الذهاب الى أورشليم خوفا على حياته من اليهود ، أجابهم فى جرأة « ماذا تفعلون ، تبكون وتكسرون قلبى ، لأنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضا فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع » (أع ٢١ : ١٠ — ١٣) ويقول القديس بطرس **« وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا . بل قدسوا الرب الاله فى قلوبكم »** (١ بط ٣ : ١٤ ، ١٥) .

فعلى الخادم الأمين أن يفصل كلمة الحق باستقامة ، ولا يهاب الوجوه أو يتملقها وأن يكلم مخدوميه بما يلزمهم لا بما يطلبونه ... انها خطية كبيرة أن نكتم الحق رغم علمنا به . وليتأكد الخادم الأمين أن الله معه يسنده ويعضده ، ولا يقع فيما وقع فيه **شاول الملك** حسبما اعترف لصموئيل النبى « أخطأت لأنى تعديت قول الرب ... لأنى **خفت من الشعب** وسمعت لصوتهم » (١ صم ١٥ : ٢٤) . ولذا لا نتعجب ان كان الرب **قد رفضه وأعطى ملكه لداود** الذى كثيرا ما ترنم فى مزاميره بقوة الرب « الرب نورى وخلاصى ممن أخاف . الرب حصن حياتى ممن أرتعب » (مز ٢٧ : ١) ...

ليتأكد الخادم الأمين أن الرب معه ، وليثق فى قوته وعنايته وصدق مواعيده ، طالما يسكن فى ستر العلى ويستريح فى ظل اله السماء ... قال الرب **« لا تخف لأنى معك . لا تتلفت لأنى الهك . قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى »** (أش ٤١ : ١٠) .

القيادة الروحية

القيادة الروحية هبة الهية ينعم بها الرب على انسان يرى فيه استعدادات خاصة نتيجة ايمان عميق وطاعة كاملة وحب قوى وتضحية بكل ما هو مادى وبكل مجد عالمى من أجل الرب « ما كان لى ربحا فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة » (فى ٣ : ٧) .

هى لا تورث . **ولا تأتى كلازمة لمركز اجتماعى خطير** أو **لقب عالمى عريض ... هى لا توافى بالسعى وراء العلم الكاذب ، والزحف نحو الكراسى والمتكآت الأولى ومراكز الصدارة ، بل هى تأتى اذا احتسبنا كل شىء نفاية لكى نربح المسيح** (فى ٣ : ٨) **... وحتى المراكز الدينية القيادية لا تعطى القيادة الروحية لمن يشغلونها أيا كانوا ... بل الأشخاص هم الذين توافيهم القيادة حيثما كانوا ...** حيثما أقام الأسد فهذا هو عرينه ؛ ولكن ان هجر الأسد ذلك المكان ، زالت عن المكان تلك الصفة ...

كان يوسف فى مصر عبدا فى بيت فوطيفار ، لكنه أعطى نعمة فى عينيه وصارت له القيادة فى بيت سيده ، لأنه فى الوقت الذى كان فيه عبدا بالجسد كان حرا بالروح ، فلم يستعبد للخطية . وسجن ظلما ، لكن القيادة تبعته فى السجن أيضا « لان الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه » (تك ٣٩) ... وهكذا حتى وصل الى المنصب التالى لفرعون مصر ، فكانت له القيادة على كل البلاد ...

والقديس بولس الرسول كان فى السفينة أسيرا فى حراسة الجند الرومان فى طريقه الى روما للمحاكمة أمام محكمة قيصر ... اضطرب البحر وتعالت الأمواج ، حتى ارتعب كل من فى السفينة ، وهنا أخذ بولس مكانه الطبيعى كقائد لتلك الجماعة . وقف فى وسطهم وقال « كان ينبغى أيها الرجال أن تذعنوا لى ولا تقلعوا من كريت فتسلموا من هذا الضرر والخسارة . والآن انذركم أن تسروا لأنه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم الا السفينة . لأنه وقف بى هذه الليلة ملاك الاله الذى أنا له والذى أعبده . قائلا لا تخف يا بولس ... هوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك » (أع ٢٧ : ١٤ — ٢٥) .

وموسى الذى اتخذته ابنة فرعون لنفسها ابنا ، وتهذب « بكل حكمة المصريين ، وكان مقتدرا فى الأقوال والأعمال » (أع ٧ : ٢١ ، ٢٢) ، لم يحصل على القيادة الروحية فى أبهاء وردهات قصر فرعون ، بل فى برية

سيناء ، لما « أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون ، مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية ، حاسبا عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر » (عب ١١ : ٢٤ ــ ٢٦) . **وهنا تحلو لنا المقارنة بين موقف موسى قبل أن تعطى له القيادة من الله وموقفه بعدها ، بعد أن ظهر له فى العليقة** ... فى الأولى نرى الغيرة الجسدية والوسائل البشرية . نرى القتل والطمر فى الرمل ، وأخيرا نرى الخوف والفشل ... **أما فى** الثانية فنرى القوة الروحية والهيبة الالهية . نرى اللسان الثقيل يتحدث فى فصاحة وبيان ... نرى الشجاعة والمعجزات ، وأخيرا نرى أول حادثة جلاء منظم فى تاريخ البشرية ... وفى البرية نرى قيادة حكيمة عظيمة ...

وأرميا النبى دعى فى أحرج أوقات الشعب الاسرائيلى ، حيث كانت الرذيلة والآثام والتدين السطحى والعبادة الريائية . لم يكن من السهل لرجل فى مثل هذه الظروف أن يخرج الى حقل كله أشواك ، والى مجتمع فاسد كله عثرات ، وأن يجد تجاوبا لرسالته فى ذلك الوسط الشرير !! دعاه الرب ، وحينما اعتذر شجعه وأعطاه القيادة على شعبه ، ثم مد يده ولمس فمه قائلا له « ها قد جعلت كلامى فى فمك . أنظر قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس » (أر ١ : ٩ ، ١٠) .

وهكذا نرى أن القيادة الروحية لا ننالها بالتلقين فى اجتماعات الخدمة مثلا ، أو بقراءة الكتب ، ومحاولة تقليد القادة فى حركاتهم وأسلوبهم وتصرفاتهم ، ولكن ننالها من الله . هكذا فعل الرب بايليا ويوحنا المعمدان اللذين أرعبا آخاب وهيرودس الملكين ، وهكذا فعل مع صموئيل الصبى الصغير حينما وضع كلمات النبوة فى فمه ، وأقام راعى الغنم الصغير داود ملكا على شعبه ...

ليس عند الله محاباة . فحين هيأ هؤلاء الرجال وغيرهم للقيادة العظيمة ، سبق ورأى فيهم الطاعة الكاملة والايمان العظيم والحب القوى والاستعداد للعمل . **قال الرب ليشوع بعد أن آلت اليه قيادة الشعب خلفا لموسى « اليوم أبتدئ أعظمك فى أعين جميع اسرائيل ، لكى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك »** (يش ٣ : ٧) ...

والقائد الروحى لا يفقد قيادته الروحية نتيجة تقدمه فى السن ، فلا يوجد تقاعد فى القيادة الروحية كما لا توجد شيخوخة فى الحياة الروحية ، الا اذا تخلينا عن محبة الرب وحياة الشركة معه والالتصاق به ...

الاحجام عن الخدمة

تحدثنا قبلاً عن أهميـــة التركيز فى الخـــدمة ، وحملنا على الاندفاع فى الخدمة والاتساع فيها حين لا يقابل هذا الاتساع ، اتساع فى عـــدد الخدام وامكانيات الخـــدمة ... ونود الآن أن نتنـــاول الناحية المقابلة ، الا وهى « الاحجام عن الخدمة » ... وكلاهما يعتبر انحرافا غير سليم . فان احجام بعض ممن توفرت لديهم امكانيات الخدمة ــ روحيا وفكريا وثقافيا ــ يعتبـــر تطرفا غير محمود ... **ونستعرض الآن أسباب الاحجام المختلفة :**

(١) الرغبة فى النمو الروحى :

لا يمكن وضع حد فاصـــل بين الانســـان النامى فى حياته الروحيـــة والانسان غير النامى ، أو بين الشخص المتقدم فى نموه والشخص المتخلف . ذلك لأن النمو هو قرين الحياة الروحية ، وهو امر لا يقف عند حد . فنحن نظل ننمو الى أن تنتهى حياتنا الجسدية . **فالشخص الذى يحجم عن الخدمة الى أن يكتمل نموه الروحى ، مثل هذا الشخص ســـوف لا يخدم أبدا ، لأن النمو ليس له مقياس معين به نستطيع أن ندرك أننا أصبحنا نامين .**

اضف الى هذا أن الانسان كلما تقدم فى حياة الروح ، كلما تكشـــفت أمامه عيوبه واخطاؤه ، وربما شعر أنه أكثر الناس خطأ وشرا . وهكذا نقرأ عن القديسين بنظرهم الى أنفسهم . لكن علينا أن نتقدم لخدمة الرب ــ فى غير ما تجاسر أو تطاول ــ طالما لدينا الاســـتعدادات اللازمة للخدمة ... **ولا يجب بحـــال من الأحوال أن ننسى نمـــونا الروحى اثناء خدمتنـــا ، لأن النمو الروحى للخادم ينمى خدمته . علينا اذن أن نفعل هذه ولا نترك تلك .** فالعبد الكسلان الذى سلمه سيده وزنة وطمرها فى الأرض ، لم يعاقبه سيده لأنه بدد الوزنة ، بل لأنه لم يتاجر بها ويربح (مت ٢٥ ، لو ١٩) ... هكذا نحن ، فطالما قد وهبنا الرب وزنات (مواهب خالصـــة) ، فعلينا أن نتاجر بها ونربح نفوسا للســـيد الرب ، أو بتعبير القـــديس أغسطينوس « نتقدم لخدمة الآخرين بما انعم الله علينا من مواهب روحية » ... ولتأخذنا غيرة رب الجنود على اخوتنا وخلاصهم . لقد تمنى بولس المبشر العظيم أن يكون محروما من المسيح لأجل خدمة أنسبائه حسب الجسد (رو ٩ : ١ ــ ٣) ، والحرمان من المسيح الذى أشار اليه الرسول قصـــد به ــ كما فسر يوحنا ذهبى الفم ــ استعداده للانفصال حينا عن المفاوضة الالهية العذبة مع الرب من أجل نفع اخوته .

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا المقام أن الخدمة ذاتها تعطى نموا وتعزيات الخادم . فالقديس بولس الرسول وصف كلمة الله بأنهـــا « حية وفعـــالة

وامضى من كـل سيف ذى حدين » (عب ٤ : ١٢) ... فما أجمل هـذا التعبير الذى عبر به الرسول عن فاعلية كلمة الله ... فو ان كان السيف ذو الحدين يكنى عن القوة ، لكنه من ناحيـة اخرى يشـير الى فاعليته . هكذا كلمة الله تؤثر فى جهتين ... قائلها (الخادم) ، وسامعها (المخدوم) ... **فلا تظن يا أخى أن الخـادم فى خدمته يعطى ولا يأخذ ، بل انه يأخـذ بقدر ما يعطى** . ويوضح القديس يوحنا ذهبى الفم ذلك حينما يقول « ان المهتمين بخلاص الآخرين ينطبق عليهم قول السيد المسيح : اعطوا تعطوا » ... فبقدر ما تكون أمينا فى خدمتك ، بقدر ما يعطيك الرب تعزيات ... اضف الى هذا أن الخدمة تدفعنا للاهتمام الروحى بأنفسنا .

٢ — الشعور بعدم الاستحقاق :

ليس من ينكر شرف الخدمة وسموها ، وما تتطلبه من استعدادات ، وما يترتب على كل ذلك من مسئوليات أمام الله وأمام ضمائرنا وأمام الكنيسة ... لكننا مع ذلك لا نقر التهيب والخوف ، فنحن لم نأخذ روح العبـودية للخوف بل روح التبنى (رو ٨ : ١٥) ... نحن فى ذواتنا ليس لنا استحقاق لشىء من نعم الله وعطاياه ، لكن لنا كل الاستحقاق فى دم المسيح الفادى ... ان الشعور بالاستحقاق لأى نعمة من نعم الله يحمل فى طياته سقطة الكبرياء نتيجة الشعور بالذات ، أما الشعور بعدم الاستحقاق نتيجة الاتضاع ، فهو عامل فعال فى نجاح الخدمة ، بشرط أن يتنقى من اليـأس والخور ، لأنه فى هذه الحالة يصبح ثمرة الاتضاع ذى البركات الكثيرة ... **فلنميز اذن بين مشـاعر عدم الاسـتحقاق التى تلازم انكار الذات ، وبين مشـاعر عدم الاستحقاق التى تأتى نتيجة صغر النفس** .

بعد معجزة صيد السمك الكثير (لو ٥) ، شـعر سمعان (بطرس) بثقل خطاياه ، وبعدم استحقاقه لحلول الرب فى سفينته ، فصرخ فى اتضاع قائلا للرب يسوع « اخرج من سفينتى يارب **لأنى رجل خاطىء** » ... فكان جواب الرب على تلك المشاعر الطيبة **« لاتخف . من الآن تكون تصـطاد الناس »** . وهكذا نرى أن اسناد الخدمة اليه ، جـاء نتيجة شـعوره بعدم الاستحقاق ... فما اجمل أن نشعر بضعفنا كل حين ، وما اجمل أن نشعر بعدم استحقاقنا لأن نحمل آنية الرب ، ونوصـل كلمة الخلاص للاخرين ، ونرعى الخراف الناطقة التى لراعى الخراف العظيم ... لكن ما أجمل أن يتقابل مع هذا الشـعور ، شعوره بالغيرة على أخوتنا الجالسين فى الظلمة وظلال الموت ، ورغبة فى امتداد ملكوت المسـيح على الأرض ... ولنعلم جيدا أن ليس احد خاليا من دنس او خطية ولو كانت حياته يوما واحدا على الأرض ... **فعلينا أن نسير فى الطريقين فى آن معا : نجاهد فى حياتنا مع الله ، ونجاهد فى خدمتنا للاخرين** ، وكلنا شعور بسـمو الخدمة وشرفها ، وبعدم استحقاقنا للخدمة ، لكن تشـجعنا كلمات الرب لبولس الرسـول « **تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل** » (٢ كو ١٢ : ٩) .

٣ ـ انتظار الدعوة :

هناك أشخاص يحجمون عن الخدمة ـ خاصة خدمة التكريس فى شتى صورها ـ بحجة أنهم لم يتلقوا دعوة واضحة من الله للخدمة . وفى نفس الوقت تكون عبارة الدعوة مبهمة غامضة فى أذهانهم لا يستطيعون أن يحددوا لها معنى . فقد تأخذ هذه الدعوة فى عقول البعض مظهرا فائقا للطبيعة ، أو اعجازيا ، أو اعلانا سماويا خاصا فى رؤيا أو حلم أو صوت سماوى أو ما شابه ذلك .

نحن لا ننكر أنه ربما حدث هذا مع بعض الأشخاص ، لكن ليست هذه هى القاعدة . فليست الطريقة التى يعلن بها الله لشخص ما عن موافقته على أمر معين ـ يصلى هو لأجله ـ قاصرة على الملائكة والرؤى والأحلام ... ولكن توجد طرق كثيرة نعرف بها ارادة الله . **قال معلمنا بولس « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة** ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » (عب ١ : ١ ، ٢) . **فالله له طرق كثيرة يكلمنا بها** . انه لا يكلمك بالطريقة التى يكلمنى بها ، ولا يعلن لى ارادته فى أمر ما بالطريقة التى يعلن بها ارادته لشخص آخر ... فهناك أشخاص ـ بحكم قامتهم الروحية ـ لا يحتملون الرؤى ولا نظر الملائكة . كما أن الشيطان اذا وجد انسانا مؤمنا بهذه الطريقة ، ربما يستخدمها وسيلة لخداعه وضلاله .

أما القاعدة فهى أننا حينما يعرض لنا أمر ما ، ونشعر برغبة فى اتمامه ، نصلى لأجله ، وقد نشرك آخرين معنا فى الصلاة ، وقد نقيم القداسات ، وبعد ذلك اذا استمر الفكر ملحا علينا فى اتمامه . واذا شعرنا براحة نحوه واستمر الارتياح ثابتا ، كان هذا دليلا على موافقة الرب على هذا الأمر ، بحيث لايكون متعارضا مع وصية الهية أو تعليم من تعاليم الكنيسة . وحينما نتكلم عن الصلاة والارتياح ، علينا أن نفهم أن عامل الزمن يجب أن يستوفى حده . فلا نصلى يوما أو يومين وبعد ذلك نقول اننا صلينا ، بل يجب ـ خاصة فى الأمور الهامة كالتكريس مثلا ـ أن نصلى ولا نمل اللجاجة فترة طويلة نوعا ما . كما يحتاج الأمر أيضا الى عدم الاعتماد على مجرد الفكر الخاص ، وانما يجب استشارة أشخاص روحيين موثوق بتعليمهم السليم ومشورتهم الأمينة ...

ونريد فى هذا المقام أن نوضح أمرا هاما ، وهو أننا جميعا مدعوون للخدمة ، والأمر لا يحتاج الى أمر خارج عن الطبيعة والمألوف ليثبت لنا ماهو واجب أن يكون ... والناس صنفان ... البعض يرغبون فى الخدمة ، وآخرون يرغمون عليها . ونحن نرى ذلك بوضوح فى حياة اثنين من الأنبياء . فمثلا اشعيا حينما سمع صوت الرب قائلا « من أرسل ومن يذهب من أجلنا »؟

أجاب للفور « ها أنذا أرسلنى » (أش ٦ : ٨) . أما أرميا فقد أرغم على أن يذهب بعد أن قال فى اتضاع « آه يا سيد الرب انى لا أعرف أن اتكلم لأنى ولد » (أر ١ : ٦) ...

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا المقام أن فكرة الدعوة يستتر خلفها فى بعض الأحيان شهوة معينة ... فالزواج والوظيفة والسفر للخارج للحصول على اجازات علمية مثلا ... هذه كلها وغيرها ، نفعلها دون طلب دعوة الهية أو معرفة رأى الله فيها !! أما فى خدمة الله وحياة التكريس على وجه الخصوص ، فنحن نطلب برهانا قويا واضحا على صدق هذه الدعوة ... والأمر واضح ، أننا فى الحالة الأولى لا نتمسك بشرط الدعوة ، لأننا انما نتمم شهوة محببة الى نفوسنا !!

٤ ــ المعطلات العائلية :

قد تكون العائلة معطلا من معطلات الخدمة ، وسببا من أسباب الاحجام عنها . ولا عجب فى ذلك ، وقديما قال الرب يسوع « أعداء الانسان أهل بيته » (مت ١٠ : ٣٦) ... **ونشير هنا الى عاملين مرتبطين بالأسرة هما الزواج والوالدون .**

من العجيب حقا أن يصبح الزواج معطلا من معطلات الخدمة . ونحن لا نحمل على الزواج ، فالزواج أمر مشروع قدسه الله وباركه ، لكننا نتكلم عن الزواج الذى يخرج الخادم عن نطاق الخدمة . وليس العيب فى الزواج بطبيعة الحال ، بل فى الخادم الذى غير مجرى حياته نتيجة هذا الزواج ... مفروض أن يصبح الزواج بركة للخادم وعونا له فى خدمته ... معه يأخذ مسئوليات جديدة فى محيط الخدمة ، لا أن يصبح مؤهلا شرعيا للتقاعد عن الخدمة ...

فالزوجة يمكن أن تكون بركة عظيمة للخادم فى خدمته . الا تعرف بأنها شريكة الحياة بالنسبة للزوج ، فلماذا لا تشترك مع الزوج فى خدمته ؟! لو كانت بطبيعتها خادمة ، لأمكنها مساعدته فى الحقل الذى يناسبها : اما فى الخدمة التعليمية والارشادية بين الشابات والنساء عامة ، ان كانت لها موهبة الكلام ، واما فى الخدمة الاجتماعية كافتقاد الأرامل والفقراء ، والعمل بينهن ، أو بواسطة العمل اليدوى كاعداد ملابس للفقراء أو ما شابه ذلك ... ويكفى الزواج بركة أن تؤمن الزوجة برسالة الخدمة ، فتعاون زوجها فى تحمل أعباء الحياة والخدمة . من أجل هذا ، يحسن بالخدام المقبلين على الزواج أن يختاروا زوجاتهم ممن تتوفر لديهن ميول الخدمة ، وبذا يصبح الزواج منشطا لا معطلا ...

أما الوالدون ، فنحن نحبهم بالفطرة وبموجب وصايا الرب المقدسة . نحيا معهم فى طاعة وخضوع ، لكن ان تعرضت محبتنا لهم مع محبتنا لله ، فيجب أن نسير فى طريق محبة الله ، لأنه حسب قول الرب يسوع نفسه **« من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى »** (مت ١٠ : ٣٧) ... وقوله ايضا لأمه العذراء مريم ، حينما وجدته فى الهيكل جالسا وسط المعلمين **« ينبغى ان اكون فيما لأبى »** (لو ٢ : ٤٩) ... **وان تعارضت طاعتنا مع طاعتنا لله ، فطاعتنا لله أوجب ، لأنه « ينبغى ان يطاع الله اكثر من الناس »** (أع ٥ : ٢٩) . وليس معنى هذا أن التفاهم يستحيل مع الوالدين ، أو أن التوفيق فى أمثال هذه الأمور يغدو مستعصيا . فكل شىء عن طريق المحبة والصلاة يمكن ان يحل ... وكم من حالات كان الوالدون فيها يعارضون الخدمة والتكريس ، ولكن لما رأوا ثبات أبنائهم واتزانهم فى التوفيق بين مسئولياتهم الخاصة والخدمة ، حينئذ كرموا الخدمة وشجعوا عليها .

٥ ــ مشاكل الخدمة :

طبيعة خدمة الله أن فيها متاعب ومصاعب وضيقات ومشاكل ... انها نوع من انواع ضيق الباب الذى وضع على كافة المؤمنين أن يرحبوا به لانه يوصل الى السعة والحرية الروحية ... هذا مايجب أن نسلم به .

فحينما إرسل السيد المسيح تلاميذه ، أرسلهم «مثل حملان بين ذئاب» (لو ١٠ : ٣) ... هذا هو التصوير الدقيق للخادم ولحقل الخدمة ... حملان بين ذئاب ... انه منظر فريد من نوعه ، أن نرى الحملان بين الذئاب **موضوعة لخدمتها ، محتفظة بوداعتها ، دون أن يكون للذئاب قدرة على ابادتها !!**

ومنذ ذلك الوقت ، وطد الخدام الأمناء عزمهم ، وبنوا خدمتهم على هذا الأساس . فالرسول بولس يقول « فانى أرى أن الله أبرزنا نحن الرسل آخرين كأننا محكوم علينا بالموت ... نحن جهال من أجل المسيح ، وأما أنتم فحكماء فى المسيح . نحن ضعفاء وأما أنتم فأقوياء . أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة . الى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلكم وليس لنا اقامة ، ونتعب عاملين بأيدينا . نشتم فنبارك ، نضطهد فنحتمل ، يفترى علينا فنعظ . صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شىء » (١ كو ٤ : ٩ ــ ١٣) . وعاد الرسول وعدد أمثال هذه الضيقات فى (٢ كو ١٢) ... فالخادم الأمين اذن ، هو من يحمل سلاح الجندية الروحى محتملا المشقات ، عاملا على تقويض مملكة ابليس (٢ تى ٢ : ٣) ... **اذا فهمنا كل هذا ، أدركنا ان كثيرا من مشاكل الخدمة ، سببه ابليس الذى يعمل جاهدا على عرقلة انتشار ملكوت الله على الأرض ، يعاونه جماعة من الأشرار من فاعلى ارادته ...**

والمشاكل التى تعترض طريق الخدمة، اما منجهة المال ، أو اشخاص مقاومين ، أو منجهة المخدومين أنفسهم أو من جهة اضطهاد خارجى ، أو انقسام داخلى، أو من جهة طبيعةالعمل وصعوبته ... وقد تناولنا بعض هذه النقاط فى ثنايا حديثنا عن بعض المسائل المتصلة بالخدمة ، ونود الآن أن نتحدث عن المشاكل الآتية :ــ

ــ المال :

قد تؤلف المادة مشكلا هاما من المشاكل التى تعترض الخدام فى محيط الخدمة ، وتسبب للبعض احجاما عن المضى فيها ... ومشكلة المال فىالخدمة تنقسم الى شقين : احتياجات الخادم الشخصية ، واحتياجات الخدمة عامة

والحق أن المادة لم تقف فى يوم من الأيام فى وجه الخادم الأمين كعائق يعوق طريق تكريسه من جهة احتياجاته الشخصية ... فحينما نقرأ اقوال الرب يسوع الواردة فى (مت ٦ : ١٩ ــ ٣٤) ، نقرأ عن تأكيداته باعطائنا كل ما نحتاجه ... ان الرب يريدنا أن نثق فى أبينا السماوى ثقة كاملة كما يثق الطفل فى أبيه . فعلى الخادم ان يتحرر من الهم والاضطراب سواء كان مسئولا عن نفسه فقط أو مسئولا عن أسرة أو مسئولا عن شعب ... **يستحيل أن يجتمع الايمان والهم والاضطراب فى قلب واحد كما يستحيل اجتماع الماء والنار أو النور والظلام** ... وحينما يثق المؤمن بالرب يسوع ويصدق مواعيده ، يستطيع أن يسير معه على اليم ويهتف هتاف النصرة ازاء كل المخاوف والصعاب ...

ان الرب يسوع لايرسل الخادم الىالخدمة متكفلا باحتياجاته الشخصية لأنه لا يتجند أحد قط بنفقة نفسه (١ كو ٩ : ٧) ، بل كما يقول الرسول « فيملأ الهى كل احتياجاتكم بحسب غناه فى المجد فى المسيح يسوع » (فى ٤ : ١٩) ، وهو حينما أرسل تلاميذه فى الارساليات التمهيدية ، **أوصاهم الا يحملوا** كيسا ولا مزودا (لو ١٠ : ٤) . ونحن نتساءل فى عجب : الله الذى يهتم بالعصافير وطيور السماء التى لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، الا يهتم بخدامه ؟! « أعين الكل اياك تترجى وأنت تعطيهم طعامهم فى حينه . تفتح يدك فتشبع كل حى رضى » (مز ١٤٥ : ١٥ ، ١٦) ..

لقد تكلمنا سابقا عن التجرد كفضيلة يجب أن يتحلى بها الخادم ... **والخادم الذى يضحى بمستوى معين فى المعيشة من أجل الخدمة ، لابد وان يعوضه الرب أضعافا مضاعفة ، ليس بامور مادية بل ببركات روحية** ... « كفقراء ونحن نغنى كثيرين ، كأن لا شىء لنا ونحن نملك كل شىء » (٢ كو ٦ : ١٠) ، متشبهين بالرب يسوع الذى افتقر وهو غنى من أجلنا لكى نستغنى نحن بفقره (٢ كو ٨ : ٩) ...

لقد امتدح الرب مسلك خادم كنيسة سميرنا من هذه الناحية قائلا « أنا أعرف أعمالك وضيقتك وفقرك مع أنك غنى » (رؤ ٢ : ٩) . هذا الكلام ينطبق الى حد كبير على الخدام المكرسين ... لكى هناك زاوية أخرى من زوايا المال كمعطل للخدمة ، تخص الخدام المتطوعين . فهم يحجمون عن الخدمة بسبب الرغبة فى الحصول على المال لزيادة دخلهم وذلك بالقيام بأعمال اضافية تستنفذ كل وقتهم وجهدهم . ولا شك أن لهذا أثره السىء على الخدمة

ورب سائل يقول فى عجب : وهل فى الارتفاع بمستوى المعيشة خطية، وأعباء الحياة كثيرة وثقيلة ؟! **ونحن نقدر كل هذا وغيره ، ولكن علينا أن نفهم رسالة الخادم وشخصيته ... فالخادم انسان يجد لذته فى الله وفى توصيل رسالته المقدسة لأشخاص آخرين ، بينما غيره من الناس يجدون لذتهم فى أمور أخرى حتى لو كانت طيبة** . ان كان الرب قد قال عن ذاته قديما « ولذاتى مع بنى آدم » (أم ٨ : ٣١) ، فهذا عينه هو شعور الخادم ... لذاته مع خليقة الله ...

سبق أن تناولنا هذه النقطة ونحن نتحدث عن التجرد كعامل من عوامل القوة فى حياة الخادم . ونود أن نضيف هنا ، **أن الخادم شخص يجب أن يؤمن ببركات الرب لمن يخدمه بأمانة : بركات روحية ومادية ، بركات فى الصحة . وبركات فى كل ما تمتد اليه اليد** . هل ننسى ذلك ؟ وهل ننسى قول الرب « أعملوا تعطوا » ؟! **فالخادم اذن شخص له تعويض من نواحى أخرى غير النواحى المادية التى يتكالب عليها أهل العالم** ... فحفظ الله له ، ورعايته اياه ونعمة الصحة التى ينعم بها عليه ، وبركات السعادة والسلام الداخلى، هذه كلها أمور لا تقدر بأموال فضلا عن أنها توفر نفقات كثيرة يستلزمها ويستنفذها الانهماك والسعى وراء المادة ...

أما عن احتياجات الخدمة ذاتها بما فيها المخدومين ، فالمال فى حد ذاته وسيلة لا غاية . وسيلة نقضى بها حوائج الخدمة ... لم يحدث أن الكنيسة فى زمان قوتها سعت الى المادة سدا لاحتياجاتها ... فنقرأ مثلا عن كنيسة الرسل ، أن المؤمنين كانوا يبيعون ممتلكاتهم ، ويأتون بأثمانها « ويضعونها عند أرجل الرسل » (أع ٤ : ٣٢ — ٣٥) ... لقد حدث ذلك بدافع روحى خالص حينما « كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن أحد يقول ان شيئا من أمواله له ، بل كان عندهم كل شىء مشتركا » **... ما أروع تلك العبارة التى سطرها كاتب سفر الأعمال والتى تدل على نظرة الكنيسة الأولى للمال والمادة ... لقد كانت أثمان المبيعات توضع « عند أرجل الرسل » ... هذه هى قيمة المال فى نظر الخادم الأمين ... دائما تحت قدميه ... هو يستخدم المال دون أن يستخدمه المال ..**

كم من خدام ينسون حياة التجرد ، ولا يريدون أن يحيوا حياة الكفاف ... كم من خادم طمع فى ربح قبيح ، وسعى وراء المادة ، فأذلته واستعبدته ، وكانت فى النهاية علة هلاكه ... كم من خادم خلع ثياب النعمة وارتدى الثياب الفريسية فأخذ يأكل بيوت الأرامل ولعلة يطيل الصلوات ... كم من خدام فقدوا روح القناعة والاكتفاء وظهروا جشعين شرهين الى المادة ، فكان ذلك سببا فى احتقار مخدوميهم لهم لأنهم حادوا عن رسالتهم ..

نعود فنقول ان الأموال دائما عند اقدام الخدام الأمناء ... ويجب ان تظل دائما فى هذا المكان ... هم لا يسعون اليها ، انما هى تسعى اليهم ، حينما يشعر المخدومون أنها ستستخدم استخداما صالحا لمجد الله ولسد اعواز المحتاجين .

حينما كانت الكنيسة فقيرة فى أموالها ومواردها كانت غنية بايمانها ورجالها ... **وحينما زادت مواردها المادية فقدت مقومات روحانيتها ككنيسة المسيح** ... ان انسى لا أنسى ما سجله التاريخ من حديث دار بين أحد (باباوات) روما وراهب من رهبان الغرب ... لقد صحب البابا الراهب الفقير ، وفيما كان يطلعه على ما فى خزائن الفاتيكان من كنوز ومجوهرات قال « لقد مضى الوقت الذى كانت تقول فيه الكنيسة ليس لى ذهب ولا فضة (١) » فكان جواب الراهب « وأيضا قد مضى الوقت الذى كانت تقول فيه الكنيسة للمقعد باسم يسوع الناصرى قم وامش فيقوم ويمشى » ...

هناك مشاريع كثيرة لازمة ونافعة تدور برأس الخادم ، لكن عليه أن يلجأ أولا وقبل كل شىء لله ــ صاحب الكرم ــ ليدبر ما يحلو فى عينيه . ولا شك أنه سيفعل ما هو لخير كنيسته وشعبه فى الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة ... **اننا لسنا فى حاجة الى المال بقدر حاجتنا الى الايمان** ...

ب ــ الأشخاص المقاومون :

قد تشتد المقاومات فى حقل الخدمة من بعض الأشخاص . وهذه الحالة ليست جديدة أو مستغربة « فللرب حرب مع عماليق من دور الى دور » (خر ١٧ : ١٦) . وعماليق رمز للشيطان الذى يجمع له أتباعا فى كل زمان يحارب بهم عمل الله ...

ونحن نقرأ فى العهد الجديد عن كثيرين ممن قاوموا الحق وجعلوا من أنفسهم مطية ذليلة لابليس ، وبوقا يذيع به الأضاليل والافتراءات سواء

---

(١) مشيرا الى حديث بطرس الرسول الى المقعد من بطن أمه عند باب الهيكل الجميل (أع ٣) .

عن الله او عن خدامه ... **فقد قاوم عليم الساحر بولس وبرنابا فى قبرص ، وأراد أن يفسد الوالى سرجيوس بولس عن الايمان** (أع ١٣) . **واسكندر الحداد** أظهر لبولس شرورا كثيرة وقاوم أقواله جدا (٢تى٤: ١٤،١٥) ... والقديس بولس فى اظهاره لقانونية رسوليته الى كنيسة كورنثوس أخذ يعدد أتعابه فى خدمة الكلمة ، ومن ضمن هذه الأتعاب ، **الأخطار التى لاقاها من الأخوة الكذبة** (٢ كو ١١ : ٢٦) . وفى حديثه الى الغلاطيين تكلم ايضا عن **الأخوة الكذبة** « الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا » (غل ٢ : ٤) ... وكتب الى الكورنثيين يقول لهم « ولكنى أمكث فى أفسس الى يوم الخمسين ، لأنه قد انفتح لى باب عظيم فعال **ويوجد معاندون كثيرون »** (١ كو ١٦ : ٨ ، ٩) . وحينما تناول بالحديث ما سيحدث فى الأيام الأخيرة ، وانبأنا باتيان أزمنة صعبة ، ذكر من ضمن مظاهرها وجود أشخاص مقاومين ، قال « كما قاوم ينيس ويمبريس موسى ، كذلك هؤلاء أيضا يقاومون الحق . أناس فاسدة اذهانهم ومن جهة الايمان مرفوضون . لكنهم لا يتقدمون أكثر » (٢ تى ٣ : ١ ــ ٩) .

ان ظهور أشخاص مقاومين لعمل الله ، يعتبر فى حد ذاته دليلا على نجاح الخدمة التى تقاوم . فابليس لا يتجرد للحرب الا حينما يحس بخطر يهدد كيانه ... فليوطد الخادم الأمين عزمه على ذلك . وقديما قال يشوع ابن سيراخ ناصحا **« يا بنى اذا تقدمت لخدمة الرب ، أعدد نفسك للتجربة »** (سى ٢ : ١) .

وليس بالضرورة أن يكون جميع مقاومى الخدمة من الخارجين عنها . فقد تقابل الخدمة صعوبات ومقاومات من العاملين داخل محيط الخدمة ــ وما أكثر ما يحدث ذلك . وقد تكون هذه المقاومات أكثر عنفا واشد خطرا على الخدمة من مقاومات الخارجين ... والسيد المسيح نفسه حين قووم ، لم يقاوم من أشخاص خارجين ، بل من أدعياء الدين ، من الكتبة والفريسيين!

رأينا آنفا كيف أن الرسول بولس تحدث فى أكثر من موضع من رسائله عن « الأخوة الكذبة » ، والاخطار التى لاقاها منهم . فما أنسب هذه التسمية التى خلعها عليهم الرسول . انهم أخوة ... لهم كل مظاهر الأخوة من الخارج ، لكن للاسف كانوا أخوة كذبة . وقد قال عنهم الرسول « لأن مثل هؤلاء رسل كذبة ، فعلة ماكرون ، مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح ، ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور . فليس عظيما ان كان خدامه أيضا يغيرون شكلهم كخدام للبر : الذين نهايتهم تكون حسب اعمالهم » (٢ كو ١١ : ١٢ ــ ١٥) !!

علينا الا ننسى هذه الحقائق حتى لا نفشل سريعا ... **علينا ان نتعزى**

بكلمات الرسول التى ذكرناها آنفا عن المقاومين « **لكنهم لا يتقــدمون اكثر** » (٢ تى ٣ : ٩) ... ان كانوا يظهرون وقتا ما ويحدثوا شقاقات ، وربمـا يأتى الوقت الــذى يظن فيــه أنهم قــد انتصروا وملكوا زمام الموقف ، لكن الرسول يطمئنا بقوله « لكنهم لا يتقدمون أكثر » ... **قــد يضــيق مجرى النهر جدا فى جزء من أجزائه بسبب مروره بمنطقة صخرية صلبة ، لكن ما أن يتخلص من ذلك الجزء حتى يندفع بقوة ووفرة . وقد تعترض الخدمة بعض الصعوبات ، وقد يضيق نطاق العمل ، لكن لنصبر ، فلابد لتلك الصعوبات من نهاية ، وحينما تنتهى ، ستكون الانطلاقة قوية رائعة ...**

لا يمكن أن يتخلى الخدام الأمناء عن الخدمة من أجل كثرة الصعوبات التى تكتنفها ، فلو فعلوا ذلك لما وصلت الينا رسالة المسيح . قال القديس بولس عن الأخوة الكذبة « الذين لم نذعن لهم بالخضــــوع ولا ســـاعة ، ليبقى عندكم حق الانجيل » (غل ٢ : ٥) ... لقد تكالبت وتضـــافرت على المسيحية قوى الشر من كل جانب ، لكن لم ينطفىء مشعل الهداية ، ولميخمد صوت الحق ، وظلت الكنيسة فى صراعها تســير بخطى وئيدة لكنهـا ثابتة كأنها طفل يحبو على الشوك قرابة ثلاثة قرون من الزمان ... تبادل خلالها كثيرون حمــل المشــعل ، حتى خرجت من كــل ذلك الجهـــاد ظـــافرة منتصرة... من أجل هذا يتشبثالخدام الأمناء بالخدمة، شاعرين بمسئوليتهم فى اتمام رسالة من سبقهم ، غير تاركين ميــدان الخدمة لابليس واعــوانه يسرحون ويمرحون كما يشاءون ، بل متذكرين وصــية الرســول لتلميــذه تيموثاوس « أما انت فأصح فى كل شيء احتمل المشقات . اعمل عمل المبشر . **تمم خدمتك** (٢ تى ٤ : ٥) ... **يعزينا فى كل هذا وعد الرب ليسوع بعــد أن آلت اليه الخدمة والقيادة « تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب الهك معك حيثما تذهب »** (يش ١ : ٩) .

جـ ـــ المخدومون :

ويؤلف المخدومون سببا آخر من أسباب احجام الخدام عن الخدمة .. فهناك حقول تصعب فيها الخدمة جدا ، لا يلمس الخـــادم تجاوبا بينه وبين المخدومين .. فتور شامل .. عدم اكتراث .. ربما لا يلمس تقــدما روحيا بعد وقت من الخدمة ... والسيد المسيح نفسه لما اخذ يعلم فى الناصرة كان الناس يعثرون به « فلم يصــنع هنـــاك قوات كثيرة لعـــدم ايمـــانهم » (مت ١٣ : ٥٨) .

لا نزاع فى تنوع المخدومين من جهة مدى استعدادهم لاســتماع وتقبل كلمة الله ... ما اشبه النفوس بالتربة الزراعية ... لقد أوضح الســيد المسيح ذلك فى مثل الزارع ... فكما توجد أرض جيــدة تعطى ثمرا ثلاثين وستين ومائة ، فانه توجد أرض محجرة وأرض مليئة بالأشواك تخنق الزرع

حالما ينبت ... وحتى بالنسبة للنفوس الطيبة المشبهة بالأرض الجيدة فانها تحتاج الى وقت . قال الرب يسوع « والذى فى الأرض الجيدة هو الـذين يسمعون الكلمة فيحفظونها فى قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر » (لو٨:١٥) ... اننـا محتاجون الى وقفـة تأملية طويلة عند هـذه الكلمات الأخيـرة **« ويثمرون بالصبر »** ، رغم أن الأرض جيدة ، والقلب جيد صالح بشـهادة الرب !!

حينما تهمل الأرض الزراعية مددا مسـتطيلة تتحول الى أرض بور ، تحتاج فى اصلاحها الى جهد وعناية كبيرين ... وحينما تهمل النفوس ايضا مددا طويلة تقفر من الصلاح وينبت الشوك فيها ، ومن ثم تحتاج الى وقت وجهد وصبر وعناية حتى تأتى بالثمر المطلوب ...

اننا لا نشك مطلقا أن كل النفوس اذا تعهدناها لابد وأن تصلح ، وان تفاوتت المدة التى تعطى بعدها ثمرا ، وفى كمية هذا الثمر . فكل النفـوس مخلوقة على صورة الله ومثاله ، وبتعبير بولس الرسـول **« كل خليقة الله جيدة »** (١ تى ٤ : ٤) . **لقد حدث أن اليهـود فى مدينة كورنثوس قاوموا بولس جدا « فنفض ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسـكم . أنا برىء . من الآن أذهب الى الامم » . لكن الرب ظهر فى رؤيا لبولس ليـلا وقـال لـه « لا تخف بل تكلم ولا تسكت ، لأنى أنا معك ولا يقع بك أحد ليـؤذيك لأن لى شعبا كثيرا فى هذه المدينة . فأقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم بكلمة الله»** (أع ١٨ : ٦ ــ ١١) .

هذا عن طبيعة المخدومين وتفاوت استعدادهم لتقبل كلمة الله . **وهناك صفة أخرى فى المخدومين عموما ، وهى كثرة وسرعة تقلبهم** . لقـد هتفت الجموع **للرب يسوع يوم دخوله أورشليم هتافات النصر، واستقبلته استقبال الغزاة الفاتحين** ... لكنها بعد خمسـة أيام أدارت ظهورها ونكصت على أعقابها ، وكانت نفس الحناجر تردد هتافا واحدا **« اصلبه اصـلبه . دمه علينا وعلى أولادنا »** ... **وفى مدينة استرة** شفى بولس الرسول مقعدا من بطن أمه... وكانت معجزة عظيمة جعلت الناس يقولون «ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا الينا » حتى أنهم دعوا برنابا زفس وبولس هرمس ... وبلغ بهم الحماس أن كاهن زفس أتى بثيران وأراد أن يضحى لهما ، وبالجهـد استطاع الرسولان أن يمنعا ذلك ... **ولكن سرعان ما تغيرت المشـاعر ، وهاج الجمع على بولس ورجموه ثم جروه خارج المدينة ظانين انه قـد مات** (أع ١٤) . **هذه هى شيمة الناس دائما** . وقد اعترضت القديس بولس هذه العقبة فكتب الى مؤمنى غلاطيـة معاتبا **« انى أتعجب أنكم تنتقلون هـكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ... »** (غل ١ : ٦) .

اذا فليمض الخادم الأمين فى طريقه ، واضعا كل هذه الاعتبارات نصب عينيه ، شاعرا أنه ليس أفضل من معلمه ، الذى واجه نفس الصعوبات ، غير متطلب ثمرا سريعا ، فالبذار بعد بذرها — وحتى تأتى بثمر — تحتاج الى رى وعناية مستمرة ووقت ... يتفاوت من نبات الى نبات ... وفى كل ذلك ، الله وحده هو الذى ينمى ...

لكن دعنى أهمس فى اذنك أيها الخادم العزيز ... لو كان لك ايمان قوى بالرب وبقوته لتبدل الحال وتغيرت الخدمة ، ولازداد الثمر ... ففى معجزة شفاء المفلوج الذى حمله أربعة ، « لما رأى يسوع ايمانهم » شفاه (مر ٢ : ٥) ... ان الله حينما يرى ايماننا وحبنا لخدمة الآخرين لابد وأن يستجيب ويعمل ...

الجميع مدعوون للخدمة

ليست الخدمة فى مفهومها العام قاصرة على التعليم وما يتصل به ، بل يجب أن يتسع نطاق مفهومها فى أذهاننا . الخدمة قرينة المحبة ... هما صنوان لا يفترقان . فحيثما وجدت المحبة . فلابد وأن تظهر معها الخدمة ، وحيثما الخدمة الأصيلة الناجحة ، هناك المحبة المتأججة والغيرة المتقدة ...

ان الوصية الأولى والعظمى فى المسيحية هى المحبة ... محبة الله ومحبة القريب .. بهذه — كما قال رب المجد — « يتعلق الناموس كله والأنبياء » (مت ٢٢ : ٤٠) . اذا كنت عضوا حيا فى جسد المسيح ، فلابد وأن تشعر بكل عضو متألم فى هذا الجسد ، وان أحسست بالأعضاء المتألمة فلابد وأن تقودك المحبة الى عمل شىء لتخفيف الألم .. وهذه هى الخدمة .. أما اذا لم تحس باحتياج الأعضاء المتألمة ، فاعلم انك لست عضوا حيا فى المسيح .

ليست الخدمة قاصرة على الوعظ والتعليم ، بل تتعداهما الى أمور اخرى كثيرة ... فحينما تكلم الآخرين عن الله من فوق المنبر فأنت تخدم ، وحينما لا تكون لك موهبة ارتقاء المنبر ، وتحدثت الى الآخرين عن الله فى أحاديث فردية فأنت تخدم .. حينما تعود مريضا وتشجعه وتبعث فيه الأمل والايمان وتنهض عزيمته وتقوى رجاءه فى الله ليتصل به ويطلبه فأنت تخدم حينما تواسى حزينا أو متضايقا فأنت تخدم . حينما تقود انسانا الى الكنيسة أو الى اجتماع روحى فأنت تخدم . حينما تمد يد المساعدة لمحتاج ، حينما تسعف ملهوفا ، حينما ترد انسانا عن طريق ضلاله بطريقة أو بأخرى .. فى هذه

وكثير غيرها أنت تخدم .. اذن ، أمامنا فرص كثيرة نخدم بها الرب ونظهر مشاعر حبنا له ...

فى معجزة شفاء المفلوج الذى حمله أربعة ودلوه من سقف البيت ، تقابلنا نقاط كثيرة ، يحلو لنا أن نقف عندها (من ٢ : ٣ — ٥) ..

اننا أمام فرقة انقاذ ، لعلها الأولى من نوعها . ونستطيع أن نقطع أن هؤلاء الأربعة لم يكونوا مأجورين ، بل من الأصدقاء الحميمين . فلا يمكن أن يكونوا قد حملوه من بيته بالصورة التى دلوه بها من سقف البيت .. لكن أغلب الظن أنهم حينما فشلوا فى الوصول الى يسوع من كثرة الجمع ، قادهم حبهم الى هذه الوسيلة « كشفوا السقف .. وبعدها نقبوه دلوا السرير الذى كان المفلوج مضطجعا عليه » .. نلاحظ أيضا أنهم لم يتكلموا مع الرب ولم يقولوا له شيئا . كل ما فعلوه أنهم أحضروا صديقهم المريض أمام واهب الحياة ومانح الشفاء .. أمر آخر اتصف به أولئك الأصدقاء ، وكشفه الرب ... « ايمانهم » . هذا فضلا عن استماتتهم فى الوصول الى هدفهم .

الا نستطيع أن نتشبه بهؤلاء الأربعة ؟ ألا نستطيع أن نحمل نفسا قد ايبسه الخطية اعضاءها ونحضرها أمام الرب ؟! ان الخطية تأتى معهابالبؤس والشقاء ، وقلما يوجد انسان يحب البؤس ويريد أن يبقى شقيا .. **كثيرون محتاجون الى من يحملهم الى يسوع ، ولسان حالهم كلمات مريض بيت حسدا حينما سأله الرب « أتريد أن تبرأ » فكان جوابه « ليس لى انسان »** (يو ٥) ..

قد يكون كثيرون من مرضى الروح يعرفون شيئا عن يسوع وقوته ورحمته ، وعمل نعمته ، لكنهم « أموات بالذنوب والخطايا » .. والميت لا يستطيع الحركة ، ولا يملك مجرد الارادة .. كثيرون فى حالة شقاء بسبب بعدهم عن الرب ، وهم فى أمس الحاجة الى من يوقظهم من غفلة الخطية وسكرة اللذة « استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح » (أف ٥ : ١٤) .. ايمكن لنائم أن يسعي أو يعمل شيئا ؟ هذا هو الانسان الخاطىء .. ان أمثال هؤلاء محتاجون الى شىء واحد .. أن نحضرهم أمام الرب .. **لقد كانت رسالة عجيبة تلك التى بعثت بها مريم ومرثا أختا لعازر للرب** « يا سيد هوذا الذى تحبه مريض » (يو ١١ : ٣) .. لم تطلبا منه طلبا محددا . لم تعبرا له عن حبهما لأخيهما ولهفتهما لشفائه . فهما تعلمان أن محبة الرب لعازر تفوق حبهما ..

والآن أيها الأخ العزيز كم من مريض بالروح تعرفه ؟ الا تستطيع أن ترسل للرب رسالة على نحو ما فعلت الأختان ؟ الا تستطيع أن تصلى وتقول

له « يارب هوذا فلان الذى أنت تحبه ومت عنه مريض .. هوذا فلان الذى تحبه مقيد بقيود الخطية وقد اقتنصـــه ابليس لارادته » ؟! الا تســـتطيع أن تفعل ذلك ؟!

أى قلب هذا الذى يدعى المحبة ويرى انسانا محتاجا ولا يعمل لأجـــله شيئا !! ان مثل هذا الانسان يتساءل عنه الرسول متعجبا « كيف تثبت محبة الله فيه » (١ يو ٣ : ١٧) !!

من أورشليم الى أقصى الأرض

كانت وصية الرب يسوع لتلاميذه قبيل صعوده ، الا يبرحوا أورشليم بقصد الخدمة ، الا بعد التزود بقوة الله بحلول الروح القـــدس عليهـــم . وطالبهم بالشهادة لاسمه فى أورشليم وكل اليهودية والسامرة وأقصى الأرض (أع ١ : ٤ — ٨) ..

هذه الكلمات هى آخر وصايا الرب يســـوع لتلاميذه ، قالها لهم قبيل أن تأخذه سحابة عن أعينهم ، صاعدا الى الســـماء ... **ويحلو لنا الوقوف عند هذه الكلمات الأخيرة التى فاه بها رب المجد ، لأنها تحدد لنا مبادىء فى الخدمة ،بالغة الأهمية ...** فلم يكن كلام رب المجد اعتباطا حين حـــدد لهم معالم طريق الخدمة ، ورسم لهم خطواتهم المقبلة التى تتلخص فى — البقـــاء فى أورشليم منتظرين حلول الروح القدس عليهم ... وبعد ذلك الانطـــلاق للخدمة ، لكن بنظام خاص : **اولا فى أورشليم ... ثم اليهودية ، وبعد ذلك السامرة ، الى أن يصلوا ببشرى الخلاص الى أقصى الأرض ...**

اولا — أورشـــليم :

لقد أوصى الرب تلاميذه ان لا يبرحوا أورشليم ... وأيضا أن يشهدوا له فيها ... **فما هى أورشليم هذه ، تلك التى يطالبنى الرب أن أشـــهد له فيها أولا ؟**

ان أورشليم هذه — باعتبارها مدينة الملك العظيم التى فيها الهيكل — **تشير الى القلب والحياة الروحية المقدسة الخاصـــة بالانســـان ، باعتباره هيكلا لله ..** والشهادة للمسيح فى أورشليم ، معناها أن أشهد له بحيـــاتى الخاصة ، وبأعمالى المقدسة ...

كثيرون لا يتبعون هذا الترتيب العجيب الذى وضعه الرب ، ويحاولون الشهادة فى السامرة أو فى اقصى الأرض مثلا قبل الشهادة فى أورشليم ...

ومن هنا تحدث الأخطاء ويصيبنا الفشل ... والسيد المسيح يذكرنى بأنى لابد أن أشهد له فى أورشليم أولا . **فمن أورشليم خرجت بشرى الخلاص ، ومن حياتك الخاصة الطاهرة تخرج البركة لنفع الآخرين ...**

كانت أورشليم قلب اليهودية النابض ، ففيها الهيكل ، وفيه وحده تقدم الذبائح .. ومن هنا فقد كانت قبلة انظار اليهود فى كل العالم .. اليها يحجون ، وفيها يجدون عزاءهم .. وعلى هذا النحو ، نجد أن أورشليم الداخلية أى حياتك الخاصة باعتبارك خادما ، هى موضع تطلع الناس : وبك وعن طريقك يمجدون الاب السماوى .. أما أنت أيها الخادم ، فمن أورشليم الداخلية ترفع ذبائح الشكر ، ثمر شفاه معترفة باسمه ...

لماذا نبدأ بالخدمة من أورشليم ؟

انها أضيق دائرة نشهد للرب فيها ، ومتى ابلينا فيها حسنا ، كان هذا دليلا على استحقاقنا للخدمة خارجها ، وفيها ننال القوة من الرب .. لقد كانت وصية الرب لتلاميذه أن لا يبرحوا أورشليم ، بل ينتظروا موعد الآب .. قوة الروح القدس الذى سيعمل فيهم وبهم .. الله يريد دائما ان تكون الخدمة بقوة روحه ، حتى يكون فضل القوة له .. ما اكثر ما نخطىء حينما نتقدم الى الخدمة معتمدين على قوتنا وحكمتنا وفصاحتنا .. ان هذه القوة التى نالها التلاميذ ، نالوها فى العلية ، وهم منتظرون موعد الآب ، بينما كانت نفوسهم منسكبة أمام الرب .. وهم جميعا بنفس واحدة ، والأبواب والنوافذ مغلقة .. **هكذا نحن لن ننال هذه القوة الا فى « علية » .. أى حينما نرتفع عن الأرضيات ونسمو عليها ، ساكبين انفسنا، منتظرين عمل الرب ونعمته فينا ،** بعد أن نكون قد أغلقنا أبواب ونوافذ النفس ، فى انسكاب كلى أمام القدير . فى هذه العلية الروحية يظهر لنا الرب ذاته كما كان يظهر لتلاميذه معطيا ايانا الفرح والسلام .. بهذه القوة شهد بطرس للمسيح أمام آلاف اليهود بعد أن أنكره أمام جارية .. وبهذه القوة نستطيع أن نخدم الرب حتى الى أقصى الأرض .. لأننا فى ذلك الوقت نكون منقادين بالروح ، مدفوعين بتلك القوة عينها ..

ثانيا ــ فى كل اليهودية :

اليهود هم خاصة المسيح ، الذين جاء اليهم ولم يقبلوه . **فالشهادة فى اليهودية هى خدمة الرب وسط البيت والعائلة والوسط الصغير الذى نحيا فيه ..** ومما يلفت النظر ، تأكيدات فى هذا الحقل **« فى كل اليهودية » .** كثيرا ما نهمل الخدمة فى هذا الميدان مما يسبب متاعب ونكسات شديدة للخدمة .. يقول يشوع بن نون **« أما أنا وبيتى فنعبد الرب »** (يش٢٤: ١٥) ،

ومعلمنا بولس يقول « **ان كان أحد لا يعتنى بخاصته ولاسيما أهل بيته فقد أنكر الايمان وهو شر من غير المؤمن** » (١ تى ٥ : ٨) .. قد يكون الخادم مجاهدا وموفقا فى خدمته ، بينما تأتى المتاعب والعثرات من جهة بيته ... ولذا يشدد الرسول على هذه الناحية فيقول « **وانما ان كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله** (١ تى ٣ : ٤ ، ٥) ... ان الرسول يجعل من الاهتمام بالبيت مقياسا يقيم به الخادم .. فمن لا يعتنى ببيته ، فكيف يمكنه أن يعتنى بالكنيسة كلها ؟!

ثالثا ــ السامرة :

كانت عبادة السامريين خليطا من اليهودية والوثنية . **فالشهادة فى السامرة تمثل خدمتنا وسط المؤمنين المنحرفين وغير المؤمنين** ... فبعد أن يكون الخادم قد دعم حياته الروحية وشهد للمسيح بحياته الخاصة فى أورشليم ثم فى كل اليهودية ، يتقدم للخدمة وسط حقل يتطلب استعدادات خاصة وجهادا أكبر . ان الخدمة فى السامرة تحتاج الى حب ورحمة وتقدير للمشاعر .. فحينما رفضت مدينة السامرة المسيح ، اراد يعقوب ويوحنا أن تنزل نار من السماء وتفنيها بمن فيها ، فكان جواب الرب « لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥١ ــ ٥٦) .. **وبالاضافة الى هذه المشاعر ، يحتاج الخادم الذى يخدم فى هذا الحقل الى دراسات خاصة تختص بفئات المخدومين . انه حقل شاق ، ولكن قد يكون ايمان فرد واحد سبب بركة لكثيرين ، على نحو ما صار ايمان المرأة السامرية سبب بركة لكل مدينتها ...**

رابعا ــ أقصى الأرض :

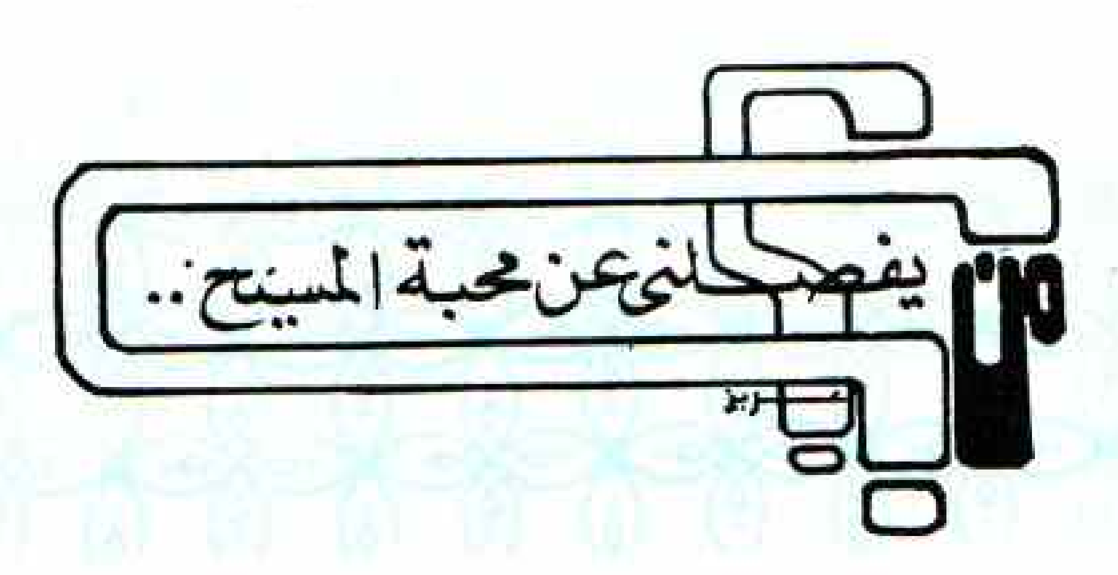
ما أبهج كلمة الله حينما تنمو وتنتشر ... « ما أجمل اقدام المبشرين بالسلام ، المبشرين بالخيرات » (رو ١٠ : ١٥) . **ما أسعد الخادم حينما ينطلق الى المناطق المجهولة ، والبلاد المغمورة ، حاملا رسالة الفرح وبشرى الخلاص الى أقوامها ، الذين لا تربطهم به سابق معرفة او نعرة قومية أو نزعة طائفية أو وحدة العقيدة واللغة والجنس .. ينطلق اليهم بدافع من حب عميق ، متشبها بمن أحبه وأسلم ذاته لأجله ..**

لكن كل ذلك ــ كما راينا ــ يحتاج الى مؤهلات خاصة .. فكمايحتاج الى ايمان يحتاج أيضا الى اتزان .. يحتاج الى أن نترسم الطريق ، ونسلك بموجب وصايا الرب الذى نخدم اسمه العظيم وننادى بحبه لكل البشر ..

كلمة أخيرة

وفى ختام هذا الموضوع ، نود أن نوجه الى اخوتنا الخدام كلمة هادئة ... ليتنا لا نأخذ الأمور بحسب مظهرها ، أو ننظر اليها من زاوية واحدة . ليتنا نلم بالكنيسة واحتياجاتها من كل الزوايا حتى لا نتحمس لزواية بذاتها . **ليتنا لا تأخذنا الغيرة والحمية على الخدمة ـ رغم أنها صالحة ومقدسة ـ وننسى التزود بقوة الرب وانتظار موعد الآب .. ليتنا لا ننسى ذواتنا وسط بحر الخدمة العظيم وحقلها المتسع . فمهما جاهدناوتعبنا فدائما** « الحصاد كثير والفعلة قليلون » .. ليتنا نؤمن بأن يعمل الله فينا وبنا .. ليتنا نجلس مع ذواتنا فى خلوة ونراجع مبادئنا فى الخدمة .. ليتنا نبدأ من جديد بايمان وطيد وعزم اكيد .





الله محبة ، والله روح ... لذا وجب أن تكون علاقتنا به فى نطاق المحبة والروح . فالمحبة هى روح الحياة مع الله ... ولو خلت علاقة الإنسان بالله من المحبة لصارت لغواً وهراءً ، ولتحولت كل الممارسات الدينية إلى مجرد فرائض وطقوس . لكن المسيحية فى نظرية العبادة تسمو عن مجرد الفرائض الجافة الجامدة . وتهدف إلى تلاقى الإنسان والله فى دائرة الروح . مدفوعاً بدافع الحب ولا شيء سواه ... وحين يصل الإنسان المسيحى إلى ممارساته العبادية بهذا المفهوم ، فإنه يحيا فى ما يمكن أن نسميه حالة ما فوق الجسد ، و يدخل فى علاقة حية فاعلة مع الله . وتصبح مشاعره وأحاسيسه الداخلية هى ما عبرت عنه عروس النشيد نحو عريسها : « تحت ظله إشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى » .

إن موضوع الممارسات الدينية أو ما يسمى بالوسائط الروحية هو هدف هذا الكتاب ... والكتاب يعالج هذا الموضوع الحيوى بالنسبة للإنسان المؤمن ، ليس بالتعبيرات الروحية العالية أو الكلمات النظرية الرنانة ، التى تشد الإنسان دون أن يكون لها أساس داخلى عميق فى القلب ، بل بالأسلوب العملى البسيط الذى يسهل على كل إنسان فهمه وتقبله ، ومن ثمّ يتحول إلى ممارسة حية معاشة .

والكتاب لا يهدف إلى إضافة معلومات جديدة إلى رصيد المعلومات السابقة عن علاقة الإنسان بالله ، بل إلى تعميق العشرة الحية المقدسة ، حتى ما يسير المؤمن من « قوة إلى قوة » إلى أن يتجلى له إله الآلهة فى هيكل قلبه ...

وفضلاً عن ذلك فالكتاب يعالج موضوع الوسائط الروحية على أسس روحانية كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ، هذه الروحانية التى عاشها آباؤنا القديسون ، و برعوا فيها ، حتى صاروا روادها ومعلميها فى العالم المسيحى كله .

الثمن ١٣٠ قرشاً